وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل ـ كلية التربية

قسم اللغة العربية

دلالة الأمـر فـي القرآن الكريم

رسالة تقدم بها

قاسم كتاب عطا اللّه

إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتور رحيم جبر الحسناوي

١٤٢٨هـ **٢٠٠٧م**

الإهداء

إلى الذين تحملوا معي نصيباً من الجهد والعناء

أسرتي الكريمة

عرفاناً واعتزازاً

قاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

محمد ﷺ : ٢٤

صدق الله العظيم

Introduction

Quran has been and still a miracle that renew, and a great fact from which anyone can get what suits his specialization and attitude.

When Quran was inspired to our Prophet Mohammed (Peaec be on him and his decent relatives), all people began to figure it out deeply. It was a new challenge to them. They did their best to find out all they could about its unknown potentials, and followed many different ways to achieve that and understand the Quran.

As a result the Quran had become the origin of all linguistic sciences (grammar, morphology, eloquence) and other aspects of language. All this to the unique Quranic Sciences. These sciences are still the magnificent source for all kinds of knowledge needed in different researches everywhere and at any time.

The Quranic evidence, as the researches note, is used by investigators as stable facts, because they can't find any better reference.

This research is to clarify and show the use of imperativeness method because of its wideness and forms that are different from what had been studied before.

This research includes introduction and four chapters, and a conclusion. The first chapter is the sound evidence in which we

studied: the relation between the pronunciation and the meaning, initials of verses whether they are separate letters or imperatives, the evidence of verbal repetition, the harmony (both the inner and the external) and also the alternative harmonic evidence.

The second chapter deals with meaning of the added verbs, verbal nouns regarding imperatives, evidence of the origin of verbs, the double and accumulation, and also the way of changing from one form to another.

The third chapter deals with the grammatical evidence (the imperative letter, interrogative imperative and the statement rule of imperative). It also deals with the implied imperative, the simple present tense plus imperative verb, the omission evidence, evidence of imperative on statement, and evidence of forwarding and back warding.

Chapter four is about the **sequence evidence** in which we studied and investigated repetition of items; and repetition of text both in its verbal and abstract, gradation in imperative which is in two types: the positive and the negative, transition from the general to the private and vice versa; the interpreted and the assured imperative with emphasizing it. We also studied the having the imperative and the text together.

Finally, we ask Allah the Greatest to bless us in what we seek.. what we try to study to let others benefit.. help us to achieve our goals and learn more and more.

I was so anxious to study this subject (Quranic Evidence) for Doctorate Degree, and this has been achieved thanks to Allah.

لم تقتصر العربية في تعبيرها على دلالة المفردات المعجمية فحسب ، بل تعدت ذلك إلى دلالتها السياقية بما تشمله من إيحاءات وإشارات تسهم في توجيه معنى النص وتحديد معالمه . والدلالة السياقية هي الدلالة المتحصِّلة من ((ضم الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى ، وهي مجتمعة في النص))[1] . فالسياق هو ((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم))[2] ، أي إنه الأسلوب الذي يحكم علاقة المفردات مع بعضها ، مما يسهل الوصول إلى الدلالات الهامشية التي نتجت بواسطة تلك العلاقة ، والتي ما كانت لتوجد بتغيير الأسلوب أو استبداله .

ولم يغفل اللغويون العرب السياق وأثره في المعنى ، ولا سيما البلاغيين منهم ، ويكفينا دليلاً على ذلك ما ذكره عبد القاهر الجرجاني من موافقة الألفاظ بعضها لبعض ، والصلة التي تربط بينها ، بحيث تحسن الكلمة . وتقبح تبعاً لموقعها في النص ، والعلاقات التي تحكم ألفاظه ، وهو ما عُرف بنظرية النظم . وكذلك عُني أهل التفسير بالسياق ؛ لأنَّهم يرونه مرشداً ((إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم))[3] .

---

[1]- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة : ٢٨٨ (مادة سوق) .
[2]- دور الكلمة في اللغ : ستيفان أولمان ، : ٥٤ ــ ٥٥ .
[3]- بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية ٤ / ٩ ــ ١٠ ، وظ البرهان للزركشي ٢ / ٢٠٠ .

والسياق عند المحدثين على ثلاثة أقسام هي : السياق اللفظي ، والسياق الحالي ، والسياق العقلي[٤] ، وعلى ذلك يكون السياق غير مختص بدلالة المفردة داخل النص فحسب ، إنَّما يشمل جميع الإيحاءات والإشارات اللفظية والانفعالية والفكرية التي يمكن من خلالها التوصل إلى فهم شامل ودقيق للنص ، وأغراضه المقصودة ، وهذا ما نحاول تبينه في المباحث القادمة ـ إنْ شاء الله ـ .

دلالة التكـــرار

ذكرنا في الفصل الأول التكرار الصوتي وأثره في الدلالة ، وسنبحث هنا تكرار المفردة ، وتكرار النص ، وأثرهما في الدلالة أيضاً .

أولاً- تكرار المفردة :

ورد هذا التكرار كثيراً في آيات القرآن الكريم[٥] ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ** ﴾(البقرة : ١٩٨) ، فكرر الأمر بالذكر ، وعلَّل المفسرون ذلك بأنَّ ((الأمر الثاني هو الأمر الأول وكرر على سبيل المثال التوكيد والمبالغة في الأمر بالذكر ؛ لأنَّ الذكر من أفضل العبادات . أو غير الأول فيُراد به تعلقه بتوحيد الله ، أي : اذكروه بتوحيده كما هداكم بهدايته ، واتصال الذكر الأول لمعنى اذكروه ذكراً بعد ذكر))[٦] .

---

[٤]- ظ المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : محمد أحمد أبو الفرج : ١٢١، وعلم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٦٩ .

[٥]- ظ على سبيل المثال لا الحصر : البقرة : ٣٥ ــ ٣٩ ، آل عمران : ١٣٠ ــ ١٣١ ، النساء : ٥٩ ، المائدة : ٩٢ ، النور : ٥٤ ، الصافات : ١٧٤ ، الحشر : ١٨ ، التحريم : ١١ ، المرسلات : ٢٨ ــ ٣١ ، العلق : ١ ــ ٣ .

[٦]- البحر المحيط ٢ / ٩٧ .

وزاد الرازي على ذلك وجوهاً منها : أنَّ الأول أمر بالذكر ، والثاني ذكره تعالى بالأسماء والصفات الإلهية ؛ أو أنَّ الذكر الأول هو ذكر اللسان والثاني ذكر القلب ، أو أنَّ الذكر الأول خاص بمكان وزمان محددين والذكر الثاني عام على كل حال وفي كل وزمان ومكان[٧] .

وما نميل إليه أنَّ الذكر الأول غير الثاني بقرينة العطف الذي يقتضي المغايرة بين المتعاطفين ، ويكون الأول خاصاً بمكان الحج وزمانه ، ويُراد به التلبية والتهليل والتكبير والتسبيح . أما الثاني فهو أمر بذكره تعالى ذكراً عاماً في كل زمان ومكان ، وهو يشمل الذكر باللسان والذكر بالقلب ، لا سيما إذا اعتبرنا أنَّ الهداية التي توجب الذكر هي هداية الإسلام ، فيكون المعنى : اذكروا الله ما دمتم مسلمين ؛ لأنَّ ذلك هداية منه جل وعلا .

ومما جاء فيه التكرار قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً**

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة : ٢٥٩) ، حيث كرر الفعل (انظر) ثلاث مرات ، وذهب المفسرون إلى أنَّه تكرار لا يُراد به التوكيد ، إنَّما جاء لاختلاف الغرض بين نظر وآخر ، ولكنهم اختلفوا في المنظور له في الفعلين الأخيرين ، فقيل في الأول منهما : انظر إلى الحمار حياً كما تركته ، وبقاؤه على هذه الحال مئة عام مع عدم وجود من يعتني به من دلائل قدرة الله تعالى ، ويكون هذا من جنس الدليل الأول ، أي : بقاء طعامه وشرابه دونما تغيير لكل هذه المدة . وقيل : معناه : انظر إليه ميتاً قد تفرقت عظامه ، وهذا أبلغ في الدلالة على القدرة ؛ لانَّ ما يتسارع إليه الفساد ـ وهو الطعام والشراب ـ بقي على حاله ، وما يمكن أنْ يحيا بنفسه لمدة أطول ، مع قدرة على الأكل والشرب أصبح عظاماً نخرةً[٨] .

وقيل : إنَّ العظام التي أُمر بالنظر إليها هي ((عظام الحمار ، وكرر الأمر لما أنَّ المأمور به أولاً هو النظر إليها من حيث الدلالة على المكث المديد ، وثانياً هو النظر إليها

---

[٧]- ظ التفسير الكبير ٥ / ٣٢٩ ــ ٣٣٠ .

[٨]- ظ الكشاف ١/ ٣٠٣ ، والتفسير الكبير ٧ / ٣١ ــ ٣٢ ، وروح المعاني ٣ / ٢٢ ــ ٢٣ ، والمنار ٣/ ٥٠ ـ ٥١ .

من حيث تعتريها الحياة ومبادئها ، وقيل عظام أموات أهل القرية ، وعن قتادة والضحاك والربيع عظام نفسه))[٩] .

وسياق الآية يدل على ((أنَّ المراد بالعظام عظام الحمار إذ لو كانت عظام أهل القرية لم تكن الآية منحصرة فيه كما هو ظاهر قوله : ولنجعلك آية بل شاركه فيها الموتى الذين أحياهم الله تعالى))[١٠] . ولو كانت عظامه ((للفتَ هذا نظره عندما استيقظ ، ووخز حسه كذلك ؛ ولما كانت إجابته لبثت يوماً أو بعض يوم))[١١] . فهذه الإجابة توحي بأنَّه استيقظ وهو في كامل قواه العقلية والجسدية ولم يتعرض لأي تغيير أو مساس ، حتى أنَّه يتصور مدة لبثه كانت يوماً أو بعض يوم ، ولو كانت عظامه هي المقصودة لما تبادر هذا إلى ذهنه .

وبهذا أسس تكرار الفعل (انظر) ثلاثة معانٍ جديدة ، ما كانت لتوجد لولا تكراره ، ولحدث لبس في معنى الآية العام ، لا سيما مع اختلاف جنس المنظور له ، وجهة النظر في الجمل الثلاث.

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾(السجدة:١٤) ، فكرر الفعل (ذوقوا) ، ((وهو وإنْ أفاد تسليط العذاب عليهم فإنَّ عطفه مراعى فيه ما بين الجملتين من المغايرة بالمتعلقات

والقيود مغايرة اقتضت أنْ نعتبر الجملة الثانية مفيدةً فائدةً أخرى ، فالجملة الأولى تضمنت أنَّ منْ سبب استحقاقهم تلك الإذاقة إهمالهم التدبر في حلول هذا اليوم ، والجملة الثانية تضمنت أنَّ ذلك العذاب مستمر وانَّ سبب العذاب وعدم تخفيفه أعمالهم الخاطئة وهي أعم من نسيانهم لقاء يومهم ذلك))[١٢].

وفي الآية الكريمة عذابان ، عذاب يتمثل بعقوبات جهنم وكيفياتها والآليات التي تتم بها ، وهي كثيرة متنوعة كالحرق والضرب والغل وغيرها ، وهذا يفسر لنا حذف مفعول (ذوقوا) الأولى ، كي لا يقتصر الإنسان على تصور نوع محدد من هذه العقوبات ، وله أنْ

---

[٩]- روح المعاني ٣ / ٢٣ ، وظ الكشاف ١ / ٣٠٣ .
[١٠]- الميزان ٢ / ٣٦٥ .
[١١]- في ظلال القرآن ٣ / ٢٣ .
[١٢]- التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٢٦ .

يتصور ما شاء من وسائل العذاب وطرقه ، لتكون زجراً وردعاً له عن تجاوز حدود الله تعالى ، وكأنَّ فيها تذكيراً يقابل نسيانهم ؛ لأنَّها وسائل حسية .

أما العذاب الآخر فهو عذاب الخلد في النار ، وهو عذاب أشد وأعظم من الأول ، فمعرفة نهاية العذاب قد تشجع على تحمله ، وتصبير النفس على احتماله ، أما التيقن بخلده ودوامه فيجعله أشد تأثيراً وإيلاماً ، إذ لا طاقة لأحد به ؛ وسبب هذا الخلد ما كانوا يعملونه في الدنيا ، فجوزوا به عذاباً مضاعفاً نفسياً وجسدياً . والنسيان هنا بمعنى الإهمال وعدم الاكتراث ؛ لأنَّ الله تعالى ((لا ينسى أحداً . ولكنهم يُعاملون معاملة المهملين المنسيين ، معاملة فيها مهانة وفيها إهمال وفيها ازدراء))[١٣].

ويفيد التكرار في بعض صوره بيان صفة معينة يكون لها الأثر في الامتثال لذلك الأمر ترغيباً أو ترهيباً زيادة عن ما فيه من توكيد نحو قوله تعالى :﴿ **وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾(يس:٢٠–٢١) ، فـ (لا يسألكم أجراً) هي صفة المرسلين ، وخصَّها بالذكر ؛ لأنَّها ((كلمةٌ جامعة في الترغيب فيهم ، أي : لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم فينتظر لكم خير الدنيا وخير الآخرة))[١٤].

وفيها معنى التوكيد أيضاً ، قال ابن عاشور ((وجملة ((اتبعوا من لا يسألكم أجراً)) مؤكِّدة لجملة ((اتبعوا المرسلين)) مع زيادة الإيماء إلى علة اتباعهم بلوائح الصدق والنصح على رسالتهم إذ هم يدعون إلى هدى ولا نفع ينجر لهم من ذلك فتمخضت دعوتهم لقصد هداية المرسَل إليهم ، وهذه كلمة حكمة جامعة ، أي اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة الآخرة))[١٥].

وعليه قوله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾(النساء : ١) ، فكرر ((الأمر بالتقوى تأكيداً للأول . وقيل لاختلاف التعليل وذكر أولاً الرب الذي يدل على الإحسان والتربية ، وثانياً الله الذي

---

[١٣]- في ظلال القرآن ٢١ / ١٠٥ .
[١٤]- الكشاف ٤ / ١٠ ، وظ البحر المحيط ٧ / ٣٢٨ .
[١٥]- التحرير والتنوير ٢٢ / ٣٦٧ ، وظ تفسير أبي السعود ١٦٣/٧.

يدل على القهر والهيبة ، بُني أولاً على الترغيب وثانياً على الترهيب كقوله (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) و (يدعوننا رغباً ورهباً) كأنَّه قال : إنَّه ربك أحسن إليك فاتق مخالفته فإنْ لم تتقه لذلك فاتقه لأنَّه شديد العقاب))[١٦] . وعلى ذلك جمع من المفسرين[١٧] .

فتكرار الأمر بالتقوى أفاد التوكيد والحث ، وزاده اختلاف صفة المُتقى مبالغة في ذلك ، فالهدف هو حصول التقوى في نفوس الناس عامةً ، وكان اختلاف الصورة اللفظية التي جاء بها الأمر عاملاً مساعداً على تحقيق هذا الهدف ، فمن الناس من يأتي باللطف واللين والترغيب ، ومنهم من لم يأتي إلا بالترهيب واستشعار الهيبة .

ومما جاء فيه التكرار للمبالغة والتوكيد قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾(النساء : ٩٤) ، فالهدف هو التثبت والتبيين على كل حال .

ثانياً: تكرار النص :

لم تقف بلاغة العربية عند تكرار الصوت أو المفردة فحسب ، إنَّما تعدته إلى تكرار النص ، وما ذلك إلا لضرب من البيان له أثره في الدلالة وتوجيه مسارها بما يخدم المراد ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾(البقرة : ١٤٤) ، ثم أعاد جملة الأمر مرتين بعد عدة آيات ، فقال عز من قائل: ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا**

---

[١٦]- البحر المحيط ٣ / ١٥٥ .

[١٧]- ظ تفسير ابن عطية ٢ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٥ /٢٤ ، والتفسير الكبير ٩ / ٤٨٠ ، وتفسير أبي السعود ٢ / ١٣٨ ، ومواهب الرحمن ٧ / ٢٣٢ ، وروح المعاني ٤ / ١٨٣ .

كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(البقرة : ١٤٩ – ١٥٠) .

وعُلِّل ذلك بأنَّه توكيدٌ لأمر القبلة وتثبيت له في نفوس المسلمين ، لأنَّ تحويلها كان صعباً عليهم ، لعظم شأنَّها ، وخطورة نسخها ؛ لأنَّ النسخ من مظان الفتنة والشبهة ، وهذه أولى الوقائع التي ظهر فيها النسخ فدعت الحاجة إلى التكرار لإزالة الشبهة ، وتثبيت الأمر وتقريره[١٨].

وقيل : إنَّه كرر للدلالة على ثبوت الحكم في كل الأحوال ، وفي كل زمان ومكان ، فالآية الأولى خاصة بالمسجد الحرام ، والثانية في البلد خارج المسجد ، والثالثة في السفر وهو خارج البلد [١٩]. وهذا ((كقول القائل ، اتق الله إذا قمت واتق الله إذا قعدت ، واتق الله إذا نطقت ، واتق الله إذا سكت ، يريد : التزام التقوى عند كل واحد من هذه الأحوال ولتكن معك ، ولو قيل اتق الله إذا قمت وإذا قعدت وإذا نطقت وإذا سكت فاتت هذه النكتة))[٢٠] .

وقيل : إنَّما كرر تعالى ذلك لأنَّه علَّق بكل ((مرة فائدةً زائدةً أما في المرة الأولى فبيَّن أنَّ أهل الكتاب يعلمون أنَّ أمر نبوة محمد(ﷺ) وأمر هذه القبلة حق ، لأنَّهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل ، وأما في المرة الثانية فبين أنَّه تعالى شهد أنَّ ذلك حق ، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرةٌ لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً ، وأما في المرة الثالثة فبيَّن أنَّه إنَّما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة ، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أنْ يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد))[٢١]. وقيل غير ذلك في سبب هذا التكرار[٢٢] .

ويبدو أنَّ خطاب المسلمين بتغيير القبلة تكرر مرة واحدة فقط ، وليس مرتين ، أما خطاب النبيﷺ فقد تكرر مرتين على ما سنرى ، فالآية الأولى أفادت إعلام الرسول ﷺ بالأمر وإبلاغه به ، وكذلك بقية المسلمين ، فهي لم تتعدَّ كونها إبلاغاً للرسول ﷺ والمسلمين بأنَّ قبلتهم تحولت من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة ، أما الآية الثانية

---

[١٨]- ظ مجمع البيان ١ / ٢٣١ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٢٢٥ ، والبحر المحيط ١ / ٤٥٣ ، والتفسير الكبير ٤ / ١١٩ ، وتفسير أبي السعود ١ / ١٧٨ .
[١٩]- ظ التفسير الكبير ٤ / ١١٨ .
[٢٠]- الميزان ١ / ٣٣١ ، و ظ مجمع البيان ١ / ٢٣١.
[٢١]- التفسير الكبير ٤ / ١١٨ .
[٢٢]- ظ السابق ٢ / ١١٩ .

فهي خاصة بالرسول الكريم ﷺ في حالة خاصة ، وهي حالة الخروج ، سواء كان الخروج من المسجد ؛ لأنَّ تحويل القبلة كان في صلاة الظهر في مسجد

بني سلمة[٢٣] ، أم من البلد ، أي في السفر ، فإنْ كان الخروج من المسجد كان المعنى : إنَّ تحويل القبلة لا يختص بالمسجد الذي أنتم فيه ، بل يشمل البلد عامة ، وإنْ كان الخروج من البلد كان المعنى توجه إلى الكعبة في السفر أيضاً ، ولا يقتصر توجهك إليها على حالة الحضر فقط . فهذه الآية تختلف عن الأولى ؛ لانَّها خاصة بالرسول ﷺ في حالة خاصة ، أما الأولى فكانت إبلاغاً له وللمسلمين .

وجاءت الآية الثالثة توكيداً للآيتين قبلها ، فأعادت النص الخاص بالرسول ﷺ في الآية السابقة لها ، وكذلك تضمنت النص الخاص بالمسلمين في الآية الأولى ، وهو تكرار أفاد التوكيد وإقرار أمر التحويل بشكل قاطع وجازم ، والله اعلم .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾(القمر:٣٧– ٤٠) ، فكرر قوله ((فذوقوا عذابي ونذر)) وقيل : إنَّ ((الأول عند الطمس والثاني عند الائتفاك فكلما تجدد العذاب تجدد التقريع))[٢٤] ، وتكرر هذا النص مع قوله تعالى ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)) وفائدة هذا التكرار ((أنْ يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكاراً واتعاظاً وانْ يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً ، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأنْ يُقرع لهم العصا مرات ، ويُقعقع لهم الشن تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة))[٢٥].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ** ﴾(الصافات:١٧٤– ١٧٩) ، وقيل في تكراره ((ليكون تسليةً على تسلية ، وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد . وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول ، وأنَّه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به

---

[٢٣]- ظ الكشاف ١ / ٢٠١ .
[٢٤]- مجمع البيان ٥ / ١٩٢ ، و ظ الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩٤ ، والبحر المحيط ٨ / ١٨٢ .
[٢٥]- الكشاف ٤ / ٤٢٨ ، و ظ البحر المحيط ٨ / ١٨٢ ، والتحرير والتنوير ٢٧ / ٢٠٧ .

الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة. وقيل : أريد بأحدهما عذاب الدنيا ، وبالآخر عذاب الآخرة))[٢٦].

ويبدو أنَّ المراد من هذا التكرار هو ((المبالغة في التهديد والتهويل))[٢٧] ، ولا سيما إذا عرفنا أنَّ الإعراض عنهم والصبر على أذاهم لا يكون في الآخرة ، إنَّما هو خاص بالدنيا فقط ، فهذا يُضعف القول إنَّ إحدى الجملتين للدنيا والأخرى للآخرة .

ويأتي النص في أحيانٍ أخرى مكرراً بشكل متباعد يفصل بين الأول والآخر آيات عديدة نحو قوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾(البقرة:٤٧– ٤٨) ثم أعاد النص بعد أربع و سبعين آية مع شيء من التغيير ، حيث قال عز من قائل: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾(البقرة:١٢٢– ١٢٣) ، وعُلِّل ذلك من ثلاثة وجوه (((أحدها) أنَّ نعم الله سبحانه لما كانت أصول كل نعمة كرر التذكير بها مبالغةً في استدعائهم إلى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا إلى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم (وثانيها) هو أنّه لما باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير والإعادة والتكرير إبلاغاً في الحجة وتأكيدا للتذكرة (وثالثها) أنَّه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة بهما ذكَّرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به))[٢٨] .

ومثله قوله تعالى :﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾(الواقعة : ٧٤) ، ثم أعاده في الآية (٩٦) من السورة نفسها ، قال أبو حيان : ((أمره تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات ، ولما أعاد التقسيم موجزاً الكلام فيه أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربه والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء))[٢٩].

والراجح في التكرار المتباعد أنْ يكون لغرض التنبيه والتذكير خشية أنْ يُتسارع النسيان والغفلة إلى المأمور بطول المدة وبُعد المسافة .

---

[٢٦]- الكشاف ٦٥/٤ ، و ظ مجمع البيان ٤٦٢/٤ ، والتفسير الكبير ٣٦٤/٢٦ .
[٢٧]- التفسير الكبير ٣٦٤/٢٦ .
[٢٨]- مجمع البيان ١ / ١٩٨ .
[٢٩]- البحر المحيط ٨ / ٢١٦ ، وظ تفسير أبي السعود ٨ / ٢٠٢ ، وروح المعاني ٢٧ / ١٦٢.

ويأتي التكرار منفصلا في مرات عدة كما في قوله تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ (الشعراء:١٠٨) ، حيث كرر هذه الآية ثماني مرات في هذه السورة ، وجاءت على لسان خمسة من الأنبياء هم : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ، وعلة تكرار هذا النص ((ليؤكده عليهم ويقرِّره في نفوسهم ، مع تعليق كل واحدة منهما بعلة ، جعل علة الأول كونه أميناً فيما بينهم ، وفي الثاني حسم طمعه عنهم))[٣٠]. والتقدير ((فاتقوا الله وأطيعون لأنِّي رسولٌ أمين ، واتقوا الله وأطيعون لأني لا أسالكم

عليه أجراً فتخافوا تلف أحوالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوي الداعي إلى قبول الضمير ويبعده عن التهمة))[٣١] .

والآية الكريمة جاءت على لسان خمسة من الأنبياء ـ كما ذكرنا ـ ولكنها تكررت مع الثلاثة الأوائل فقط ، أما مع لوط وشعيب عليهما السلام فقد جاءت مرة واحدة ولم تُكرَّر ، ويبدو أنَّ ذلك له علاقة بعمل تلك الأقوام فقد اتصفت جميعاً بالكفر وتكذيب الرسل ، ولكن قوم لوط ، وقوم شعيب ، اتصف كل منهما بعمل دنيوي مشين ، فانفرد قوم لوط بإتيان الذكور ، وتميز قوم شعيب بسرقة الناس في الكيل والوزن ، ولما لهذين العملين ـ على اختلافهما ـ من أثر في تخريب الفطرة الإلهية وتشويه النفس الإنسانية ، لم يُكرر معها الأمر بالتقوى والطاعة تنبيهاً على قبح ما يقومون وبشاعته . وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الكافر الذي لم يأت بأحد هذين العملين ربما يُصلَح ، ويمكن هدايته فيعود إلى طريق الحق ، ولكن من يأتي بأحدهما فقد أبعد نفسه عن فرصة الهداية ، وفوَّت عليها أنْ يكون من أصحاب الطريق القويم ؛ لذلك جاءت الآية معهما مرة واحدة ، لتدل على أنَّهم ميؤوس منهم ، ولا يرجى خيرهم ؛ لأنَّهم أبعدوا نفسهم عن الله بهذه الأعمال ، فمعلوم أنَّ الإنسان كلما كان مبغوظاً كانت محاولة هدايته مختصرة موجزة ، بخلاف غيره حيث تأتي محاولة هدايته متكررة متنوعة كما في الآيات الأخر ، والله اعلم .

---

[٣٠]- الكشاف ٣ / ٣١٤ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٩١ ، والمثل السائر ٣ / ٨ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٢٥٤ ، والميزان ١٥ / ٣٢٢ .

[٣١]- مجمع البيان ٤ / ١٩٦ .

التكرار المعنوي

تحدثنا في الصفحات السابقة عن التكرار اللفظي ، وهو إعادة المفردة أو النص بلفظه ، ونأتي هنا للتكرار المعنوي ، ونعني به : تكرار المعاني بإعادة اللفظ بما يرادفه أو ما يدل على معناه ، ومنه قوله تعالى :﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾(الأعراف : ١٣) ، فجملة (فاخرج) ((تأكيدٌ لجملة ((فاهبط)) بمرادفها ، وأُعيدت الفاء مع الجملة الثانية لزيادة تأكيد تسبب الكبر في إخراجه من الجنة))[٣٢].

وقيل : إنَّ مراد الآية الهبوط ((من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل مما أنت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي أمر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين أمر الله))[٣٣] .

ويمكن أن يكون قوله (فاهبط) بمنزلة الحكم بالهبوط ، ويكون قوله (فاخرج) بمنزلة الأمر بتنفيذ ذلك الحكم ، كما يحدث في محاكمنا الدنيوية يتلو القاضي الحكم على المتهم ، ثم يأمره بالخروج من المحكمة لتنفيذ ذلك الحكم[٣٤] . يؤيد ذلك أن الهبوط المذكور قد يراد به الهبوط المادي ويعني النزول إلى الأرض ، والهبوط المعنوي وهو النزول من المكانة السامية والدرجة الرفيعة ، فهو أوسع معنىً من الخروج . وبذاك يخرج ما ذكرنا من باب التكرار المعنوي.

وعلى ما تقدم قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾**(الكافرون: ١-٦)**

---

[٣٢]- التحرير والتنوير ٨ / القسم الثاني ٤٤ ، وظ تفسير أبي السعود ٣ / ٢١٧ ، وروح المعاني ٨ / ٩٠ .
[٣٣]- مجمع البيان ٢ / ٤٠٢ ، وظ الميزان ١ / ١٣٣ .
[٣٤]-ظ مجلة الأستاذ : العدد ، ١٩٩٩ ، (التقدير النحوي عند المفسرين) بحث للدكتور علي كاظم أسد.

وجعلوا اجتماع الأمر والنهي من باب التكرار أيضاً نحو قول القائل ((أطعني ولا تعصني)) ((فإنَّ الأمر بالطاعة نهي عن المعصية ، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب))[٣٥] . وسنأتي لبحث هذا في موضعه من هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

ويأتي التكرار المعنوي مفصولاً بين معنييه ، نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾(الأنفال:٢٤) ، فهو تكرار لمضمون قوله جل وعلا:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾(الأنفال :٢٠)[٣٦] ، ولا يخفى أنَّ هذا التكرار يمثل إعادةً للمعنى العام الذي تضمنته الآية السابقة ، ولا يشتمل على كل دقائقه وجزئياته.

وجعل أحد الباحثين قوله تعالى :﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** ﴾(الطارق : ١٧) من باب التكرار المعنوي ، حيث قال : ((وقد يُستثقل تكرار اللفظ ، فيُعدل عنه إلى معناه ، وهذا كما في قوله تعالى: ((**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**)) ، فإنَّه لما أُعيد اللفظ غيَّر (مَهِّل) إلى (أمهِل) فلما أُريد تكراره مرةً ثالثةً عدل عن حروف الفعل أصلاً إلى ما هو بمعناه ، فقال : (رويداً)))[٣٧].

وقد بحثنا هذا في فصل سابق ، وبينا أنَّه ليس من باب التكرار ، إنَّما هو جاء لنكث دلالية[٣٨].

---

[٣٥]- المثل السائر ٣ / ٢٩ .
[٣٦]- ظ التحرير والتنوير ٩ / ٣١١.
[٣٧]- أسلوب التوكيد في القرآن الكريم : ٢١ .
[٣٨]- ظ ١٠٢ من هذه الرسالة .

دلالة التــدرُّج

ونعني به الانتقال التدريجي للأوامر على نحو متفاوت في الدلالة صعوداً أو هبوطاً ، وهو على قسمين : إيجابي وسلبي .

أولاً: التدرج الإيجابي:

وهو الانتقال من أمر إلى آخر على نحو تصاعدي ، أي إن دلالة الأوامر المتتابعة تتعالى شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى غايتها في الأمر الأخير ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(البقرة : ١٠٩) ، حيث تدرج الأمر من العفو إلى الصفح ، والعفو : ((هو التجافي عن الذنب))[٣٩] ، و((ترك عقوبة المذنب))[٤٠] ، أما الصفح فهو ((عدم مواجهته بذكر ذلك الذنب أي عدم لومه وتثريبه عليه وهو أبلغ من العفو ـ كما نقل الراغب[٤١] ـ لذلك عطف الأمر به على الأمر بالعفو لأنَّ الأمر بالعفو لا يستلزمه ولم يُستغن باصفحوا لقصد التدرج في أمرهم بما قد يخالف ما تميل إليه أنفسهم من الانتقام تلطفاً من الله مع المسلمين في حملهم على مكارم الأخلاق))[٤٢].

وهذا من أرفع درجات التسامح والتجاوز عن الإساءة ، فلا عقوبة تترتب على الذنب ، ولا لوم أو توبيخ يُواجه به المذنب ، ولذلك أثره في سمو النفس الإنسانية ، وترفعها عن مواجهة الإساءة بمثلها .

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾(آل عمران:١٤٧). فغاية الدعاء هو النصر على الكافرين ؛ لأنَّهم في موضع حرب ولكن طلب النصر لا يأتي هكذا

---

[٣٩]- المفردات : ٥٧٤ .
[٤٠]- التحرير والتنوير ١ / ٦٧١ .
[٤١]- ظ المفردات : ٤٨٦ .
[٤٢]- التحرير والتنوير ١ / ٦٧١ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٥٠ ، وتفسير أبي السعود ١ / ١٤٦، والمنار ١ / ٤٢١ .

دونما مقدمات ، فقدموا له مبتدئين ((بالتوبة عن كل المعاصي وهو المراد بقوله : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فدخل فيه كل الذنوب سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر ، ثم أنَّهم خصُّوا الذنوب العظيمة الكبيرة منها بالذكر بعد ذلك لعظمها وعظم عقابها وهو

المراد من قوله : (وإسرافنا في أمرنا) لأنَّ الإسراف في كل شيء هو الإفراط فيه ، (...) ثم أنَّهم لما فرغوا من ذلك سألوا ربهم انْ يثبِّت أقدامهم ، وذلك بإزالة الخوف من قلوبهم ، وإزالة الخواطر الفاسدة عن صدورهم ، ثم سألوا بعد ذلك أنْ ينصرهم على القوم الكافرين))[٤٣] .

فهم طلبوا المغفرة عن صغائر الذنوب ، ثم انتقلوا إلى ما هو كبير منها وهو تجاوزهم الحد وارتكابهم الذنوب العظام ، وربما يكون المراد بالإسراف مداومتهم على ارتكاب الذنوب واستمرارهم عليها دونما رادع . ثم انتقلوا إلى تثبيت الأقدام ، وهو مقدمة النصر ، ((وقدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الأقدام والنصرة ، ليكون طلبهم ذلك إلى الله عن زكاء وطهارة ، فيكون طلبهم التثبيت بتقدم الاستغفار حرياً بالإجابة))[٤٤].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾(آل عمران:١٥٩) . قال ابن عطية : ((أمر الله تعالى رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدرج بليغ ، وذلك أنَّه أمره بأنْ يعفو عليه السلام عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق ، فإذا صاروا في هذه الدرجة ، أمره أنْ يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة ، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلا للاستشارة في الأمور))[٤٥] .

وسياق النص العقلي يشير إلى هذا التدرج ، فالعفو مقدمةٌ للاستغفار، فمن المستبعد أنْ يستغفر الإنسان لشخص وهو واجد عليه غير راض عنه ، وإنما يكون الاستغفار عن رضا في النفس ، فإذا حدث العفو وتحقق الاستغفار برئوا من الذنوب برحمة الله تعالى ، فأصبحوا مؤهلين للمشاورة ، ويبدو أنَّ المشاورة جاءت تأكيداً للعفو والمغفرة ، وأنَّها

---

[٤٣]- التفسير الكبير ٩ / ٣٨١ .
[٤٤]- البحر المحيط ٣ / ٧٥ .
[٤٥]- تفسير ابن عطية ١ / ٥٣٣ – ٥٣٤ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٠٦ ، والبحر المحيط ٣ / ٩٨ – ٩٩ .

وقعت ((على وجه التطييب لنفوسهم والتآلف لهم والرفع من أقدارهم ليبين أنَّهم ممن يُوثق بأقوالهم ويُرجع إلى آرائهم))[٤٦] .

حقاً إنَّها الرحمة الإلهية ، عفوٌ واستغفارٌ ومشاورةٌ في الأمر ، كل ذلك يعكس مروءة الدين ورأفته بعباد الله وحرصه على هدايتهم .

وعلى ما تقدم جاء قوله جل وعلا :﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً** ﴾(النساء من الآية:٣٤) ، فالتدرج واضح في الآية الكريمة من الوعظ إلى الضرب ، قال الرازي : ((حكم هذه الآية مشروع على الترتيب ، فإنَّ ظاهر اللفظ وإنْ دل على الجمع إلا إنْ فحوى الآية يدل على الترتيب ، قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : يعظها بلسانه ، فإنْ انتهت فلا سبيل له عليها ، فإنْ أبت هجر مضجعها ، فإنْ أبت ضربها ، فإنْ لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين))[٤٧] .

فالوسائل العلاجية الثلاث ((وإنْ ذُكرت معاً وعُطف بعضها على بعض بالواو فهي أمور مترتبة تدريجية : فالموعظة : فإنْ لم تنجح فالهجرة ، فإنْ لم تنفع فالضرب ، ويدل على كون المراد بها التدرُّج فيها أنَّها بحسب الطبع وسائلٌ للزجر مختلفةٌ آخذةٌ من الضعف إلى الشدة بحسب الترتيب المأخوذ في الكلام ، فالترتيب مفهوم من السياق دون الواو))[٤٨] .

ويُفهم من ذلك أنَّه متى تم إصلاح الزوجة ورجوعها عن نشوزها بأي وسيلة لم يجز استعمال الوسيلة الأخرى في ذلك[٤٩] .

وتدرج هذه الطرق العلاجية جاء بالنظر إلى صلاح الزوجة و مدى حبها لزوجها وبيتها ، فإذا كانت صالحةً كان الوعظ كافياً لإرجاعها إلى المسار الصحيح ، وأثَّر فيها أيَّما

---

[٤٦]- مجمع البيان ١ / ٥٢٧ .
[٤٧]- التفسير الكبير ١٠ / ٧٢ ، وظ مجمع البيان ٢ / ٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٥ / ١١٢.
[٤٨]- الميزان ٢ / ٣٦٧ ، وظ في ظلال القرآن ٥ / ١٤ .
[٤٩]- ظ التفسير الكبير ١٠ / ٧٢ .

تأثير ، أما إذا كانت أقل صلاحاً فلا بد لها من وسيلة أشد من الوعظ وهي الهجر في المضاجع ، لما له من أثر في نفسية المرأة إذا نظرت إلى حالها مرغوباً عنها مزهوداً فيها ، وهي التي اعتادت أنْ تكون موضع تودد وتحبب من قبل الرجل[٥٠] ، فإنْ لم تنفع هذه الوسيلة فلا بد من الضرب غير المبرح لمواجهة الانحراف النفسي والسلوكي الذي تعاني منه الزوجة التي لم يرجعها إلى رشدها الوعظ ولا هجر المضاجع .

ثانياً: التدرج السلبي :

وهو الانتقال من أمر إلى آخر على نحو تنازلي ، أي إن دلالة الأفعال المتتابعة تقل شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى أقل ما يمكن قبوله ، ومنه قوله تعالى :﴿ **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أو ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٦٧) .

فالأمر الأول هو القتال في سبيل الله تعالى ، فإنْ لم يكن ((فقاتلوا دفاعاً عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ، يعني كونوا إما من رجال الدين ، أو من رجال الدنيا ، قال السدي وابن جريح : ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا وإنْ لم تقاتلوا معنا ، قالوا : لأنَّ الكثرة أحد أسباب الهيبة والعظمة))[٥١] .

ولا يخفى البون الشاسع بين القتال في سبيل الله بعزيمة وإيمان ؛ وبين الدفاع عن الأنفس والأموال لغرض دنيوي ، أو لتكثير السواد ، ولكنه لما يأس من قتالهم كونهم من المنافقين أراد إقامة الحجة عليهم ، بأنَّهم تخاذلوا عن نصرة المسلمين ، حتى الدفاع لم يفعلوه .

ومثله قوله تعالى :﴿ **وَإِذا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَاأو رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً** ﴾(النساء:٨٦) ، قيل: إنَّ رد التحية بأحسن منها خاص بالمسلمين ، وأما ردها كما هي فهو لأهل الكتاب ، وقيل : هو للمسلمين أيضاً . وعلى العموم فإنَّ ((

٥٠- ظ الإعجاز الفكري في القرآن الكريم: السيد الجميلي : ٦٤ .
٥١- التفسير الكبير ٩ / ٤٢٣ ، وظ مجمع البيان ١ / ٥٣٣ ، والكشاف ١ / ٣٢٨ ، والبحر المحيط ٣ / ١٠٩ .

للجواب مرتبتين أدناهما ردها بعينها ، وأعلاهما الجواب بأحسن منها . ولم يُعيّن سبحانه وتعالى الجواب لأنَّه يتبع العادات والتقاليد المعروفة))[٥٢].

ولا شك أنَّ رد التحية بأحسن منها أفضل من ردها بعينها ، إلا إذا استوفى المحيّي أركانها بقوله : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فلا بأس بردها كما هي .

وعلى ما تقدم جاء قوله تعالى :﴿ **وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أو بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾(يونس : ١٥) . فمطلبهم الأول هو الإتيان بقرآن غير هذا القرآن ، ((يريدون به قرآناً لا يشتمل من المعارف على ما يتضمنه هذا القرآن بأنْ يُترك هذا ويُؤتي بذاك))[٥٣] .

أما مطلبهم الآخر فهو تبديله أي: ((أنْ يُغيَّر ما فيه من المعارف المخالفة لأهوائهم إلى معان يوافقها مع حفظ أصله فهذا هو الفرق بين الإتيان بغيره وبين تبديله))[٥٤].

وعلى هذا يكون معنى التغيير أنْ يأتي بقرآنٍ مغاير لهذا القرآن ، آما تبديله فيعني بقاءه مع تبديل بعض آياته ومعارفه لتوافق توجّهاتهم ، فيكون التغيير أصعب من

التبديل ، لذلك نفى القرآن الكريم على لسان النبي ﷺ في جوابه إمكانية تبديله دون أنْ يذكر التغيير ، لأنَّه إذا نفى الإمكانية في الأمر الأسهل عُلم بالضرورة نفيها في الأصعب[٥٥] .

وقيل : إنَّه نفى التبديل دون التغيير ، لأنَّه ((لما كان الإتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للإنسان لم يحتج إلى نفيه ، ونفى ما هو مقدور للإنسان ، وإنْ كان مستحيلاً ذلك في حقه ﷺ))[٥٦].

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **اقْتُلُواْ يُوسُفَ أو اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ** ﴾(يوسف:٩) ، قال الرازي : ((واعلم أنَّه لما قوى الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه. وذلك لا يحصل إلا بأحد

---

[٥٢]- مواهب الرحمن ٩ / ١١٤ .
[٥٣]- الميزان ١٠ / ٢٤ .
[٥٤]- السابق ١٠ / ٢٤ .
[٥٥]- ظ التفسير الكبير ١٧ / ٢٢٤.
[٥٦]- البحر المحيط ٥ / ١٣١ ، وظ الكشاف ٢ / ٣٢٣ .

طريقتين : القتل أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك))[٥٧] .

فالقتل هو المطلب الأول ، فإنْ لم يكن ، فلا بد من إبعاده ونفيه إلى أرض نائية . ((ويجوز أنْ تكون (أو) للتنويع ، أي : قال بعض اقتلوا يوسف وبعض اطرحوه))[٥٨] .

نلحظ مما تقدم أنَّ التدرج السلبي يتكون من أمرين ، يكون أولهما مفضَّلاً لدى الآمر ، ولكنه إذا لم يتحقق فإنَّه يعدل منه إلى آخر أقل منه وأدنى ، ولو تحقق الأمر الأول لما احتاج إلى الثاني ، أي إن أوامر التدرج السلبي يغني أولها عن ثانيها ، بخلاف التدرج الإيجابي فغالباً ما لا يُغني الأول عن الآخر ، ولا بد من الجمع بين الأفعال متدرجين من الأول إلى الأخير . ويكون حرف العطف في التدرج السلبي هو (أو) ، أما في التدرج الإيجابي فحرف العطف هو الواو .

دلالة العام والخاص

من العلوم القرآنية التي بحثت في كتب علوم القرآن ،حيث عُرِّف العام بأنَّه ((لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر))[٥٩] ، أو هو ((اللفظ الذي نجد فيه دالاً – في أصل وضعه اللغوي- على استغراقه جميع الأفراد التي يصدق عليها معناه من

غير حصر كمي ولا عددي)) [٦٠]. ومن أدواته : كل والأسماء الموصولة والمعرف بـ(ال) الجنسية وغيرها[٦١]. أما الخاص ((فهو اللفظ الموضوع للدلالة على فرد واحد مثل عمر ، أو واحد بالنوع مثل رجل ، أو على أفراد محصورة الكم والعدد كاثنين وعشرة وألف ، وقوم وأمة وطائفة وفريق)) [٦٢].

---

[٥٧]- التفسير الكبير ١٨ / ٤٢٤ .
[٥٨]- البحر المحيط ٥ / ٢٨٣ .
[٥٩]- الاتفان للسيوطي ٣ / ٤٨،
[٦٠]- مباحث في علوم القرآن : ٣٠٤.
[٦١]- ظ الاتفان ٣ / ٤٨، مباحث في علوم القرآن : : ٣٠٤
[٦٢]- مباحث في علوم القرآن:٣٠٧.

أما هنا فنعني به الإتيان بأمر عام يشمل أصناف متعددة مما يؤمر به ، أو من المأمورين ، ثم يأتي بعده بأمر يخص أحد تلك الأصناف أو بالعكس ، وهو على قسمين : الانتقال من العام إلى الخاص ، والانتقال من الخاص إلى العام .

أولا: الانتقال من العام إلى الخاص:

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ (البقرة : ٤٣) فقد أمر بالعام وهو الصلاة ثم انتقل إلى الخاص وهو الركوع ، لأنَّه أحد أركان الصلاة ، وعُلل ذلك من عدة وجوه ((أحدها أنَّ الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنَّه أبعد من اللبس ، (وثانيها) أنَّه عبَّر بالركوع عن الصلاة (...) وإنَّما قيل ذلك لأنَّ الركوع أول ما يُشاهد من الأفعال التي يُستدل بها على أنَّ الإنسان يصلي فكأنَّه كرر ذكر الصلاة تأكيداً (...) (وثالثها) إنَّه حث على صلاة الجماعة لتقدم ذكر الصلاة في أول الآية))[٦٣].

وقيل : أريد بالركوع هنا الخضوع والانقياد على أصل وضعه في اللغة[٦٤].

ومثله قوله تعالى :﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (طه : ١٤) فالصلاة تدخل في العبادة ، ولكنها خُصَّتْ بالذكر لأنَّها ((أكمل صورة من صور العبادة ، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر ، لأنَّها تتمخض لهذه الغاية ، وتتجرد من كل الملابسات الأخرى ؛ وتتهيأ فيها النفس لهذا الغرض وحده ، وتتجمع للاتصال بالله))[٦٥] .

---

[٦٣]- مجمع البيان ١ / ٩٧ ، وظ الكشاف ١ / ١٣٦ ، والتفسير الكبير ٣ / ٤٨٧ .
[٦٤]- ظ الكشاف ١ / ١٣٦ .
[٦٥]- في ظلال القرآن ١٦ / ٦٩ .

فذكر الصلاة هنا جاء تنبيهاً علـى أهميتها للفرد ، وتشريفاً لها عن سائر العبادات ؛ لأنَّها وسيلة مباشرة لاتصال العبد بربه ، وفيها السجود الذي يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله تعالى .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾(الأحزاب:٤١–٤٢) ، قال الزمخشري : ((والتسبيح من جملة الذكر ، وإنَّما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ، ليُبيّن فضله على سائر الأذكار ، لأنَّ معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال ، وتبرئته من القبائح))[٦٦].

وهذا على أن يكون المقصود بالذكر أنواع الثناء على الله تعالى بكل ما هو أهله من تقديس وتحميد وتمجيد وغيرها ، ((ويجوز أنْ يريد بالذكر وإكثاره : تكثير الطاعات ، والإقبال على العبادات ؛ فإنَّ كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ، ثم خص من ذلك التسبيح بكرةً وأصيلاً وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها .أو صلاة الفجر والعشاءين ، لانَّ أداءها أشق ومراعاتها أشد))[٦٧] .

ويبدو مما تقدم أنَّ ذكر الخاص بعد العام لا يكون إلا لنكتة بلاغية ، يكون لها أثرها في توجيه الدلالة . فكل ما ذُكر من الخاص بعد العام كان له فضل العناية والاهتمام ، ولبيان ذلك الاهتمام فقد ذُكر مرتين ، مرة ضمناً مع العام ، وأخرى صراحةً تفرَّد بها .

ثانياً: الانتقال من الخاص إلى العام :

وهو خلاف المبحث السابق ، أي إنه يذكر الخاص ثم يعمد بعده إلى ذكر العام ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾(الحجر: ٩٨ – ٩٩) ، فذكر التسبيح والسجود ، وكلاهما داخلٌ في العبادة التي أمر بها بعدهما ، قال أبو حيان : ((لمَّا كان الصادر من المستهزئين اعتقاداً ، وهو فعل القلب وقولاً وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة أمر تعالى بما يقابل

---

[٦٦]- الكشاف ٣ / ٥٢٨ ، وظ البحر المحيط ٧ /٢٣٧ .
[٦٧]- الكشاف ٣ / ٥٢٨ ، وظ البحر المحيط ٧ / ٢٣٧ .

ذلك من التنزيه لله ومن السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع ما يُتقرب به إليه تعالى))[٦٨] .

وأراد بالساجدين ((المصلين ، فذكر من الصلاة حالة القرب من الله تعالى وهي السجود ، وهي أكرم حالات الصلاة ، وأقمنها بنيل الرحمة))[٦٩] .

ودلالة السياق تشير إلى أنَّ التسبيح والصلاة المأمور بهما في الآية الكريمة إنَّما أُريد بهما إزالة آثار الغم وما كان يختلج في صدر الرسول ﷺ بسبب أقوال المستهزئين وأفعالهم . فهما بمثابة العلاج لتطييب النفس ورفع الهم عنها في حالة خاصة ووضع محدد ، والمعنى لا تكترث لأقوال هؤلاء وأفعالهم و((افزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلة الحكم أعني الأمر بالتسبيح والحمد))[٧٠] .

ثم انتقل إلى العبادة التي هي أعم من التسبيح والسجود ، وفي حالة أعم من حالة الهم والغم من المشركين . وهذا من أجمل التناسب عبادة خاصة في ظرف خاص ، وعبادة عامة في ظرف عالم . وقيل : إنَّ المراد باليقين هنا هو الموت ، أو النصر الذي وعد به ﷺ [٧١] .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(الحج : ٧٧) ، قال سيد قطب : ((إنَّه يبدأ بأمر الذين آمنوا بالركوع والسجود ، وهما ركنا الصلاة البارزان . ويُكنِّي عن الصلاة بالركوع والسجود ليمنحها صورةً بارزةً ، وحركةً ظاهرةً في التعبير ، ترسمها مشهداً شاخصاً ، وهيئةً منظورةً . لأنَّ التعبير على هذا النحو أوقع أثراً وأقوى استجاشةً للشعور))[٧٢] . بعد ذلك ينتقل إلى الأمر العام ، الأمر بالعبادة ((وهي أشمل من الصلاة . فعبادة الله تشمل الفرائض كلها وتزيد عليها كذلك كل عمل وكل حركة وكل خالجة يتوجه بها الفرد إلى الله

---

[٦٨]- البحر المحيط ٥ / ٤٧٠ .
[٦٩]- تفسير ابن عطية ٣ / ٣٧٦ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ١٠ ٤٢ ، وتفسير أبي السعود ٥ /٩٣، وروح المعاني ١٤ / ٨٨ .
[٧٠]- تفسير أبي السعود ٥ / ٩٣ وظ الكشاف ٢ / ٥٦٨ .
[٧١]- ظ تفسير ابن عطية ٣ / ٣٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٤٢ .
[٧٢]- في ظلال القرآن ١٧ / ١٢٥ .

. فكل نشاط الإنسان في الحياة يمكن أنْ يتحول إلى عبادة متى توجه القلب به إلى الله . حتى لذائذه التي ينالها من طيبات الحياة بلفتة صغيرة تصبح عبادات تُكتب له بها حسنات . وما عليه إلا أنْ يذكر الله الذي أنعم بها ، وينوي بها أنْ يتقوى على طاعته وعبادته فإذا هي عبادات وحسنات ، ولم يتحول في

طبيعتها شيء ، ولكن تحول القصد منها والاتجاه . ويختم بفعل الخير عامة ، وفي التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة))[٧٣] .

فالانتقال هنا كان من الخاص وهو الصلاة ، إلى العام وهو العبادة ، إلى الأعم وهو عمل الخير ، والمراد به صلة الرحم ومكارم الأخلاق وسائر أفعال البر والإحسان[٧٤] .

فالصلاة ((نوع من أنواع العبادة والعبادة نوع من أنواع فعل الخير ، لأنَّ فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة على الفقراء وحسن القول للناس فكأنَّه سبحانه قال كلفتكم بالصلاة بل كلفتكم بما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم بما هو أعم من العبادة وهو فعل الخيرات))[٧٥] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً** ﴾(نوح : ٢٨) ، فخص بطلب المغفرة ((أولاً من يتصل به ، لأنَّهم أولى وأحق بدعائه ، ثم عمَّ المؤمنين والمؤمنات))[٧٦] .

يتضح مما تقدم أنَّ الانتقال من الخاص إلى العام يأتي لغرض دلالي معين ، قد يكون الاهتمام أو التشريف ، أو الأولوية كما في الآية الأخيرة وفيه ترويض للنفس وتمكين لها على تقبل الأمر ، حيث يتم الانتقال من حالة إلى أخرى دونما نصب أو مشقة ، بخلاف الأمر الشاق المفاجئ فربما كان عبء وثقل على المأمور به .

---

[٧٣]- في ظلال القرآن ١٧ / ١٢٥ .
[٧٤]- ظ الكشاف ٣ / ١٦٦ ، وروح المعاني ١٧ / ٢٠٨ .
[٧٥]- التفسير الكبير ٢٣ / ٢٥٤ ، وظ البحر المحيط ٦ / ٣٩١ .
[٧٦]- الكشاف ٤ / ٦٠٩.

دلالةالأمــر المـعلَّـل

لم يكن الأمر القرآني مجرداً عن ظواهر التعبير الأخرى ، فغالباً ما كان مصاحباً لها مشتركاً معها في رسم صور الدلالة وإيضاح حدودها ، ومن تلك الظواهر ظاهرة التعليل ، وهي : أنْ تأتي جملة مع الأمر تبيّن سبب مجيئه ، وعلة وقوعه ، سواء

تأخرت هذه الجملة على الأمر أم تقدمت ، وسنبحث ذلك حسب موقع هذه الجملة من الأمر ، ذاكرين أنماطها التي جاءت بها .

أولاً: فعل الأمر + جملة التعليل:

ورد هذا التركيب في مئة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم[٧٧] ، وقد تنوعت أنماط جمله التعليلية ، وكان أكثرها وروداً الجملة المصدرة بأنَّ مكسورة ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾(طه : ٤٣) ، قال ابن عاشور : ((فجملة (إنَّه طغى) تعليل للأمر بالذهاب إليه ، وإنَّما صلحت للتعليل لأنَّ المراد ذهاب خاص ، وهو إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغييره عما هو عليه من عبادة غير الله ، ولما علم موسى ذلك لم يُبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون ، بل تلقى الأمر وسأل الله الإعانة عليه ، بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تبليغه ، وإعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجة))[٧٨] .

ومثله قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الحج:١) ، فعلل الأمر بالتقوى بقوله (إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم) ((والتعليل

---

[٧٧]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٢٠ .
[٧٨]- التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٠ .

يقتضي أنَّ لزلزلة الساعة أثراً في الأمر بالتقوى وهو أنَّه وقت لحصول الجزاء على التقوى وعلى العصيان وذلك على وجه الإجمال المفصل لما بعده في قوله ((ولكن عذاب الله شديد))))[٧٩] .

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **اتْلُ مَا أوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾(العنكبوت : ٤٥) . فعلل الأمر ((بإقامة الصلاة بالإشارة إلى ما فيها من الصلاح النفساني فقال ((إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)) ، فموقع (إنَّ) هنا موقع فاء التعليل ولا شك أنَّ هذا التعليل موجه إلى الأمة لأنَّ النبي ﷺ معصوم من الفحشاء والمنكر فاقتصر على تعليل الأمر بإقامة الصلاة من دون تعليل الأمر بتلاوة القرآن لما في هذا الصلاح

الذي جعله الله في الصلاة من سر إلهي لا يهتدي إليه الناس إلا بإرشاد منه تعالى ؛ فأخبر أنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والمقصود أنَّها تنهى المصلي))[٨٠].

ونلاحظ أنَّ تعليل الأمر جاء لأغراض متنوعة ، وكان الجامع لها الحث على تنفيذ ذلك الأمر ، ففي الآية الأولى كان الغرض هو تحريك النفس واستنهاض الهمة للذهاب إلى فرعون لأنَّه طغى ، والطغيان مما يستثير النفس ويدفعها لمواجهته ، بمعنى أنَّ ذكر الطغيان يحتِّم على المرء أنْ يقف بوجهه ، فإذا كان هذا المرء نبياً تنامت داخله حتمية التصدي لهذا الطغيان وردعه ، وأنْ يكون أول المتصديين له .

أما في الآية الثانية فكان غرض التعليل هو الترهيب والتخويف وهذا يدفع إلى تقوى الله على أمثل وجه ، أي ((إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم)) ولن تأمنوا ذلك إلا بتقوى الله ، فلتكن هذه التقوى محصِّنة لكم عن ارتكاب المعاصي بالقدر الذي يمكنكم به أنْ تأمنوا زلزلة الساعة .

وكان غرض الآية الثالثة هو تحبيب الصلاة وتقريبها إلى النفس من خلال ذكر أثرها في إصلاح الفرد وبالتالي إصلاح المجتمع ، فمما لا شك فيه أنَّ الصلاح بكل صوره غاية

---

[٧٩]- السابق ١٧ / ١٨٨ .
[٨٠]- التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٥٨ .

يطلبها الفرد ويسعى إلى تحقيقها ، فذكر الصلاة بأنَّها من وسائل تحقيق هذا الصلاح يجعل الفرد أكثر إقبالاً عليها وأشد رغبةً فيها ؛ لأنَّها وسيلته إلى تحقيق مبتغاه .

ومن الأنماط الأخرى للجملة المعلِّلة أنْ تتصدر بعسى ولعل الدالين على الترجي ، نحو قوله تعالى :﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾(يوسف من الآية:٢١) ، فرجاء عزيز مصر في نفع يوسف عليه السلام ، أو تبنيهم له كان علةً قوله ((لامرأته أكرمي مثواه)) .

ومثله قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام :﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾(القصص :٩) .

أما ما صُدِّر بلعل فقوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(آل عمران :١٣٢) ، فأمرهم بالطاعة رجاءً لرحمته تعالى، وقوله جل وعلا :﴿ **قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ** ﴾(الأنبياء : ٦١) ،

وتأتي الجملة التعليلية لتعليل أكثر من أمر كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(المائدة:٣٥) ، فترجي الفلاح وتأمل حصوله كان علةً للأوامر المتدرجة من الإيمان إلى التقوى إلى ابتغاء الوسيلة .

ومن الجمل التعليلية ما جاءت مصدَّرة بفعل مضارع مجرد أو مسبوق بأحد الحروف الداخلة على المضارع نحو قوله تعالى :﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(التوبة : ١٠٣) ،

((فعلة الأمر بأخذ الصدقة من أموالهم هو من أجل تطهيرهم وتزكيتهم ، فجملة تطهرهم وتزكيهم جملة تعليلية لما قبلها))[٨١].

ومثله قوله تعالى :﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(الأنفال:٣٩) . فمنع الفتنة وأنْ يكون الدين خالصاً لله تعالى هو سبب الأمر بقتالهم ، ومثله قوله جل وعلا :﴿ **حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ**

[٨١]- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٢٢ .

قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ١٨) .

ويلاحظ أنَّ جملة التعليل في هذا النمط أفادت تجنب العلة والتخلص منها بتنفيذ الأمر ، والمعنى في الآية الأولى : لكي تتجنَّبوا الفتنة ، وتنجوا من مضارها ، ولكي يكون الدين كله لله عليكم بقتال هؤلاء . وسبب الأمر في الآية الأخرى كي يتجنبوا تحطيم سليمان عليه السلام وجنوده لهم وهم لا يشعرون ، وجب عليهم دخول مساكنهم.

ويبدو مما تقدم أنَّ الجملة التعليلية في كل نمط من الأنماط المتقدمة أفادت غرضاً لا يوجد في النمط الآخر ، وهذا يدل على سعة الدلالة القرآنية ودقتها في تصوير الأشياء .

ثانياً:الجملة التعليلية + فعل الأمر:

ورد هذا التركيب في سبعين موضعاً من القرآن الكريم[٨٢] . وكثيراً ما سُبقت جمله التعليلية بالنداء ، نحو قوله تعالى :﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(آل عمران : ١٦) . فإيمانهم هو السبب لطلبهم الوقاية والمغفرة من النار ، ولولاه لما كان لهم أنْ يطلبوا ذلك .

ومثله قوله تعالى :﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ** ﴾(الشعراء : ١٢ – ١٣) . فطلب موسى عليه السلام الإرسال إلى هارون ، وإشراكه معه في حمل الرسالة ، ليس توانياً في أمر الله تعالى ، إنَّما كان بسبب خوفه من تكذيبهم له ، وعدم نطق لسانه بسبب ما كان فيه من حبسه ، فطلب انْ يشد الله أزره بأخيه هارون ، لأنَّه أفصح منه لساناً ، فموسى عليه السلام ((امتثل وتقبل ، ولكنه التمس من ربه أنْ يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته . فمهَّد قبل التماسه عذره فيما التمسه ، ثم التمس بعد ذلك ، وتمهيد العذر في التماس

المعين على تنفيذ الأمر : ليس بتوقف في امتثال الأمر ، ولا بتعلل فيه ؛ وكفى بطلب العون دليلاً على التقبُّل لا على التعلُّل))[٨٣] .

---

[٨٢]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٢٢ .
[٨٣]- الكشاف ٣ / ٢٩٤ .

وتأتي جملة التعليل في هذا التركيب جملةً اسميةً نحو قوله تعالى :﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ** ﴾(يونس:٣) . فـ (ذلكم الله ربكم) عللت العبادة ، وفيها ((إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة ، أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم ، وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان ، فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع))[٨٤]

ومثله قوله تعالى :﴿ **وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ (المنافقون : ٤) . أي هؤلاء المنافقون هم الأعداء المتعيَّن حذرهم ؛ لأنَّهم ((الكاملون في العداوة ؛ لأنَّ أعدى الأعداء العدو المداجي ، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي (فاحذرهم) ولا تغتر بظاهرهم))[٨٥].

وتأتي جملة التعليل جملةً فعليةً فعلها ماضٍ نحو قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾(غافر:٧). فجملة (وسعت كل شيء رحمة وعلماً) كانت سبباً لطلبهم المغفرة للمؤمنين ، لأنَّه تعالى رحيم بعباده عالم بصدق توبتهم ، فشجع هذا على طلب المغفرة لهم .

وتأتي جملة التعليل فعلها ماضٍ مبني للمفعول نحو قوله تعالى :﴿ **فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(يوسف : ٦٣) . فطلبهم إرسال أخيهم معهم بسبب منع الكيل عنهم .

وقد تأتي جملة التعليل جملةً شرطية كما في قوله تعالى :﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أو عَلَى سَفَرٍ أو جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أو لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم**

---

[٨٤]- السابق ٢ / ٣١٧ .
[٨٥]- الكشاف ٤ / ٥٢٩ .

مِّنْـهُ ﴾(المائدة من الآية :٦) . حيث تضمنت الآية الكريمة جملتين شرطيتين وقعتا علة للأمر بعدهما ، فالأولى قوله تعالى : (إذا قمتم إلى الصلاة) حيث وقعت علةً لغسل الوجوه والأيدي ومسح الرؤوس والأرجل . والأخرى قوله تعالى : (وان كنتم مرضى ... فلم تجدوا ماءً) حيث وقعت علةً للتيمم .

ونلحظ في كل الآيات المتقدمة اقتران فعل الأمر بعد جملة التعليل بالفاء الرابطة ، ومعلوم ((أنَّ اختلاف الجملتين هو الملجئ لاقتران الفعل بهذه الفاء في كل الآيات التي احتوتها هذه الصورة ، فالجملة التعليلية جملة خبرية محضة ، وجملة الأمر إنشائية ، ونظراً لهذا التباين كان لزاماً مجيء الفاء لربط هاتين الجملتين المختلفتين)) [٨٦] .

ويبدو أنَّ موقع الجملة التعليلية كان له أثره في ذلك الأمر وجهة صدوره ، فنرى في النمط الأول ، وهو الذي يتقدم فيه الأمر على جملة التعليل ، أنَّه أكثر ما يكون من المولى عز وجل إلى العبد ، وعلة ذلك أنَّ هذا الأسلوب يتضمن تخفيف الأمر وتسهيله ، والترغيب في عمله ، من خلال ذكر السبب الذي دعا إليه ، فمعلوم أنَّ الأمر كلما أُتبع بما يبيّنه ويوضِّحه كان أسهل على المأمور به ، ولا سيما إذا تضمن هذا التبيين فائدةً تعود على المأمور ، أو حثاً أو تشجيعاً له ، فكل ذلك يكون حافزاً ودافعاً لتنفيذ الأمر والالتزام به. أما في النمط الثاني ، وهو الذي تتقدم فيه جملة التعليل على الأمر ، فنرى الخطاب أكثر ما يكون من العبد إلى بارئه ، وهذا منهج تعليمي ، يهدف الى تعليم العبد آداب الدعاء ومستلزماته ، وفي مقدمة ذلك أن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ، ليكون ذلك الثناء بمنزلة الاستهلال أو التمهيد للسؤال وطلب الحاجة .

دلالة الأمر المؤكَّد

[٨٦]- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٢٣ .

للتوكيد طرائق متنوعة ، ذكرها النحاة في كتبهم ، منها ما هو لفظي وآخر معنوي ، ولا يقتصر ذلك على أسلوب الأمر وحده ، إنَّما يشمل أساليب العربية الأخرى أيضاً . ولا نريد هنا الحديث عن التوكيد ، ولكننا نريد أنْ نبيّن دلالة توكيد الأمر ، وطرقه التي يتم بها . وهي :

أولاً:التوكيد بالمصدر:

وهو من أشهر أنواع التوكيد اللفظي ، ومنه قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾(الأحزاب: ٥٦). حيث أكد الفعل (سلمّوا) بمصدره ، وقيل في معنى التسليم هنا : ((انقادوا لأوامره ، وابذلوا الجهد في طاعته ، وفي جميع ما يأمركم به . وقيل : معناه سلموا عليه بالدعاء أي قولوا السلام عليك يا رسول الله))[٨٧].

واختص التسليم بالتوكيد دون الصلاة ؛ ((لأنَّها مؤكَّدة بإعلامه تعالى أنَّه يصلي عليه وملائكته ولا كذلك التسليم فحسن تأكيده بالمصدر إذ ليس ثم ما يقوم مقامه))[٨٨] .

وعلى ذلك تكون الآية الكريمة قد جمعت بين التوكيد اللفظي ، وهو المصدر ، وبين التوكيد المعنوي ، وهو قوله تعالى : ((إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي)) ، حيث تضمن هذا القول حثاً وتوكيداً على الصلاة عليه ﷺ .

ونظير ما تقدم قوله تعالى:﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً** ﴾(الإسراء: ١١١). والمعنى: ((عظِّمه عظمةً تامةً ، ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال : الله أكبر ، أي صفه بأنَّه أكبر من كل شيء))[٨٩].

ويأتي المصدر مؤكِّداً لمضمون الجملة كما في قوله تعالى :﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ**

---

[٨٧]- مجمع البيان ٨ / ٣٧٠.
[٨٨]- روح المعاني ٢٢ / ٨٠ ، وظ التحرير والتنوير ٢٢ / ١٠٣ .
[٨٩]- الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٢٣ ، و١٥ / ٢٣٩.

كَانَعَلِيماً حَكِيماً ﴾(النساء:١١) . حيث نصب (فريضة) ((نصب المصدر المؤكد ، أي فرض ذلك فرضاً))[٩٠] .

ويؤكَّد أحياناً بما ينوب عن المصدر نحو قوله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ (الحج من الآية:٧٨) . فالمصدر هو الجهاد ، ولكنه جاء بكلمة (حق) فنابت منابه للمبالغة في التوكيد على انْ يكون الجهاد تاماً خالصاً لوجهه تعالى ، لذلك أضاف الجهاد إلى ضمير المولى عز وجل ، قال الزمخشري : ((فإنْ قلت : ما وجه هذه الإضافة ، وكان القياس: حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه ، كما قال (وجاهدوا في الله) قلت : الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص ، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله ، صحت إضافته إليه))[٩١].

والتوكيد بالمصدر يدخل في باب التوكيد اللفظي ولكنه ليس بتكرير اللفظ ، وهو أبلغ في توكيد الحدث من إعادة الفعل .

ثانياً: التوكيد بالظرف:

ويأتي الظرف مؤكِّداً لزمن فعله نحو قوله تعالى :﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ** ﴾(الدخان:٢٣). فالإسراء هو السير في الليل ، ((فيكون قوله :(ليلاً) تأكيداً له وتصريحاً به))[٩٢] وذكر ابن عاشور أنَّ تقييد الإسراء هنا ((بزمان الليل نظير تقييده في سورة الإسراء[٩٣] ، والمقصود منه تأكيد معنى الإسراء بأنَّه حقيقة وليس متصلاً مجازاً في التبكير بناءً على أنَّ المتعارف في الرحيل أنْ يكون فجراً))[٩٤] .

وقد جاء الأمر لموسى عليه السلام بالإسراء في سورتين أخريين هما : طه والشعراء ، ولكنه لم يُؤكَّد بكلمة (ليلاً) ، فقال تعالى في سورة طه :﴿ **وَلَقَدْ أوحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى** ﴾(طه : ٧٧) ، وقال جل وعلا في سورة الشعراء : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ** ﴾ (الشعراء :٥٢) .

ويبدو أنَّ سر توكيده في سورة الدخان ، أنَّ قصة موسى عليه السلام في سورة طه تذكر الطور الأول من التكليف الإلهي ، وبداية التبليغ بحمل رسالة السماء والنهوض بأعبائها ، لذلك كان موسى عليه السلام خائفاً وجلاً من هذه المسؤولية العظيمة ، فأكثر في سؤاله المولى عز وجل عندما أمره بالذهاب إلى فرعون

---

[٩٠]- الكشاف ١ / ٤٧٤ .
[٩١]- السابق ٣ / ١٦٩.
[٩٢]- الميزان ١٨ /١٤.
[٩٣]- يقصد قوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ الإسراء :من الآية :١.
[٩٤]- التحرير والتنوير٢٥ / ٢٩٩.

بقوله :﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾(طه :٢٥-٣٢) ، فكان اللطف الإلهي يقتضي تهدئته وتسكين روعه لإعداده لهذا العمل الشاق ، فكانت أولى خطوات تلك التهدئة إعطاءه كل ما سأل ، وأجمله تعالى بقوله :﴿ **قَالَ قَدْ أوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾(طه :٣٦) ، وتعزيزاً لهذا المعنى ترددت عبارة (لا تخف) في هذه السورة نحو قوله تعالى :﴿ **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** ﴾(طه :٢١) وكذلك

قوله تعالى :﴿ **قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾(طه :٤٦) وكذلك قوله تعالى :﴿ **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى**﴾ (طه :٦٨) . فحالة الخوف كانت تنتاب موسى عليه السلام بين الحين والآخر ، عندما رأى عصاه أفعى ، وعندما أُمر بالذهاب إلى فرعون ، وعندما تحولت حبال السحرة إلى عصي ، لذلك كان سياق السورة المباركة يؤكد على تهدئة موسى عليه السلام وطمأنته ، ومن ذلك الآية محل البحث ، فلم يؤكد الإسراء بالليل حتى لا يتبادر إلى ذهن موسى عليه السلام أنَّ الأمر خطير وأنَّهم سوف يُقتلون وما إلى ذلك ، وهو ما يناقض سياق السورة المبني على التهدئة وتسكين الروع ، يعضد ذلك نهاية الآية المباركة وهو قوله تعالى :((فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى)) فهو أمر بعدم الخوف أيضاً زيادةً في التهدئة .

أما في سورة الشعراء فإنَّ الأمر لم يعد كذلك ، وموسى عليه السلام أصبح مهيأ لأعباء الرسالة ، مستعداً لمشاقها ، ولم يعد ينتابه خوف من أفعى أو من الذهاب إلى فرعون ، فجاءت الآية مدار

البحث مؤكِّدةً لذلك ، فجاء الأمر بالإسراء معلَّلاً بقوله تعالى (إنَّكم متبعون) وهذه العبارة لو جاءت في سورة طه لكان لها من الإرباك والتخويف نصيب كبير يختلف عن مجيئها هنا حيث أفادت السرعة في الإسراء بسبب اتِّباع فرعون وملئه لهم ، فكان الحث على الإسراء بدرجة أكبر من سابقتها في سورة طه .

أما في سورة الدخان فالسياق يتسم بالإيجاز والاختصار ، وليس فيه من التطويل ما في سورة طه والشعراء ، فجاء الأمر بالإسراء مبالغاً في تقييده بالسرعة الممكنة ، وحثَّ على سرعة الإسراء بقوله (ليلاً) دونما أي إنتظار، مع العلم أنَّ الإسراء لا يكون إلا ليلاً ، وكذلك جاء قوله تعالى (إنَّكم متبعون) ، فكلاهما أفاد الحث والإسراع في الإسراء ، وهذا يتماشى مع جو السورة المباركة ، فأضاف كلمة في اللفظ ليعزز معنى السرعة والإيجاز في امتثال الأمر وعدم التماهل فيه ، لذلك جاء (ليلاً) هنا ولم تأت في سورتي (طه) و(الشعراء) ، والله أعلم .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ**

بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد:١٣). فالتوكيد في قوله (ارجعوا وراءكم) ، وقيل في معناه : ((طرد لهم وتهكم بهم ، أي : ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أُعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك ، فمن ثَمَّ يُقتبس ، أو ارجعوا إلى الدنيا ، فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان ، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا ، فالتمسوا نوراً آخر ، فلا سبيل لكم إلى هذا النور ، وقد علموا أنْ لا نور وراءهم ؛ إنَّما هو تخييب وإقناط لهم)) [٩٥] .

وقيل : إنَّ (وراءكم) ((تأكيد لمعنى (ارجعوا) إذ الرجوع يستلزم الوراء وهذا كما يُقال : رجع القهقرى . ويجوز أنْ يكون ظرفاً للفعل (التمسوا نوراً) أي في المكان الذي خلفكم وتقديمه على عامله للاهتمام)) [٩٦] .

وذهب أحد الباحثين إلى أنَّ (((وراءكم) اسم فعل بمعنى فعل الأمر أي : تأخروا والمعنى : ارجعوا تأخروا فقوله : وراءكم : ليس ظرفاً ، لأنَّ الظروف لا يُؤكد بها ، لأنَّه عندما يكون ظرفاً فهو من مكملات الكلام بأنْ يكون مفعولاً فيه ، فلا يتفق هذا مع كونه توكيداً ، لأنَّ التوكيد اللفظي تابع ، والظرف في هذه الحالة ليس تابعاً بل هو محل لحدوث الفعل)) [٩٧] .

وليس الأمر كذلك ، فلا يُشترط في (وراءكم) أنْ يكون تابعاً ليؤدي معنى التوكيد ، لأنَّ التوكيد هنا ليس لفظياً إنَّما هو توكيد معنوي ليس قياسياً ، وأفاد التوكيد لأنَّه سُبق بفعل من معناه ، فالرجوع لا يكون إلا إلى الوراء ، ولو غُيِّر الفعل بآخر كقولنا : اذهبوا وراءكم ، لما تحقق معنى التوكيد ، لأنَّ الذهاب قد يكون بأي اتجاه ، ولا يُشترط به انْ يكون إلى الوراء .

وما يراه الباحث أنَّ (وراءكم) ظرف مكان للفعل (ارجعوا) ، والمراد به الدنيا ، بمعنى : إنَّ النور الذي أرتم الاقتباس منه إنَّما حصل عليه هؤلاء المؤمنون في الدنيا بحسن أعمالهم وإيمانهم ، ولم يحصلوا عليه هنا ، وأكَّد الفعل بظرف من معناه دلالةً على استحالة وقوع هذا الأمر ، وفيه من جهة أخرى تقريع وتوبيخ لهم على ما فرطوا فيه من قبلُ في دنياهم ، وهو زيادة في العذاب النفسي ، لأنَّهم لم يزرعوا ليحصدوا ، وزادهم غماً رويةُ المؤمنين حاصدين ، وقد مضى زمن الزرع ، وهو مصداق لقول الشاعر :

إذا أنت لم تزرعْ وأبصرتَ حاصداً ندمتَ على التفريط في زمن الزرع

ثالثاً: التوكيد بالحال:

---

[٩٥]- الكشاف ٤ / ٤٦٣ .

[٩٦]- التحرير والتنوير٣٨٣/٢٧.

[٩٧]- أسلوب التوكيد في القرآن الكريم : محمد حسين أبو الفتوح : ٢١ – ٢٢ .

جعل النحاة الحال على قسمين : مؤسسة وهي التي تفيد معنىً جديداً نحو قوله تعالى :﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾(البقرة :١١٩) ، ومؤكِّدة : وهي التي تؤكِّد معنىً سابقاً لها نحو قوله تعالى :﴿ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا**﴾ (النمل :١٩)

وما يعنينا هنا الأمر الذي أُكِّد بالحال نحو قوله تعالى :﴿ **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعا** ً﴾ (البقرة من الآية:٣٨) ، فجميعاً ((حال في اللفظ تأكيدٌ في المعنى كأنَّه قيل: اهبطوا أنتم أجمعون ، ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعاً))[٩٨]. فالتوكيد هنا مختص بهبوطهم كلهم ولا يُشترط اجتماعهم في زمن واحد .

ومثله قوله جل وعلا :﴿ **اتَّبِعْ مَا أوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(الأنعام :١٠٦) ، فقوله (لا إله إلا هو) ((اعتراض أكَّد به إيجاب اتباع الوحي لا محل له من الإعراب . ويجوز أنْ يكون حالاً من ربك ، وهي حال مؤكِّدة))[٩٩] ، أي متفرداً في الإلوهية[١٠٠] .

رابعاً: التوكيد بالقسم:

نحو قوله تعالى :﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾(النساء :٦٥) فأكَّد بالقسم الأمر الضمني ، وهو أنْ يحكِّموا الرسول الكريم ﷺ فيما شجر بينهم .

ومثله قوله تعالى :﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ (العصر :١-٣) ، وهذا توكيدٌ للأمر الضمني أيضاً ، بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالصبر ، فهذه كلها أوامر ضمنية أكدت بالقسم .

وهناك وسائل أخرى للتوكيد مثل التكرار المعنوي ، وقد تناولناه سابقاً ، وكذلك اجتماع الأمر والنهي ، وسيأتي .

---

[٩٨]- تفسير البيضاوي ١ / ٥٥.
[٩٩]- الكشاف ٢ / ٥٣ .
[١٠٠]- ظ : تفسير البيضاوي ١ / ٣١٦.

دلالة اجتماع الأمر والنهي

ارتبط الأسلوبان بصلة وثيقة ، لعل طابعها العام دلالتهما على الطلب ، وإنْ كان لكل منهما صيغه التي تميزه عن الآخر ، وقيل : إنَّ كل منهما بمعنى الآخر ، لكنه باتجاه الضد ، فالأمر نهي عن ضده ، والنهي أمر بضده ، قال ابن الشجري : ((والنهي بلفظ ((لا تفعل)) هو عند قوم بمعنى الأمر ، قالوا : لأنَّك إذا قلت : نهيته عن كذا فقد أمرته بغيره ، فإذا قلت : لا ترحل ، فكأنك قلت : أقم ، وإذا قلت : لا تصم ، فكأنك قلت : أفطر، وكذا إذا أمرته بشيء فكأنك نهيته عن نقيضه فإذا قلت : ارحل ، فكأنك قلت : لا تقم . وإذا قلت : صم ، فكأنك قلت : لا تفطر))[١٠١] .

وهذه المسألة خلافية ، ويبدو أنَّها تطرد بمعناها العام ، أي إن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، والعكس صحيح ، فقولنا : اذهب بمعنى لا تبق ، وقولنا : لا تبق بمعنى اذهب ، ولكنها لا تطرد إذا ما افترضنا أنَّ لكل صيغة من الامر والنهي ما يقابلها لفظياً في الاتجاه الآخر ، فقولنا : لا تسأل عن صرف الزمان ، ليس له لفظ مقابل في الأمر ، ولكنه أمر بعدم السؤال ، فضلاً عن أنَّ بعض العبارات لها أكثر من عبارة مقابلة في الاتجاه الآخر مثل : لا تجلس ، فهل سيكون مقابلها أمراً بالنوم أم بالوقوف أم بالسير ، ولكنه من حيث المعنى هو أمر بعدم الجلوس .

وما يعنينا هنا دلالات اجتماع الأمر والنهي وفي مقدمتها التوكيد ، ولا سيما إذا ما شكلا طباقاً سلبياً نحو قولنا : اذهب ولا تذهب ، ومنه قوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾(آل عمران :١٧٥) ، فقوله (خافون) توكيد للنهي السابق لها ، وقدَّم النهي هنا ؛ لأنَّه مدار الحديث ، فالموضع موضع حرب ، والشائعات والأخبار أخذت تصل إلى المسلمين بأنَّ المشركين قد جمعوا لهم ، فكان لزاماً على المؤمنين إذا ما أرادوا تحقيق النصر ألا يخافوا هذا الجمع ، ولا الأخبار المصاحبة له ، ولذلك جاء النهي أولاً ، تم عُطف عليه الأمر بخوف الله تعالى تثبيتاً لهم وتقويةً لنفوسهم ، والمعنى : ((فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به (إنْ كنتم مؤمنين) يعني أنَّ الإيمان يقتضي أنْ تؤثروا خوف الله على خوف الناس))[١٠٢] .

ومثله قوله جل وعلا :﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام :١٥٣) ، فالأمر باتباع

---

[١٠١]- أمالي ابن الشجري ١ / ٢٤٨ .

[١٠٢]- الكشاف ١ / ٤٣٣ .

صراط الله تعالى ، يقتضي الكف عن اتباع الطرق الأخرى ، ولكنه جاء بالنهي لصريح توكيداً لهذا الأمر ، وزاده توكيداً آخر عندما علَّل النهي عن اتباع السبل ، بأنَّها تفرق بهم عن سبيله سبحانه ، وتجعلهم متفرقين مشتتين كلٌّ في طريق.

وعلى ما تقدم جاء قوله تعالى :﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾(الذاريات:٥٠-٥١) ، فعطف قوله : (((ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر) على (ففروا إلى الله) نهي عن نسبة الإلهية إلى أحد غير الله فجمع بين الأمر والنهي مبالغةً في التأكيد بنفي الضد لإثبات ضده))[١٠٣].
والمعنى : فروا ((إلى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ، ووحدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وكرر قوله (إني لكم منه نذير مبين) عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ، ليُعلم أنَّ الإيمان لا ينفع إلا مع العمل ، كما أنَّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان ، وأنَّه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما))[١٠٤] .

ويأتي النهي مؤكِّداً لمضمون جملة الأمر كما في قوله تعالى :﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾(آل عمران من الآية:١٠٣) ، فقوله (ولا تفرقوا) تأكيدٌ لمضمون جملة الأمر السابق وهو الاعتصام بحبل الله تعالى في حالة الاجتماع وعدم التفرق[١٠٥] .

ومن دلالات اجتماع الأمر والنهي أنْ يؤدي كل منهما غرضاً جديداً نحو قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(البقرة :١٠٤) ، فلكل من النهي والأمر غرض يختلف عن الآخر ، فالأول ترك كلمة (راعنا) بمعنى : راقبنا وانتظرنا ؛ لأنَّ اليهود كانوا يتسابُّون بهذه الكلمة ، فلما سمعوها من المسلمين أخذوا يخاطبون بها النبي ﷺ ، وهم يقصدون بها تلك المسبة[١٠٦] ، والغرض الآخر أنْ يقولوا بدلها (انظرنا) من الانتظار والتأنِّي ، فلكل منهما غرض يختلف عن الآخر ، ترك في الأول ، وأخذ في الثاني ، ((وبدأ بالنهي لأنَّه من باب الترك فهو أسهل ثم أتى بالأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل بالنهي))[١٠٧]

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(البقرة :١٩٥) ، حيث ((عطف غرض على

---

[١٠٣]- التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٠.
[١٠٤]- الكشاف ٤ / ٣٩٥ .
[١٠٥]- ظ التحرير والتنوير ٥ / ٣٢.
[١٠٦]- ظ الكشاف ١ / ١٧٤ .
[١٠٧]- روح المعاني ٣ / ٣١٤.

غرض عقب الأمر بالاتفاق في سبيل الله بالنهي عن الأعمال التي لها عواقب ضارة إبلاغاً للنصيحة والإرشاد لئلا يدفع بهم يقينهم بتأييد الله إياهم إلى التفريط في وسائل الحذر من غلبة العدو ، فالنهي عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة يجمع معنى الأمر

بالانفاق وغيره من تصاريف الحرب وحفظ النفوس ، ولذلك فالجملة فيها معنى التذييل وإنَّما عطفت ولم تفصل باعتبار أنَّها غرض آخر من أغراض الإرشاد))[١٠٨] .

فالنهي أفاد غرضاً جديداً لم يتضمنه الأمر السابق ، ((والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنَّه سبب الهلاك ، أو عن الإسراف في النفقة حتى يُفقر نفسه ويضيّع عياله . أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس ، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو))[١٠٩] . فأفاد النهي معاني عدة ، ولم يقتصر على معنى الإنفاق المادي فحسب .

وعلى ما تقدم قوله جل وعلا :﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾(يوسف :٦٧) . فنهيهم عن الدخول من باب واحدة لا يفيد أمرهم بالدخول من أبواب متفرقة ، ويكفي لتنفيذ ذلك النهي أنْ يدخلوا من بابين فقط ، أو من أبواب مجتمعة ، لذلك جاء بالأمر الصريح بدخولهم من أبواب متفرقة .

ومع ذلك فذكر النهي فيه توكيد أيضاً ، إذ يكفي أنْ يأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة ، وهذا يتضمن نهيهم عن الدخول من باب واحد ؛ ولكنه ((لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزماً له إظهاراً لكمال العناية وإيذاناً بأنَّه المراد بالأمر المذكور لا تحقيق لشيء آخر))[١١٠] .

واختلف المفسرون في قوله تعالى :﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (الأعراف :٨٥) . فذهب أبو حيان إلى أنَّ كلاً منهما غرض بذاته ، ولكنه من قبيل العام بعد الخاص ، حيث ((أمرهم أولاً بشيء خاص وهو إيفاء الكيل والميزان ثم نهاهم عن شيء عام وهو قوله (أشياءهم)))[١١١] .

---

[١٠٨]- التحرير والتنوير ٢ / ٢١٣.
[١٠٩]- الكشاف ١ / ٢٣٥ .
[١١٠]- تفسير أبي السعود ٤ / ٢٩٢.
[١١١]- البحر المحيط ٤ / ٣٣٧.

وإلى ذلك ذهب أبو السعود في أحد رأييه[١١٢] ، وعده في رأيه الآخر من باب الترغيب والحث على الأمر ، فقال : ((وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما عُلم ذلك

في ضمن النهي عن نقص المعيار والأمر بإيفائه اهتماماً بشأنه وترغيباً في إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصهما))[١١٣]. وجعله الآلوسي من باب التوكيد للأمر بالإيفاء بعد التصريح به[١١٤] .

وذهب ابن عاشور إلى أنَّ الأمر موجَّه للبائع ، أما النهي فهو موجَّه للمشتري ، فقال : ((فإيفاء الكيل والميزان يرجع إلى حفظ حقوق المشترين ؛ لأنَّ الكائل أو الوازن هو البائع وهو الذي يحمل حب الاستفضال على تطفيف الكيل أو الوزن ليكون باع الشيء الناقص بثمن الشيء الوافي كما يحسبه المشتري . أما النهي عن بخس الناس أشياءهم فيرجع إلى حفظ حقوق البائع لأنَّ المشتري هو الذي يبخس شيء البائع ليهيأه لقبول الغبن في ثمن شيئه))[١١٥].

ويبدو أنَّ الراجح في هذه المسألة أنَّ كلا الأمرين موجه إلى البائع ؛ لأنَّه ـ عادةً ـ من ينقص الكيل والميزان ، ويبخس الناس أشياءهم ، وقيل في معنى الأشياء: إنَّها الأموال ، ((وروي أنَّهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعاً ، ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً))[١١٦].

والأوْلى فيها أنْ تكون عامة في كل شيء ، وبأي طريقة تُبخس ، ولكنه خصَّ الكيل والميزان ؛ لأنَّهما الأشهر استعمالاً في المعاملات التجارية عندهم ، والله اعلم .

دلالة اجتماع النداء والأمر

١١٢- ظ تفسير أبي السعود ٤ / ٢٣٢.
١١٣- السابق ٤ / ٢٣١.
١١٤- ظ روح المعاني ٨ / ١٧٦.
١١٥- التحرير والتنوير ٨ / ٢٤٣-٢٤٤.
١١٦- الكشاف ٢ / ١٢٣ .

حد النحاة النداء بأنَّه ((تنبيه المدعو ليقبل عليك))[١١٧] . وطلب الإقبال هذا لا يكون مجرداً إنَّما يُراد منه تهيئة المدعو وحيازة اهتمامه استعداداً لما يأتي من أمر أو نهي أو إخبار أو غير ذلك ، فالنداء تمهيدٌ لما يتبعه من أساليب ، وما يعنينا هنا علاقة النداء بأسلوب الأمر ، وما يستفاد من اجتماعهما من دلالات في مقدمتها التشريف والتكريم نحو قوله تعالى :﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾(البقرة :١٢٢) . ونداء اليهود بهذا الاسم ـ مع ما فيه من جذب لانتباههم ، وتحريكهم لما سيرد عليهم ـ فيه إكرام لهم ، واعتناء بأمرهم ، وقد نودوا بهذا النداء ثلاث مرات[١١٨] ، أُتبعوا بعدها بأوامر ونواهي ، وتأكيدٌ على أنْ لا ينسوا نعمة الله عليهم ، ولكنهم لم يلتزموا بتلك الأوامر ، ولم يمتثلوا لها ، لذلك أعرض تعالى عن مناداتهم بهذا الاسم ، قال أبو حيان معقباً على الآية الكريمة : ((وكان ثالث نداء نودي به بنو إسرائيل ، بالإضافة إلى أبيهم الأعلى ، وتشريفهم بولادتهم منه . ثم أعرض في معظم القرآن عن ندائهم بهذا الاسم . وطمس ما كان لهم من نور هذا

الوسم ، والثلاث هي مبدأ الكثرة ، وقد اهتم بك من نبهك وناداك مرة ومرة ومرة))[١١٩].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾(البقرة :١٧٢) ، فالمؤمنون من ضمن الناس الذين نودوا في آية سابقة [١٢٠] ، ((ولما كان لفظ الناس يعم المؤمن والكافر ميَّز الله المؤمنين بهذا النداء تشريفاً لهم وتنبيهاً على خصوصيتهم))[١٢١].

ومن الدلالات الأخرى لاجتماع النداء والأمر هي تنشيط المنادى وحثه على تنفيذ الأمر والامتثال له ، نحو قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾(الأنفال:٢٠).وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾(الأنفال:٢٤) ، حيث كرر النداء مع الأمر الأول والثاني ((مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال لما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على أنَّ فيهم ما يوجب ذلك))[١٢٢].

---

[١١٧]- الأصول في النحو ١ / ٣٢٩ .
[١١٨]- ظ الآيات : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ ، من سورة البقرة .
[١١٩]- البحر المحيط ١ / ٣٧٢ .
[١٢٠]- هي الآية ١٦٩ من سورة البقرة .
[١٢١]- البحر المحيط ١ / ٤٨٤.
[١٢٢]- تفسير أبي السعود ٤ / ١٦.

ومناداتهم بـ (يا أيها الذين آمنوا) ((للتنبيه على أنَّ الموصوفين بهذه الصفة من شأنهم أنْ يتقبلوا ما سيؤمرون به وأنَّه كما كان الشرك مسبباً لمشاقة الله ورسوله في وله (ذلك بأنَّهم شاقوا الله ورسوله) فخليق بالإيمان أنْ يكون باعثاً على طاعة الله ورسوله))[١٢٣].وقد جاء قوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا) في ثمانية وثمانين موضعاً ، أُتبعت كلها بأوامر ونواهٍ ختلفة ، كان في كثير منها جهد ومشقة ، فكان لهذا النداء بما فيه من لذة وعذوبة أثر في تخفيف هذا الجهد ، وزيادة الصبر عليه.

وعلى ما تقدم قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(البقرة:٥٤). فجاء نداؤه لهم عليهم السلام ((إيذاناً بالتحنن عليهم وأنه منهم وهم منه وهزٌّ لهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنَّهم ظلموا أنفسهم))[١٢٤].

فجمع النداء غرضين : الأول : إظهار الإشفاق عليهم والرحمة بهم ، وأنَّ أمرهم بقتل أنفسهم ليس انتقاماً منهم ، ولا عداءً لهم ، ولكنه لتكفير ذنوبهم وقبول توبتهم ؛ ولشدة الأمر ومشقته تطلَّب إظهار الرحمة لهم ، وإشعارهم بها من جهة ، وحثهم وتحريكهم على تنفيذ الأمر من جهة أخرى ، وهو الغرض الآخر للنداء .

ومن دلالات النداء الأخرى في سياق الأمر هي إظهار التضرع والتوسل وغالباً ما يكون في دعاء العبد ربه عز وجل نحو قوله تعالى :﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾(المائدة :١١٤). فجمع عيسى عليه السلام نداءين متتابعين ، ليصور تضرُّعه وشدة حاجته ، و((في إقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبىء عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول دلالة واضحة على أنَّهم كانوا مؤمنين ، وأنَّ سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة))[١٢٥].

ومثله قوله تعالى :﴿ **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ**

---

[١٢٣]- التحرير والتنوير ١ / ٢٣٧.
[١٢٤]- روح المعاني ١ / ٢٣٧.
[١٢٥]- تفسير أبي السعود ٣ / ٩٨.

الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(إبراهيم :٣٧). حيث ((كرر النداء رغبةً في الإجابة وإظهاراً للتذلل والالتجاء إلى الله تعالى))[١٢٦] .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾(غافر :٧-٩) .

فتكرار النداء بين جمل الدعاء ((للتأكيد بزيادة التضرع ، وهذا ارتقاء من طلب وقايتهم العذاب إلى طلب إدخالهم مكان النعيم))[١٢٧] .

ويُلاحظ في كل ما تقدم أنَّ النداء جاء بصفة الربوبية ؛ لأنَّها من صفات الفعل ، لا من صفات الذات ، والنداء بها في هذا المقام أنسب من النداء بالصفات الأخرى ، لأنَّها تدل على العناية وتدبير شؤون العباد من قبل المولى عز وجل .

ومن دلالات النداء الأخرى عند تكراره مع الأمر أنَّه يفيد الانتقال من غرض إلى آخر ، فيختص كل نداء بغرض معين ، ومن ذلك ما نجده في سورة الأحزاب ، حيث نودي الرسول الكريم ﷺ فيها خمس مرات[١٢٨] ، اختص كل منها بغرض محدد ، وقد جاء الأمر بعد ثلاثة منها ، وجاء الإخبار بعد اثنين منها ، ((فالنداء الأول لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربه . والنداء الثاني لافتتاح غرض التنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه . والنداء الثالث لافتتاح بيان تحديد شؤون رسالته في معاملة الأمة . والنداء الرابع في غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه . والنداء الخامس في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات))[١٢٩] .

وجاء النداء للنبي ﷺ بصفة النبوة ، ولم يُناد باسمه ((كرامةً له وتشريفاً ، وربئاً بمحله وتنويها بفضله))[١٣٠] .

---

[١٢٦]- البحر المحيط ٥ / ٤٣١ .
[١٢٧]- التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٢.
[١٢٨]- ظ الآيات: ١١ ، ٩ ، ٢٩ ، ٤٥ ، ١٥٠ من سورة الأحزاب .
[١٢٩]- التحرير والتنوير ٢١ / ٢٤٩.
[١٣٠]- الكشاف ٣ / ٥٠٤ .

ونظير ما تقدم ما جاء في سورة الحجرات ، حيث افتُتحت هذه السورة بنداء المؤمنين ، وهو قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(الحجرات :١) ، وغرض هذا النداء هو نهيهم عن القطع بأمر أو الحكم به إلا بعد حكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، ليكون عملهم أما بالوحي المنزل ،أو اقتداءً بالرسول ﷺ [١٣١].

ثم أعيد النداء في الآية الثانية ، فقال عز من قائل :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾(الحجرات :٢) ، وجاء بعده بنهي ، والغرض من إعادته ((استدعاءٌ منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم)) [١٣٢] .

ثم أعاد النداء في قوله جل وعلا :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾(الحجرات :٦) ، وقد أفاد غرضاً جديداً أيضاً ، وهو التثبيت والتبيُّن من نبأ الفاسق ، كي لا يندموا على فعلهم المتسبب من نبأ الفاسق هذا ، فيصيبوا قوماً بجهالة .

وأُعيد النداء في آيتين متتابعتين بعد ذلك وهما قوله جل وعلا :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾(الحجرات:١١-١٢) . فجاء بعد الأول منهما نهي عن السخرية والاستهزاء بين الأقوام ، وجاء بعد الثاني منهما أمر باجتناب الظن ، لأنَّ كثير منه إثم .

فنلاحظ تعدد الأغراض كلما تكرر النداء ، ومجيء النداء بالقول (يا أيها الذين آمنوا) ليبيّن أهمية الأغراض التي أُمروا بها أو نُهوا عنها ، فكل قسم منها قائم برأسه ، وفيه ما

---

[١٣١]- ظ السابق ٤ / ٣٤١ .
[١٣٢]- الكشاف ٤ / ٣٤٢ .

فيه من آداب الإسلام وفواضله التي يجب أنْ يتحلى بها المسلمون ، ولذلك جاء النداء قبل كل غرض ليخصص كل من هذه الأغراض باستقلالية محددة ، ويبين أهميته وأثره في الحياة الإسلامية .

دلالـة قـل

تحدثنا في الفصل الأول عن الفعل (قل) ، وأرجأنا الأغراض التي أفادها إلى هذا الفصل ، وهذه الأغراض كثيرة متنوعة ((منها ما يقع في إطار التبليغ ومنها ما يقع في الرد على أسئلة موجهة إلى الرسول , ومنها ما جاء مفتاحاً للصدع بتعاليم وأحكام دينية أمر الله بها رسوله العظيم أنْ يواحه بها القوم ابتداءً))[١٣٣] , ومنها ((نفع المأمور بالقول (...) حيث يأمرنا سبحانه أنْ نقول : الله احد الله الصمد لنفعنا , ولأجل أنْ نعرف التوحيد وأنْ نعرف نسبة الرب , ونحو ذلك))[١٣٤] , ومنها أيضاً

((عدم مناسبة نسبته إلى الله سبحانه . فالاستعاذة إنَّما هي للمخاطب دائماً .وهي شيء أدنى من أنْ ينطق بها الله سبحانه عن نفسه . لأنَّه تعالى منيع لا يتضرر ولا يخاف))[١٣٥].

ونستطيع أنْ نجمل أهم الأغراض التي أفادها (قلْ) بما يلي:

أولاً:

الجواب عن الأسئلة التي كانت توجه للرسولﷺ من الكافرين أو المؤمنين أو غيرهم , سواءً كان الإخبار عنها بلفظ (يسألونك) أم بالألفاظ الأخرى الدالة على السؤال ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(البقرة:١٨٩) , وقوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (الأنفال:١). وقد تكرر هذا النمط من الأسئلة في خمسة عشر موضعاً[١٣٦] ,

---

[١٣٣] - شخصية الرسول الأعظم قرآنياً : جلال الحنفي: ٢٤٤.
[١٣٤] - منة المنان في الدفاع عن القرآن : ٥٢.
[١٣٥] - السابق : ٥٢.
[١٣٦] - ظ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٤٥٤

((ومجيء الفعل بصيغة المضارع دال على تكرر السؤال , أما بإعادته المرة بعد الأخرى من سائلين متعددين , وأما بكثرة السائلين عن ذلك حين المحاورة في موقف واحد))[١٣٧].
وكان الجواب في أربعة عشراً موضعاً منها بلفظ (قلْ) المجرد إلا في آية واحدة , جاء الجواب بـ (قلْ) المسبوقة بالفاء , وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** ﴾(طه:١٠٥).

وعلة ذلك عند القرطبي : أنَّ الكلام تضمن معنى الشرط , والتقدير : إنْ يسألونك عن الجبال (فقل ...) ؛ لأنَّه علم سبحانه أنَّهم سيسألونه عنها , بخلاف الأسئلة الأخرى التي جاء الجواب عنها بغير (فاء), لأنَّهم سألوها فعلاً[١٣٨].

وعلَّل الرازي وجودَ الفاء بأنَّ هذه المسألة أصولية , ويجب أنْ يكون الجواب عنها في الحال , لأنَّ تأخيره يؤدي إلى الشك , والشك فيها كفر , فالفاء أفادت التعقيب , بخلاف المسائل الأخرى , لأنَّها فرعية فلم تأت معها فاء التعقيب[١٣٩] .

ونحن أميل إلى رأي الرازي في هذه المسألة , فالجبال بحجمها وارتفاعها , وتراكيبها المختلفة أثارت المسلمين وغيرهم في ذلك الوقت , فتساءلوا عن هذه الكتل العظيمة المتناهية الصلابة , ماذا سيحل بها يوم القيامة , كأنَّما أصابهم شيء من الشك

والحيرة في قدرة الله تعالى حيالها , أو أرادوا تعجيز الرسول ﷺ - إنْ كان السائل من غير المسلمين[١٤٠]- فجاء الجواب جازماً قاطعاً (ينسفها ربي نسفاً) , فقدرة الله تعالى

أكبر من ذلك , ولا يحتاج الأمر إلى تمهُّل وتفكُّر كي لا يتعزز الشك في نفوسهم , يدل على ذلك قوة ألفاظ الجملة المحكية , فلفظ (ينسفها) يُراد به القطع والإزالة[١٤١] , وقد أُكِّد توكيداً لفظياً لتقوية المعنى , وكذلك مجيء كلمة الرب بدلاً من لفظ الجلالة , فهذا كله يكشف ((عن عظمة المسؤول عنه , لأنَّه من أشراط الساعة))[١٤٢].

---

[١٣٧] - التحرير والتنوير ٩ / ٢٤٨.
[١٣٨] - ظ الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٦٣. ووجوه من الإعجاز القرآني: مصطفى الدباغ :٥٤.
[١٣٩] - ظ التفسير الكبير ٥ / ٢٦٣.
[١٤٠] - ذكروا أنَّ رجلاً من ثقيف هو الذي سأل هذا السؤال , وقيل جماعة من المؤمنين .ظ تفسير ابن عطية ٤ / ٦٤.
[١٤١] - ظ المفردات : ٨٠٢.
[١٤٢] - مواهب الرحمن ٣ / ٩٩.

ومن الألفاظ الأخرى التي دلت على السؤال (يستفتونك) , وقد وردت في آيتين فقط هما قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...**﴾ (النساء: من الآية:١٢٧), وقوله جل وعلا: ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ ...**﴾ (النساء:من الآية ١٧٦), وهذا اللفظ أنسب من غيره في هذين الموضعين , لأنَّهما لبيان الأحكام الشرعية , ((والفتيا والفتوى : الجواب عما يشكل من الأحكام))[١٤٣].

وكذلك لفظة (يستنبؤونك) , وقد جاءت في آية واحدة هي قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ (يونس:٥٣) , حيث ((أمر تعالى نبيه أن يقول مجيباً لهم : قل إي وربي أي :نعم وربي))[١٤٤].

وقد يكون السؤال مباشر تُستعمل فيه إحدى أدوات الاستفهام نحو قوله تعالى :﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(البقرة:١٤٢) , وقوله جل وعلا ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ** ﴾(سبأ:٢٩-٣٠).

وأحياناً لا يُذكر السؤال في القرآن ولكنه يرد في أسباب النزول نحو قوله تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ (الإخلاص:١) ، فقيل: ((إنَّها نزلت على سبب قول المشركين : انسب لنا ربك , فكانت جواباً عن سؤالهم فلذلك قيل له ((قل))))[١٤٥].

ثانياً :

العمل على ترسيخ إحدى الحقائق المذكورة وتثبيتها , بصرف النظر عن نوع هذه الحقيقة , فقد تكون دنيوية أو أخروية , وكثيراً ما تكون هذه الحقيقة معروفة ومدركة من قبل المخاطبين , ولكنه يعمد إلى ذكرها وترسيخها إلزاماً لهم , ولعل هذا الغرض من أكثر الأغراض التي أفادها (قل) في القرآن الكريم وأهمها , وقد تعددت

أساليبه بين توكيد وشرط ونفي وإثبات[١٤٦] , ولكن من أهمها هو الاستفهام الإنكاري كقوله تعالى :﴿ **سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**

---

[١٤٣] - المفردات : ٦٢٥.
[١٤٤] - البحر المحيط ٥ / ١٦٨.
[١٤٥] - التحرير والتنوير ٣٠ / ٦١٢.

يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(الفتح:١١) .

فالحقيقة أنْ لا أحد يملك لهم من دون الله شيئاً , وهم الذين تخلفوا عن الحديبية , وظنوا أنَّ الرسول ﷺ سيهلك ومن معه فلا ينقلب إلى المدينة ؛ لذلك تخلفوا , فناسب أنْ يُذكَّروا بهذه الحقيقة ((فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إنْ أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعاً) من ظفر وغنيمة))[١٤٧]. ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر:٩) , وحقيقته واضحة , لا يستوي العلماء والجهلاء .

وأحياناً يكون الاستفهام بصيغة (أرأيتكم) وكلتاهما تدل على الاستفهام , وهما بمعنى (اخبروني)[١٤٨] , نحو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (الأنعام:٤٠). فالمعنى : ((أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر , أم تدعون الله دونها (بل إياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة))[١٤٩] . ومثله قوله تعالى :﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ**﴾ (القصص:٧١). والحقيقة لا إله غير الله يأتيكم بضياء , إنْ جعل تعالى الليل سرمداً عليكم إلى يوم القيامة , وفي هذا تذكير بقدرة الله والحث على طاعته والتفكُّر في نعمه من ليل ونهار على وجه الخصوص .

ومن الأساليب القرآنية في ترسيخ الحقائق ودعمها أنْ يتولى الرسول ﷺ السؤال والجواب بنفسه , وهو ((من السلائق البديعة الدائرة في سرد الحجج , يقول المنعم لمن أنعم عليه فكفر نعمته : من الذي أطعمك وسقاك وكساك ؟ أنا الذي فعل ذلك

بك ومَنَّ بها عليك وأنت تجازيني بالكفر))[١٥٠]. ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ**

---

[١٤٦] - للاطلاع على هذه الأساليب ظ سورة ص:٦٥ ، والإسراء ٨٨ ، ويونس ٤٩ ، والحج: ٦٧.

[١٤٧] - الكشاف ٤ / ٣٢٧.

[١٤٨] - ظ البحر المحيط ٤ / ١٢٤- ١٢٥ .

[١٤٩] - الكشاف ٢ / ٢١.

[١٥٠] - الميزان ٧ / ٢٦.

رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:١٢) , ويحسن هذا الأسلوب ((في

الموضع الذي يكون الجواب فيه قد بلغ في الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر ولا يقدر على دفعه دافع))[١٥١] .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾(الأنعام:١٩)، قال الزمخشري: ((أراد :أي شهيد(أكبر شهادة) فوضع شيئاً مقام شهيد ليبالغ في التعميم))[١٥٢].

ومن لطائف هذا الأسلوب أنَّه عندما يقر الحقيقة الأولى بالجواب يبني عليها حقائق أخر غالباً ما تكون أقلَ وضوحاً وأشدَ إنكاراً في أذهان المخاطبين عن سابقتها , فيكون جواب السائل ((عين ما يعتقده المسؤول وما يجيب به إنْ أجاب وإنَّما يسبقه إليه ليبني عليه شيئاً آخر من لوازمه هو ما يجهله المسؤول أو يغفل عنه أو ينكره لجهله أو غفلته عن كونه لازماً لما يعرفه أو يعتقده))[١٥٣]. فتولي الرسول الإجابة إقرار بأنَّ الله أكبر شهادة , ثم بنى على هذه الحقيقة حقيقةً أخرى ، وهي أنْ يكون سبحانه شهيداً بينه وبينهم , ثم بعد ذلك ذكر أنَّه تعالى هو الذي أوحى إليه هذا القرآن لينذرهم به ومن بلغ ، وهي الحقيقة الأخرى التي بُنيت على الحقيقة الأولى.

وأحياناً لا يذكر القرآن جواب الرسول ﷺ إنَّما ((يذكر ما سيجيبون به بعد ذكر السؤال منسوباً إليهم أنَّهم يجيبون به ثم ينتقل إلى ما يترتب عليه من توبيخ ونحوه))[١٥٤] ، كما في قوله تعالى :﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**﴾ (المؤمنون:٨٤-٨٩).

---

[١٥١] - التفسير الكبير ١٢ / ١٧٤.(ط دار الفكر)

[١٥٢] - الكشاف ٢ / ١١.

[١٥٣] - المنار ٧ / ٣٢٥

[١٥٤] - التحرير والتنوير ٧ / ١٥٠ ، و ظ روح المعاني ١٨ / ٥٨.

فهذه كلها حقائق تصب في حقيقة واحدة , وهي أنَّ الله مالك كل شيء , فقد تدَّرج في تلك الحقائق حتى وصل إلى الحقيقة الجامعة لها , فابتدأ بملكية الأرض ثم السماء , ثم ملكوت كل شيء.

ثالثاً:

الجزم في المسائل العقائدية , والبت في الأمور المختلف بها , فمن الأول قوله تعالى :﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ (الكفرون :١-٦). ذُكر أنَّها نزلت في نفر من قريش عرضوا على الرسول ﷺ أنْ يعبدوا الله سنة, ويعبد آلهتهم سنة , فإنْ كان ما عنده خيراً كان لهم نصيب منه , وإنْ كان الخير فيما عندهم كان له ﷺ نصيب منه[١٥٥]. فجاء الجواب القاطع الذي لا يقبل المداهنة أو المماحكة (قل يا ايها الكافرون .....) , ((وابتديء خطابهم بالنداء لإبلاغهم , لأنَّ النداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقى عليهم))[١٥٦]. ثم جاء بعده بهذا الخطاب , ((ولحسم هذه الشبهة , وقطع الطريق على المحاولة , والفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة , ومنهج ومنهج , وتصور وتصور , وطريق وطريق نزلت هذه السورة , بهذا الجزم . وبهذا التوكيد . وبهذا التكرار . لتنهي كل قول , وتقطع كل مساومة وتفرق نهائياً بين التوحيد والشرك , وتقيم المعالم الواضحة , لا تقبل المساومة والجدل في قليل أو كثير))[١٥٧].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص:١-٤) , فالسورة جازمة قاطعة في أنَّ الله تعالى أحد , وأنَّه الصمد الذي تفتقر إليه كل الكائنات , وأنَّه الغني بقدرته عمن سواه , وسبب ذلك الجزم أنَّها ((قد استهدفت تقرير عقيدة الوحدة الإلهية ونفي كل ما يتناقض معها من العقائد الموجودة في زمن النبي ﷺ وما تنطوي عليه هذه العقائد من المشابهة والمماثلة والتعدد والشركة والوالدية والولدية بأسلوب حاسم وجيز))[١٥٨] , وهي مع ((حسمها وإيجازها

---

[١٥٥] - ظ مجمع البيان ١٠ / ٥٥١- ٥٥٢ .
[١٥٦] - التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٨١.
[١٥٧] - في ظلال القرآن ٣٠ / ٢٧٢.
[١٥٨] - التفسير الحديث ١ / ٢١٠.

قطعية المعنى التقريري , سهلة الحفظ والإيراد على لسان كل مؤمن , وعنوان الإخلاص في عقيدة الله ووحدته وتفرده بالربوبية وشمول قدرته وتصرفه واستغنائه عن كل معين , واحتياج جميع الكائنات إليه . وهي من هذا الاعتبار الصورة الواضحة القطعية المحكمة المجردة من كل الملابسات والشبهات للعقيدة الإسلامية بذات الله بحيث تكون مرد كل ما يمكن أنْ يكون من الألفاظ والآيات

المتشابهة التي قد تكون وردت في القرآن على سبيل التقريب والتمثيل في نطاق اللغة البشرية ومفاهيمها))[١٥٩].

أما ما يخص الأمر الثاني , وهو البت في الأمور المختلف بها , فجاء قوله تعالى: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ**

وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴾ (الكهف:٢٢). فجزم في هذا الخلاف , وأوكل علمهم إلى الله , ((فلما أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم في عددهم أمره تعالى أنْ يقول : ربي أعلم بعدتهم , أي : لا يخبر بعددهم إلا من يعلمهم حقيقة , وهو الله تعالى))[١٦٠].

ومثل ما تقدم قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(البقرة:١٣٥) . حيث دعا اليهود إلى اليهودية , ودعا النصارى إلى المسيحية , كل دعا إلى ما هو عليه , واختلفوا في ذلك , فجاء الرد الجازم لهذا الخلاف (بل ملة إبراهيم), وهي توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به.

رابعاً :

تعليم الرسول الكريم ﷺ ومنه إلى أمته ألفاظ الدعاء , وتسبيح الله تعالى وتعظيمه , كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ (الفلق١-٥). فالغرض من هذه السورة الكريمة ((تعليم النبي ﷺ كلمات للتعوذ بالله من شر ما يُتقى شره من المخلوقات الشريرة , والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر , والأحوال التي يُستر

---

[١٥٩] - السابق ١ / ٢١١.

[١٦٠] - البحر المحيط ٦ / ١١٥.

أفعال الشر من ورائها لئلا يُرمى فاعلوها بتبعاتها , فعلم الله نبيه هذه المعوذة ليتعوذ بها , وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه السورة وأختها ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين))[١٦١].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** ﴾ (المؤمنون:٢٨-٢٩) , والظالمون هم الذين لم يؤمنوا من قوم نوح عليه السلام , فأمره

تعالى ((بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم , (...) ثم أمره أنْ يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له , وهو طلب أنْ ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها , منزلاً يبارك فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين . وأنْ يُشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته , وهو قوله (وانت خير المنزلين))))[١٦٢] . ومنه قوله تعالى :﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ**

يَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(آل عمران :٢٦). وهو أسلوب ورد كثيراً في القران الكريم .

خامساً :

يأتي بعده أمرٌ عظيم , وخطبٌ جلل , وقد يكون هذا الأمر مأموراً به أو منهياً عنه , ومن ذلك ما يتعلق بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غيره , كما في قوله جل وعلا :﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِياً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾(الأنعام:١٤-١٥).

فالأمر بعبادة الله تعالى أساس الشرائع السماوية , بل هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الصحيحة , قال أبو حيان: ((لما تقدم أنَّه اخترع السماوات والأرض , وأنَّه مالكٌ لما

---

[١٦١] - التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٢٥.
[١٦٢] - الكشاف ٣ / ١٨٠.

تضمنه المكان والزمان , أمر تعالى نبيه أنْ يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم , أي : مَنْ هذه صفاته هو الذي يُتَّخذ ولياً وناصراً لا الآلهة التي لكم إذ هي لا تنفع ولا تضر , لانَّها بين جماد أو حيوان مقهور))[١٦٣]. ومثله قوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلُ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ** ﴾ (الرعد:٣٦).

ومن النهي عن عبادة غير الله تعالى قوله جل وعلا:﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ (غافر:٦٦).

ومن الأمور العظيمة التي ذُكرت بعد (قل) نفي الادعاء الباطل على الله تعالى كما في قوله عز وجل :﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:٢٨). فقولهم هذا ((افتراء على الله وإلحاد في صفاته ، كانوا يقولون : لو كره الله ما نفعله لنقلنا عنه))[١٦٤] , لذلك أُمر النبيﷺ ((بالإعلان بأنَّ الله لا يمكن أنْ يأمر بالفحشاء وإنَّما الذي يأمر به هو العدل والاستقامة وتوجيه الوجوه في العبادة والسجود وإماكنهما إليه وحده بكل إخلاص))[١٦٥].

سادساً:

يأتي بعده تهديدٌ للمخاطبين وتعجيزٌ لهم وتقريع , ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾(الأنعام :١٣٥) , والمعنى ((اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الأمر))[١٦٦] , ومثله قوله تعالى :﴿ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ**

---

[١٦٣] - البحر المحيط ٤ / ٨٥.
[١٦٤] - الكشاف ٢ / ٩٥.
[١٦٥] - التفسير الحديث ٢ / ٣٧٥.
[١٦٦] - مجمع البيان ٢ / ٣٦٩.

الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ﴾(الإسراء:١٠٧) , فهو ((أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم , وأنْ لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه))[١٦٧], وفي ذلك ما فيه من تهديدٌ ووعيدٌ .

هذه أهم الأغراض التي أفادها فعل الأمر (قل) في القرآن الكريم سواء كانت في فواتح السور أم في مضامينها , زيادةً على الأغراض التي ذكرناها أول البحث.

---

[١٦٧] - الكشاف ٢ / ٦٧١ .

المقدمة ١
الفصل الأول (الدلالة الصوتية) ٤
علاقة اللفظ بالمعنى ٥
فواتح السور ٩
الحروف المقطعة : ٩
علاقة هذه الحروف بالأمر ١٥
أفعال الأمر في بداية السور ١٩
سبِّح ١٩
اقرأ ٢٢
قل ٢٤
دلالة التكرار الصوتي ٢٥
تكرار الصوت المفرد : ٢٦
دلالة الفاصلة القرآنية ٣١
دلالة الإيقاع ٤٠
الجَرْس ٤١
الجرس الهادئ : ٤٢
الجرس الصارم ٤٥
الإيقاع الخارجي ٤٩
الإيقاع الهادئ ٤٩
الإيقاع الصارم ٥٣
دلالة التناوب الإيقاعي ٥٧

الفصل الثاني (الدلالة الصرفية) ٦١
أولاً: دلالة الفعل المزيد بحرف واحد ٦٢
أفْعَلَ يُفْعل ٦٢
فَعَّل يُفعِّل ٦٥
فاعَل يُفاعِل ٦٧
ثانياً: دلالة الفعل المزيد بحرفين ٧٠
انْفَعَل ينْفعِل ٧٠
افْتعَلَ يفتَعِل..... ٧٠
تفاعَلَ يتفاعَلَ..... ٧٣

تَفعَّل يتَفعَّل..... ٧٤
ثالثاً: دلالة الفعل المزيد بثلاثة أحرف..... ٧٦
استفعل..... ٧٦
دلالة اسم الفعل..... ٧٨
هلمَّ..... ٨٠
هَيْتَ..... ٨١
هاؤم..... ٨٣
هات..... ٨٤
عليكم..... ٨٥
مكانكم..... ٨٨
دلالة المــصدر..... ٨٨

دلالة الإفراد والتثنية والجمع..... ٩٢
بين الإفراد والتثنية..... ٩٢
بين الإفراد والجمع..... ٩٥
بين التثنية والجمع..... ٩٦
دلالة التذكير والتأنيث..... ٩٩
دلالة العــدول..... ١٠١
الفصل الثالث (الدلالة النحوية)..... ١٠٦
لام الأمر + الفعل المضارع..... ١٠٧
حذف لام الأمر..... ١٠٩
الأمر بالخبر..... ١١٠
الأمر بالجملة الاسمية..... ١١١
الجملة الاسمية المجردة..... ١١١
الجملة الاسمية المؤكدة بحرف مشبه بالفعل..... ١١٣
الجملة الاسمية المؤكدة بإنَّما..... ١١٤
الأمر باللام وعلى الداخلتان على الاسم..... ١١٥
الأمر بالجملة الفعلية..... ١١٧
الأمر بالفعل أمر..... ١١٧
الأمر بالفعل كتب ١١٩
الأمر بالفعل قضى ١٢٠
الأمر بالفعل وصَّى..... ١٢٢
الأمر بالشرط..... ١٢٣

الأمر بالاستثناء المفرغ..... ١٢٦
الأمـر بالاستفهام..... ١٢٨
الهمزة + الفعل..... ١٢٩
هل + الجملة الاسمية..... ١٢٩
أرأيت + الشرط..... ١٣١
الاستفهام الذي يتضمن حثاً على الأمر وترغيباً فيه..... ١٣١
الاستفهام عن المنفي..... ١٣٢
الأمـر الضمني..... ١٣٤
الجملة الاسمية..... ١٣٤
الوصف..... ١٣٦
الاستفهام الدال على النفي..... ١٣٦
الاستثناء التام..... ١٣٧
حتى المسبوقة بنفي..... ١٣٩
الأفعال المتضمنة رضا الله تعالى..... ١٤٠
دلالـة الحـذف ١٤٢
الإغراء والتحذير..... ١٤٣
الحذف في الشرط..... ١٤٤
الحذف قبل ظرف الزمان..... ١٤٤
دلالة الأمر على الإخبار..... ١٤٥
التقديـم والتأخيـر ١٤٧
الفصل الرابع (الدلالة السياقية)..... ١٥٠

دلالة التكــرار..... ١٥٢
تكرار المفردة..... ١٥٢
تكرار النص..... ١٥٥
التكرار المعنوي ١٥٩
دلالة التــدرُّج..... ١٦٢
التدرج الإيجابي..... ١٦٢
التدرج السلبي..... ١٦٤

دلالة العـام والخـاص..... ١٦٦
الانتقال من العام إلى الخاص..... ١٦٧
الانتقال من الخاص إلى العام..... ١٦٨
دلالة الأمــر المـعلَّـل..... ١٧٠
فعل الأمر + جملة التعليل..... ١٧١
الجملة التعليلية + فعل الأمر..... ١٧٣
دلالة الأمـر المؤكَّـد..... ١٧٦
التوكيد بالمصدر..... ١٧٦
التوكيد بالظرف..... ١٧٧
التوكيد بالحال..... ١٧٩
التوكيد بالقسم..... ١٧٩
دلالة اجتماع الأمر والنهي..... ١٨٠
دلالة اجتماع النداء والأمر..... ١٨٣

دلالـة قـل..... ١٨٧
الخاتمة ١٩٦
المصادر والمراجع ٢٠٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـة

الحمد لله على عظيم نعمه وواسع رحمته ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، محمد وآله ، ومن سار بهديهم إلى يوم لقائه . وبعد :

كان القرآن الكريم ولا يزال إعجازاً يتجدد ، وحقيقةً عظمى يأخذ كلٌ منها حسب تخصصه ورؤيته لها. فما أن بدأ نزوله على صدر المصطفىﷺ حتى اجتذب الألباب واستحوذ على اللباب متحدياً ومفحماً، فراحت تجوب دنيا العلم على سعتها محاولة استجلاء غوامضه ، ومعرفة مكنوناته ، سالكةً في ذلك شتى الطرق ومختلف الوسائل ، بغية الوصول إلى فهمه ، وإدراك كنهه . فكان مبعثاً لكل العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها , فضلاً عن علومه التي تفرد بها , والتي عُرفت بعلوم القرآن ، وما زال حتى يومنا هذا باعثاً ومحركاً لكثير من العلوم والأبحاث العلمية ، يحدوه في ذلك معناه الحركي الذي لا يحده زمان ، ولا يقتصر على مكان .

وكانت الدلالة القرآنية مما طرقه الباحثون ، سواءٌ كانت دلالة الألفاظ أم الأساليب ، وذلك من خلال تتبعهم الاستعمال القرآني لها ومقارنته باستعمالها العام ، فجاء بحثنا هذا ((دلالة الأمر في القرآن الكريم)) متماشياً مع هذا النهج سائراً على خطاه ، مكملاً لجزئياته . وآثرنا أنْ ندرس أسلوب الأمر ؛ لسعته وتنوعه ، وتعدد طرائقه وصيغه ، ولأنَّه لم يحظ بدراسة جامعة تستوعب كلَّ مجالات اللغة ، إذ اقتصرت الدراسات السابقة على جانبي الصرف والنحو ، مع دراسة رأي اللغويين والأصوليين في معنى الأمر ودلالاته ، والأغراض التي تتصل بذلك .

وجاء بحثنا هذا على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة , عنونا الفصل الأول بالدلالة الصوتية . ودرسنا فيه الموضوعات التالية : علاقة اللفظ بالمعنى , فواتح السور سواء كانت بالحروف المقطعة أم بأفعال الأمر , دلالة التكرار الصوتي , دلالة الفاصلة القرآنية , دلالة الإيقاع , الداخلي والخارجي , ودلالة التناوب الإيقاعي .

وحمل الفصل الثاني عنوان الدلالة الصرفية , ودرسنا فيه الموضوعات التالية : معاني الأفعال المزيدة , دلالة اسم فعل الأمر , دلالة المصدر الدال على الأمر, دلالة الإفراد والتثنية والجمع , دلالة التذكير والتأنيث , ودلالة العدول بالأمر من صيغة إلى أخرى .

وكان الفصل الثالث بعنوان الدلالة النحوية ، وموضوعاته هي : لام الأمر + الفعل المضارع , الأمر بالخبر , الأمر بالاستفهام , الأمر الضمني , دلالة الحذف , دلالة الأمر على الخبر , ودلالة التقديم والتأخير .

وحمل الفصل الرابع عنوان الدلالة السياقية ، ودرسنا فيه التكرار بشقيه تكرار المفردة وتكرار النص بنوعيه اللفظي والمعنوي , التدرج في الأمر , وهو على نوعين الإيجابي والسلبي , الانتقال من العام إلى الخاص , والانتقال من الخاص إلى العام , الأمرالمعلَّل , الأمر المؤكَّد وطرق توكيده , دلالة اجتماع الأمر والنهي , ودلالة اجتماع النداء والأمر ، ودلالة (قل) .

وكنا ننوي أنْ نمهد لبحثنا هذا بدراسة الأمر لغةً واصطلاحاً , ودلالة الأمر على الوجوب من عدمها , ودلالته على الفور أم التراخي , ودلالته على الزمن , وهل يدل على التكرار بصيغته ؟ وغير ذلك مما يتصل بموضوع الأمر , ولكننا وجدنا هذه المواضيع قد بُحثت في كتب الأصوليين[١٦٨] , والدراسات السابقة لنا[١٦٩] ، فأغنانا ذلك عن الإعادة .

---

[١٦٨]- ظ على سبيل المثال إرشاد الفحول : محمد بن علي الشوكاني ، وأصول الفقة , محمد رضا المظفر .

[١٦٩]- ظ الأمر والنهي عند علماء اللغة والأصوليين : ياسين جاسم المحيمد : ١٤ ـ ٢٠, ٥٨ ـ ٧٠ ، و أسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم : قاسم فتحي سليمان ٨ ـ ٣٠ .

أما مصادر هذه الدراسة فتنوعت بتنوع فصولها , بين كتب صوت وصرف ونحو ولغة , وغيرها , وإنْ كان عمودها كتبَ تفسير القرآن وما يتصل بها من قبيل كتب علوم القرآن وإعجازه , مما تكفلت به جريدة المصادر والمراجع .

ولم يكن بحثنا هذا الأول في موضوعه ، وإنْ تفرد بمنهجه و طريقة عرضه ، إذ سبقتنا إلى ذلك ثلاث رسائل جامعية – على ما اطلعنا عليه – حملت الأولى عنوان ((صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم)) وهي رسالة ماجستير قدمها الباحث تقي

محمد علي الطحان إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م. وهي على بابين خَصَّص الأول منهما لدراسة (صيغ الأمر في القرآن الكريم) , وخَصَّص الثاني لدراسة (صيغ النهي في القرآن الكريم) ، وما يعنينا هنا هو الباب الأول حيث جعله الباحث على فصلين ، تناول في الأول منهما الأنماط التي ورد فيها الأمر في القرآن وهي : فعل الأمر ، والأمر بالأداة ، ويعني بها اللام + الفعل المضارع ، واسم الفعل ، والأمر بلفظ الجزاء ، والأمر بالمصدر ، والأمر بصيغة الاستفهام .

وتناول في الفصل الثاني (قضايا عامة حول أسلوب الأمر) من قبيل حذف صيغة الأمر ، ومجيء صيغة الأمر خبراً لمبتدأ , وخروج صيغة الأمر لمعنى الخبر .

أما الدراسة الثانية فكانت بعنوان ((الأمر والنهي عند علماء اللغة والأصوليين)) وهي رسالة ماجستير قدمها الباحث ياسين جاسم المحيمد إلى كلية الآداب في جامعة

بغداد سنة ١٩٩٢م . وهي على بابين أيضاً ، والذي من وكدنا هو الباب الأول الذي خصصه الباحث لدراسة الأمر، وجاء على ثلاثة فصول ، عنون الأول منها بـ (الأمر معناه وصيغه) ، ودرس فيه حد الأمر عند اللغويين والنحويين والبلاغيين والأصوليين , وكذلك درس صيغ الأمر التي أقرَّها النحاة وغيرها . وعنون الثاني بـ (دلالات صيغ الأمر) ودرس فيه حكم الأمر من حيث الوجوب وعدمه , واختلاف العلماء فيه ، ثم تطرق للمعاني التي يفيدها الأمر سواءٌ كانت حقيقيةً أم مجازيةً . وعنون الثالث بـ (مقتضيات الأمر) ، ودرس فيه دلالة الأمر على التكرار , واقتضاءه الفور أم التراخي في الزمن , ودلالة الأمر بعد الحظر .

أما الدراسة الثالثة فكانت بعنوان ((أسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم)) وهي رسالة دكتوراه قدمها الباحث قاسم فتحي سليمان إلى كلية الآداب في جامعة الموصل سنة ١٩٩٥م . وجعلها على تمهيد وستة فصول , درس في التمهيد مفهوم الأمر لغةً واصطلاحاً , وأسلوب الأمر عند النحويين والأصوليين والبلاغيين .

ودرس في الفصل الأول الأمر الحقيقي وتنوعه ، وجعله على مبحثين الأمر بالعبادات , والأمر بالمعاملات ، وخصَّص المبحث الثالث لبعض أساليب الأمر في القرآن الكريم . وعنون الفصل الثاني بـ (التبكيت والتخييب) ، و الفصل الثالث

بـ (النصح والإكرام) ، والفصل الرابع بـ (التحذير والتخيير) ، والفصل الخامس بـ (الالتماس ومعانٍ أخرى) ودرس فيها الألفاظ الدالة على هذه المعاني كلاً في فصله . وخصَّص الفصل السادس لدراسة الخبر المراد به الأمر .

وبعد , فمن نعم الله تعالى على العبد أن يوفقه لدراسة ما يصبو إليه , ومعرفة ما يبتغيه , وكنت تواقاً لدراسةٍ دلاليةٍ قرآنيةٍ , تكون موضوع بحثي في الدكتوراه وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى , فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله ، وكان من تمام نعمته عز وجل أنْ هيأ لهذا البحث مشرفاً اقترحه ، ثم تكفله والباحث بالعناية والاهتمام ، فأفاض عليهما من معين فكره ، ودقائق علمه ، فضلاً عن دماثة خلقه ، وطيب معشره ، فجزاه الله عنا وعن العربية خير الجزاء ، وأوفر الجزاء .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

قاسم كتاب عطا الله

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

علاقة اللفظ بالمعنى

شغلت علاقة اللفظ بمدلوله المعنيين باللغة قديماً وحديثاً , ولم يقتصر الأمر على اللغويين العرب فحسب , بل سبقهم إلى ذلك فلاسفة اليونان وسفسطائيوه فذهب فريق منهم إلى أنَّ علاقة اللفظ بمعناه علاقة طبيعية ذاتية, وذهب آخر إلى أنَّها علاقة اعتباطية مكتسبة , وبين هذا وذاك اختلفت الآراء , وتعددت الأدلة ، وأتى كلٌ بما عنده ليدعم رأيه , ويقوي حجته .

ولعل من أوائل القائلين بهذه العلاقة الطبيعية هم السفسطائيين , وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد[١٧٠]. وجاء بعدهم الفلاسفة, وفي مقدمتهم سقراط (٣٩٩ ق.م) الذي تضارب النقل عنه حول هذه المسألة , ففي الوقت الذي ينقل لنا الدكتور إبراهيم أنيس أنَّه ((كان فيما يبدو يميل إلى هذا الرأي))[١٧١]، نرى الدكتور عبد الكريم مجاهد يعده ذا نظرة توفيقية ((فهو يمسك العصا من وسطها فإطلاق الأسماء يحدث أحيانا بالاتفاق والاصطلاح وأحياناً أخرى تكتسب الألفاظ معانيها وترسخ في الأذهان عن طريق التكرار وكأنَّ العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبة وليست طبيعية ولا يصدق ذلك على جميع الألفاظ لأنَّ بعض الأسماء لها أصل طبيعي))[١٧٢].

ويبدو أنَّ سبب ذلك التضارب يعود إلى أنَّ الآراء التي نُقلت عنه استُشفَّت من محاوراته مع فلاسفة آخرين , ولم يكن له رأي قاطع في هذا الموضوع ، وإنْ كان ظاهر أقواله يوحي بأنَّه كان مؤيداً لهذه النظرية ، ولكنه لم يغال فيها كما فعل تلميذه افلاطون (٣٤٧ ق.م) الذي كان ((يرى أنَّ الصلة وثيقة بين الألفاظ ومعانيها أو بين الأصوات ودلالتها))[١٧٣] ، وأنَّه واستاذه سقراط كانا يتتبعان تلك الصلة ويتلمسانها((ولما تبين لهم غموض هذه الصلة بين ألفاظ لغتهم اليونانية ومدلولاتها ولم يستطيعوا لها تعليلاً مقبولاً تستريح إليه النفس وتطمئن له العقول , أخذوا يفترضون أنَّ تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدأ نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أنْ نتبين بوضوح تلك الصلة , أو نجد لها تعليلاً وتفسيراً))[١٧٤].

---

[١٧٠]- ظ علم اللغة , د. محمود سعران :٣٤٨.

[١٧١]- دلالة الألفاظ , د. إبراهيم أنيس :٦٣.

[١٧٢]- دراسات في اللغة ،مجموعة مؤلفين:٦٥ ، (العلاقة بين الصوت والمدلول ,عبد الكريم مجاهد) .

[١٧٣]- السابق:٦٤.

[١٧٤]- دلالة الألفاظ:٦٣.

أما الإتجاه الآخر، والذي يرى أنَّ علاقة الألفاظ بمعانيها علاقة مكتسبة، فمثَّله الفيلسوف ديمقريطيس في القرن الخامس ق.م، ويتضح ذلك بقوله: ((إنَّ دلالة الألفاظ

ليست طبيعية ذاتية وإنَّما هي مكتسبة بدليل إطلاقنا أسماء جديدة على المسميات فلا يتغير المضمون مع هذه الأسماء))[١٧٥]، فهو يرى أنَّ المسمى واحد مهما تغيرت أسماؤه، فمضمونه باقٍ لا يتغير بتغير تلك الأسماء ، ولو كانت علاقة الألفاظ بمعانيها طبيعية لما حدث ذلك , ثم تزعم أرسطو(٣٢٢ ق.م) هذا الإتجاه ، ودعا اليه ، ونقض ما خالفه[١٧٦].

ولم يكن اللغويون العرب بمنأى عن علاقة اللفظ بمعناه , بل كانوا أقربَ إليها من غيرهم , وأشدَ تباينا منهم , فقد بسطوا القول , وذكروا الآراء , وساقوا الحجج والبراهين بين مؤيد ورافض . ولنبدأ بشيخهم الخليل بن أحمد(١٧٥هـ) , إذ كان أول القائلين بصلة اللفظ بمدلوله , وله في ذلك عدة أقوال منها((صر الجندب صريراً , وصرصر الأخطب صرصرة , فكأنَّهم توهموا في صوت الجندب مداً , وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً))[١٧٧] ، فهو يشير إلى تغيير الصوت تبعاً لتغيير المعنى , فصوت الجندب يدل على المد والاستطالة فناسبه لفظ (صر) , أما (صرصر) فإنَّها تدل على الترجيع والتكرير فكانت أنسب لصوت الأخطب , لأنَّه يحمل هذا المعنى , ووافقه في ذلك سيبويه[١٧٨].

ويعد ابن جني (٣٩٢هـ) صاحب الريادة في توسيع هذه النظرية , حيث عقد لها في خصائصه الأبواب , وضرب لها الأمثال , وأطنب وأطال , وهي عنده ((باب عظيم واسع , ونهج متلئب عند عارفيه مأموم . وذلك أنَّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر عنها , فيعدلونها بها , ويحتذون عليها، وذلك أكثر مما نقدره , وأضعاف ما نستشعره))[١٧٩]. وذهب إلى أبعد من ذلك فجعل لكل حرف معنى[١٨٠] ، وقال بما سماه (الاشتقاق الأكبر) , وخلاصة هذا الرأي إن جذر الكلمة الثلاثي يمكن أنْ نحصل منه على ستة أصول بين مستعمَل ومهمَل , وهذه الأصول المستعملة تربطها دلالة واحدة ، وإنْ اختلفت دلالتها الفرعية , فالجذر (ك, ل, م) نحصل منه على (كلم , وكمل,

---

١٧٥ - دراسات في اللغة : ٦٤ (العلاقة بين الصوت والمدلول ,عبد الكريم مجاهد) .

١٧٦ - ظ دلالة الألفاظ :٦٣، والسابق:٦٤.

١٧٧ - العين ٥٦/١، وظ الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه : د.مهدي المخزومي :٨٧-٨٩.

٤- ظ الكتاب ٤ / ١٤ , ودراسات في اللغة : ٦٥-٦٦ (العلاقة بين الصوت والمدلول , عبد الكريم مجاهد)

٥- الخصائص ٢/ ١٥٧ .

٦- ظ الخصائص ١٥٧/٢-١٥٨ .

ومكل، وملك، ولمك، ولكم) وهذه التقاليب كلها تدل على القوة والشدة ، وكذلك (القاف والواو واللام) تدل على الخفة والحركة كيفما تقلبت[١٨١].

ويتنبه ابن جني إلى أنَّ بعض الألفاظ لا تطرد مع هذه القاعدة فيفسر ذلك بقوله: ((وإنْ تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل اليه , كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد))[١٨٢].

ومع تأكيده على هذا الجانب الدلالي , وأنَّ للصوت الواحد معنى في الكلمة الواحدة ,لكنه يذكر أنَّ هذه العلاقة لا تكون في كل لفظ , وأنَّها ليست مستمرة في كلمات اللغة , وغير مطردة في كل أصل ولكن فيها متعة وفائدة في الكشف عن مزايا هذه اللغة الشريفة[١٨٣]. فهو يفتح باب البحث الدلالي في الصوت اللغوي على مصراعيه.

وكان أغلب اللغويين يرون أنَّ الصلة بين اللفظ ومدلوله صلة مكتسبة اصطلاحية , حتى قال السيوطي (٩١١هـ) : ((كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني))[١٨٤].

وذهب جمهور الأصوليين إلى أنَّ الصلة بين الألفاظ والمعاني صلة عرفية مكتسبة , ولا مناسبة ((طبيعية بين اللفظ والمعنى سواء قيل بأنَّ نشأة اللغة كانت توقيفاً روحياً أو مواضعةً واصطلاحاً))[١٨٥]. ومع ذلك فقد ربط بعضهم بين اللفظ ومدلوله ربطاً وثيقاً , وهو عباد بن سليمان الصيمري من أئمة المعتزلة , فقد جعل دلالة الصوت على معناه دلالة طبيعية يحملها اللفظ بذاته ، وبالغوا في قولهم : ((إنَّه يعرف مناسبة الألفاظ ، فسُئل ما مسمى اذغاغ , وهو بالفارسية الحجر , فقال : أجد فيه يبساً شديداً ,وأراه الحجر))[١٨٦]. ورد الأصوليون ذلك , وعدوه باطلاً ((يدل على فساده أنَّها لو كانت ذاتية لما اختلفت باختلاف النواحي , ولكان كل انسان يهتدي إلى كل لغة , ولكان الوضع للضدَّين محالا, وليس المحال بدليل القرء للحيض والطهر , والجون للسواد والبياض))[١٨٧].

---

[١٨١]- ظ الخصائص ١٣٨/١-١٣٩ ، وقد سبقه في استخراج هذه التقليبات الخليل في العين.

١-الخصائص ١٣٩/١.

٢- ظ السابق ١٣٩/١ .

٣- المزهر ٤٧/١ .

٤- دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سليمان حمودة : ١٧٥.

٥ - المزهر ٤٧/١ .

٦- المزهر ٤٧/١.

٧- دلالة الألفاظ : ٦٨ .

وكان للمحدثين رأيهم في هذا البحث سواء كانوا من الغربيين أم من العرب , ويبدو أنَّه أول ما أثير على يد اللغوي همبلت (١٨٣٥م) اذ يرى أنَّ ((اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الأذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان))[١٨٨]. فهو من المؤيدين لوجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله , وجاء بعده

جسبرسن , ويبدو أنَّه كان معتدلاً في موقفه فهو ((ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالتها, غير أنَّه حذرنا من المغالاة في هذا إذ يرى أنَّ هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات , وأنَّ بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام , في حين كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة بعد أنْ كانت لا تلحظ فيها))[١٨٩].ويمضي في رأيه هذا ليلخص لنا الألفاظ التي ترتبط مع معانيها بصلة وثيقة , وهي[١٩٠]:

١-الألفاظ التي تدل على الأصوات الطبيعية كالحفيف والخرير , ومنها أصوات الحيوانات كالصهيل والزئير والعواء وغيرها .

٢- الألفاظ التي تعبر عن أفعال الإنسان والحيوان وحركاتهما مثل الصفع والطرق والمشي والرفس , و((هذا النوع من الألفاظ يكثر في اللغات البدائية , أو بين الأمم المتخلفة))[١٩١].

٣- الألفاظ التي تعبر عن الحالات النفسية , والمشاعر الإنسانية من كره وغضب وفرح وغيرها.

٤- الألفاظ التي تحتوي على زيادة في حروفها لتقابل زيادة معانيها , وهي قاعدة شائعة في العربية تُعرف بزيادة المبنى لزيادة المعنى .

وذهب وتني (١٨٩٤م) إلى أنَّ العلاقة عرفية مكتسبة[١٩٢] , وهذا ما أقره مؤسس علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسير[١٩٣](١٩١٣م).

---

[١٨٩] - دلالة الألفاظ , ص: ٦٨ .

[١٩٠] - ظ تفصيل ذلك في دلالة الألفاظ ,ص:٦٨-٧٠ , ودراسات في اللغة: ٧٩-٨٠ (العلاقة بين الصوت والمدلول , عبد الكريم المجاهد).

[١٩١] - دلالة الألفاظ: ٦٩.

[١٩٢]- ظ دراسات في اللغة:٧٦ (العلاقة بين الصوت والمدلول , عبد الكريم مجاهد)

٥- ظ علم اللغة العام , دي سوسير:٨٦-٨٧.

ولم يختلف الأمر بالنسبة للغويين العرب المحدثين , فقد انقسموا بين مؤيد ورافض، ومن أبرز المؤيدين للعلاقة الطبيعية احمد فارس الشدياق (١٨٨٨م) ,وعبد الله العلايلي[١٩٤] ،والدكتور صبحي الصالح الذي عدَّ تلك العلاقة ((فتحاً مبيناً في فقه اللغات بوجه عام))[١٩٥]. وذهب خلاف ذلك الدكتور إبراهيم أنيس[١٩٦], والدكتور تمام حسان[١٩٧] ,والدكتور محمود فهمي حجازي[١٩٨] وغيرهم .

ويرى الباحث أنَّ العلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة عرفية مكتسبة، ولا سبيل إلى القول بأنَّها علاقة طبيعية , فوجود مثل هذه العلاقة يحتم اطرادها في جميع مفردات اللغة الواحدة, وفي جميع لغات العالم، والتي بلغت آلاف اللغات , وهذا يعني أنْ يتمكن الفرد من التحدث بجميع هذه اللغات[١٩٩] , وهذا محال ، فضلاً عن أنَّ مفردات اللغة الواحدة ليست بدرجة متساوية من الوضوح , فكثيراً ما نحتاج إلى ترجمان لفهم بعض كلمات العربية ولهجاتها , وهذا يدل على غياب هذه اللغة المزعومة , ولو صحت لتعذر علينا تفسير بعض الظواهر اللغوية مثل الترادف والتضاد والمشترك اللفظي ، ومن ذلك قولهم (عساليج الشوحط) ويعنون بها (أغصان البان) فالمعنى واحد وشتان ما بين اللفظين . وهذا يدل على أنَّ صلة اللفظ بمعناه صلة مكتسبة تتضح في جرس المفردة ونغمها , وصفات حروفها من جهر وهمس , وشدة ورخاوة وغير ذلك , وعلى هذا ستكون دراستنا للدلالة الصوتية في مباحث هذا الفصل .

فواتح السور

---

[١٩٤] - ظ تفصيل ذلك في الصوت والمعنى في الدرس اللغوي الحديث عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: تحسين الوزان:١١٤-١٢١.

[١٩٥] - دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح: ١٥٩ .

[١٩٦] - ظ من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس: ٧٧.

[١٩٧] - اللغة بين المعيارية والوصفية: د.تمام حسان:١١٠.

[١٩٨] - ظ مدخل إلى علم اللغة : د.محمود فهمي حجازي:١١.

[١٩٩] - ظ المزهر ١/ ٤٧.

سيكون مبحثنا هذا على محورين هما : الحروف المقطعة في بداية السور , وأفعال الأمر التي افتتح بها عدد من سور القرآن الكريم .

الحروف المقطعة :

من المتشابهات القرآنية التي خاض فيها المفسرون والقرآنيون على اختلاف أزمنتهم ومذاهبهم , فقد اختلفوا فيها ما لم يختلفوا في غيرها ,وذكروا في تفسيرها آراءً وآراءً أوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين رأياً[٢٠٠] , اعتمد في أغلبها لاحقهم على سابقهم مع شيء من الإضافة والتوضيح , واسندوا ذلك إلى الصحابة والتابعين , وربما نسبوا إلى الصحابي الواحد أكثر من رأي , وكذلك الأمر مع التابعي , وهذا يدل على شدة التباين في هذه الحروف والمعاني التي دلت عليها. فلا غرابة أنْ نجد كتباً وبحوثاً ألفت لهذا الغرض . وسعى المحدثون للوصول إلى ما لم يصل له القدامى , فحاولوا وجدوا واجتهدوا لكنهم لم يوفقوا لذلك , فاكتفوا بذكر الآراء وتبني واحدٍ منها ثم دعمه بما يرونه من حجج , وسنعرض لأهم الآراء التي قيلت في هذه الحروف , ثم نبين علاقتها بالأمر ـ إنْ شاء الله تعالى ـ .

أولاً:

إنَّها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله , فهي سر محجوب , وعلم مستور ,لا ينبغي لنا الخوض فيه , أو الكشف عنه , ((وهذا المروي عن أئمتنا عليهم السلام وروت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال : إنَّ لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي , وعن الشعبي قال : لله في كل كتاب سر وسره في القرآن حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور))[٢٠١]. وذكر القرطبي (٦٧١هـ) ذلك معزواً إلى عدد من الصحابة[٢٠٢], وهو ما ذهب إليه أبو حيان[٢٠٣](٧٤٥هـ) والسيوطي[٢٠٤]. وذهب إليه

---

[٢٠٠] ـ ظ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢/٦-٩، ط دار الفكر، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٢٠٧-٢١٥.
[٢٠١] ـ مجمع البيان١/٣٢.
[٢٠٢] ـ ظ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٠٨-١٠٩.
[٢٠٣] ـ ظ البحر المحيط لأبي حيان ١/٣٥.
[٢٠٤]ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٢٤.

من المحدثين الآلوسي[٢٠٥], والشيخ محمد عبده[٢٠٦]، والسيد السبزواري الذي زاد أنَّ الله اختص بعلمها رسوله الكريمﷺ, وخاصة أوليائه[٢٠٧]عليهم السلام , وعدها الشوكاني من متشابه المتشابه[٢٠٨].

ثانياً :

إنَّها من وجوه الإعجاز القرآني التي تضمنت تحدياً للعرب , فهي تشير إلى أنَّ هذا القرآن الذي تسمعونه مؤلف من هذه الحروف التي تستعملونها في كلامكم ومع ذلك عجزتم عن معارضته والإتيان بمثله ، وفي ذلك ما فيه من التعجيز والقهر والغلبة , كما فيه دلالة على أنَّ هذا القول من فعل الله تعالى لا من فعل البشر[٢٠٩], وهو مذهب((بعض المحققين من علماء اللغة وفنونها كالفراء وقطرب والمبرد وبعض علماء الحديث))[٢١٠], وتبنى الزمخشري (٥٣٨هـ) هذا الرأي , وعده جديراً بالقبول , وعنده أنَّ ((ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه ؛ وكالتحريك للنظر في أنَّ هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم))[٢١١] ، وما ذلك ((إلا لأنَّه ليس بكلام البشر , وأنَّه كلام خالق القوة والقدر))[٢١٢].وبهذا قال

البيضاوي[٢١٣](٦٨٥هـ)، وابن كثير[٢١٤](٧٧٤هـ) من القدامى. وابن عاشور[٢١٥], وسيد قطب[٢١٦] , وبنت الشاطئ[٢١٧] من المحدثين.

---

[٢٠٥] - ظ روح المعاني للآلوسي ١٠٠/١.
[٢٠٦] - ظ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢٢/١.
[٢٠٧] -ظ مواهب الرحمن ٥٩/١-٦٠.
[٢٠٨] - ظ فتح القدير للشوكاني٣٦/١.
[٢٠٩] - ظ التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٤٨/١.
[٢١٠] - المنار ١٢٢/١, ظ الجامع لأحكام القرآن ١٠٩/١.
[٢١١] - الكشاف للزمخشري ٣٧/١.
[٢١٢] - السابق ٣٧/١-٣٨.
[٢١٣] - ظ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤٢/١.
[٢١٤] - ظ تفسير ابن كثير ٦٨/١.
[٢١٥] - ظ التحرير والتنوير ٢١٥/١-٢١٦.
[٢١٦] - ظ في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٨/١.
[٢١٧] - ظ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: د. عائشة عبد الرحمن: ١٤٢.

ويبدو أنَّ فكرة الإعجاز التي ارتبطت بهذه الحروف أوحت إلى بعض القائلين بها أنْ يتوسعوا فيها فيبحثوا عن العلاقة التي تربط بين هذه الحروف والسور التي افتُتِحت بها , فكان الرازي أول منْ أشار إلى ذلك حين تنبَّه إلى((غلبة ذكر القرآن أو الكتاب بعد هذه الفواتح))[٢١٨], وكذلك فعل ابن كثير عندما عمد إلى استقراء هذه السور , وانتهى إلى ((أنَّ كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أنْ يُذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه. وهذا معلوم بالاستقراء))[٢١٩], ورأي ابن كثير هذا تبنَّته بنت الشاطئ , ورأت فيه السر الذي يستطيع أنْ يفك لغز هذه الحروف , وسنعرض لهذا الرأي بالتفصيل عندما نبحث علاقة هذه الحروف بالأمر .

ومن المحدثين الذين ذهبوا إلى وجود علاقة بين هذه الحروف والسور التي افتُتحت بها هو السيد الطباطبائي بقوله : ((إنَّ بين هذه الحروف المقطعة وبين مضامين السورة المفتتحة بها ارتباطاً خاصاً , ويؤيد ذلك ما نجد أنَّ سورة الأعراف المصدرة بـ(المص) في مضمونهما كأنَّها جامعة بين مضامين الميمات والصادات ,وكذلك سورة الرعد المصدرة بـ(المر) في مضمونها كأنَّها جامعة بين مضامين الميمات والراءات))[٢٢٠]. وكذلك فعل الدكتور فاضل السامرائي الذي نظر إلى تردد بعض الألفاظ في السورة المفتتحة بهذه الحروف , و((من ذلك تردد لفظ (الكتاب) و(القرآن) (...) فنرى أنَّ لفظي الكتاب والقرآن مثلاً يترددان في السورة على نحو معين وذلك أنَّ كل سورة يلي الأحرف المقطعة فيها ذكر (الكتاب) وحده ولم يذكر معه (القرآن) تتردد فيها هذه اللفظة أكثر من لفظ (القرآن) وربما لم ترد فيها لفظة (القرآن) وكل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (القرآن) وحده تتردد فيها لفظة (القرآن) أكثر من لفظة(الكتاب) وربما لم ترد فيها لفظة (الكتاب) ولا مشتقات الكتابة .وكل سورة اجتمع فيها ذكرهما تردد ذكرهما بصورة متقاربة بحيث لا يزيد احدهما على

الآخر بأكثر من لفظ واحد))[٢٢١], وضرب لذلك الأمثلة , وتوسع فيها , ولم يقتصر على لفظي الكتاب والقرآن, بل ذكر أمثلة لألفاظ أخر وبيَّن العلاقة بين هذه الألفاظ والحروف

---

[٢١٨] - ظ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ١٤٢.
[٢١٩]- تفسير ابن كثير ٦٨/١.
[٢٢٠] - الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ٨/١٨-٩.
[٢٢١] - التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي:٢١٨.

المقطعة في بداية السورة[٢٢٢] ، ثم قال بعد ذلك((وانظر إلى سمو هذا الكلام ورفعته ودقته في اختيار ألفاظه ثم احكم أيمكن أنْ يكون هذا من كلام البشر؟))[٢٢٣].

ثالثاً:

إنَّها أدوات افتتاح مثل (ألا و أما) افتُتحت بها السور لغرض التنبيه وشحذ السمع والأذهان للإقبال على ما بعدها , ونقل السيوطي معللاً عدم استعمال أدوات الافتتاح المعروفة بقوله : ((وإنما لم تستعمل فيها الكلمات المشهورة في التنبيه كألا وأما الاستفتاحيتين لأنَّها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم , والقرآن كلام لا يشبه الكلام , فناسب أنْ يُؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع السمع))[٢٢٤]. روي ذلك عن مجاهد[٢٢٥] ، وهو ما ذهب إليه الرازي بقوله: إنَّ هذه السور ((قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه))[٢٢٦] , وكذلك القرطبي[٢٢٧]. فهي أدوات افتتاح اختص يها القرآن الكريم ؛ لأنَّه كلام ليس كغيره ، فناسب أنَّ يستعمل في مواضع افتتاحه أدوات ليست كغيرها مراعاةً لذلك .

وتبنى هذا الرأي من المحدثين محمد رشيد رضا , ودافع عنه بقوة قائلاً: ((من حسن البيان وبلاغة التعبير , التي غايتها إفهام المراد مع الإقناع والتأثير , أنْ يُنبِّه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه والمقاصد الأولى بها , ويحرص على أنْ يحيط علمه بما يريده هو منها , ويجتهد في إنزالها من نفسه أفضل منازلها , ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها لكي لا يفوته شيء منها. وقد جعلت العرب من هاء التنبيه أداة الاستفتاح فأي غرابة في أنْ يزيد عليها القرآن الذي بلغ حد الإعجاز في البلاغة وحسن البيان ويجب أنْ يكون فيها الإمام المقتدى))[٢٢٨].

وأيده الدكتور صبحي الصالح بقوة لا تقل عن سابقتها, وردد النص السابق ثم قال: ((وما تنفك هذه الفواتح من عوامل الاستغراب , ولا يخلق الاستغراب إلا

---

[٢٢٢] - ظ السابق: ٢٢٠-٢٢٣.
[٢٢٣] - التعبير القرآني:٢٢٣.
[٢٢٤] - الإتقان٣/٣١. وظ الإعجاز البياني للقرآن : ١٢٩ .
[٢٢٥] - ظ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٨٧/١.
[٢٢٦] - التفسير الكبير ٨٦/٦.
[٢٢٧] - ظ الجامع لأحكام القران ١٠٩/١.
[٢٢٨] - المنار ٢٩٩/٨.

الاهتمام , ولا يثير الاهتمام إلا التنبيه , ولن يُنبِّه الناس ويقرع أسماعهم صوت أحلى وقعاً من هذه الحروف المقطعة الأزلية التي همستها السماء في أذن الأرض))[٢٢٩].

وفرَّق أحد الباحثين بين التنبيه والافتتاح , وعدهما وجهين مختلفين , وعنده أنَّ هذه الحروف ذكرت لمجرد الافتتاح لا للتنبيه, وأخذ يجمع الحجج النقلية والعقلية ليدعم الأول ويدحض الآخر[٢٣٠].

والحق أنَّهما وجهان متلازمان , فالافتتاح مصطلح نحوي يدل على التنبيه , قال ابن هشام (٧٦١هـ) بعد أنْ ذكر أنَّ (ألا) تكون للتنبيه : ((ويقول المعربون فيها: حرف استفتاح , فيُبيّنون مكانها, ويهملون معناها))[٢٣١], وقال السيوطي , وهو يتحدث عن هذه الحروف , ((وقيل هي تنبيهات كما في النداء, وعدَّه ابن عطية مغايراً للقول بأنَّه فواتح , والظاهر أنَّه بمعناها))[٢٣٢].

رابعاً:

إنَّها حروف من حساب الجمل[٢٣٣], وهذا يعني أنَّ لكل حرف من هذه الحروف قيمة عددية معينة حسب موقعه من الترتيب الأبجدي، ومن خلال جمع القيم العددية لهذه الحروف يمكن الحصول على أعداد معينة يمكن من خلالها معرفة عمر الإسلام , أو عمر الأمم السابقة, وغير ذلك.

وأول من نهج هذا النهج هو حيي بن أخطب اليهودي، وقصته مروية في سيرة أبن هشام[٢٣٤](٢١٣ هـ) عندما كان يسأل الرسول ﷺ عن هذه الحروف ويجمع ما تدل عليه من سنين ، ليعرف عمر النبوة ، حتى اجتمع عنده سبعمئة وأربع وثلاثون سنة، فقال نفر ممن معه لقد تشابه علينا أمره، وإلى ذلك ذهب السهيلي[٢٣٥] والزملكاني[٢٣٦].

وهذا الرأي مرفوض لا سبيل إلى قبوله ولا دليل على صحته[٢٣٧].

---

٢٢٩ - مباحث في علوم القرآن , د.صبحي الصالح :٢٤٦.
٢٣٠ - ظ الحروف المقطعة في القرآن الكريم : عبد الجبار حمد حسين شرارة :٥٨-٦٨.
٢٣١ - مغني اللبيب :لابن هشام ٩٦/١.
٢٣٢ - الإتقان٣١/٣.
٢٣٣ - ظ جامع البيان ٨٨/١ , والتبيان في تفسير القرآن ٤٨/١.
٢٣٤ - ظ سيرة ابن هشام ١٢٨/٢ ، والإتقان ٢٩/٣ .
٢٣٥ - ظ الروض الآنف للسهيلي ٢٩٥/٢، وظ الإتقان٣٠/٣.
٢٣٦ - ظ البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن للزملكاني :٦٠.
٢٣٧ - ظ الحروف المقطعة في القرآن الكريم :٢٣-٢٤.

خامساً: ولعل أغرب ما قيل في هذا الباب وأسخفه قول عدد من المستشرقين أنَّ هذه الفواتح ليست من القرآن ، وإنَّما هي رموز وإشارات دخيلة على النص القرآني،

جعلها بعضهم مستوحاة من اليهود ونسب ذلك إلى النبيﷺ [٢٣٨]، وعدَّها الأخر اختصارات ((مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من صور قرآنية . فالسين من سعد بن أبي وقاص ، والميم من المغيرة ، والنون من عثمان بن عفان، والهاء من أبي هريرة وهكذا))[٢٣٩].

وهذا القول متهافت لا يصلح حتى للرد عليه ، وقد كفانا مؤونة ذلك عدد من الباحثين[٢٤٠].

هذه – باختصار- أهم الأوجه التفسيرية التي ذُكرت لهذه الحروف , وقد ذكروا لها وجوهاً أخر من قبيل أنَّها اسم الله الأعظم , أو أنَّها أسماء الملائكة , أو أنَّها حروف يشير كل منها إلى أكثر من معنى , وغير ذلك مما ذُكر في كتب التفسير وكتب علوم القرآن.

ويُلاحظ في كل هذه الآراء التي قيلت لتفسير هذه الحروف أنَّه لم ترد رواية واحدة عن الرسول ﷺ وهو أمر غريب حقاً , ولعل الدكتور رمضان عبد التواب كان محقاً بتساؤله ((أيكون الرسول الكريم ﷺ قد بيَّن هذه الرموز في روايات ضاعت ولم تصلنا , مات حاملوها في الحروب المختلفة ولم يورثوها لمن بعدهم فبقيت هذه الرموز بلا تفسير معقول))[٢٤١]. ولكن هذا يبدو بعيداً , ويبدو أنَّ العرب فهموها على معنى معين , فلولا أنَّهم ((كانوا يعرفون لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول مَنْ أنكر ذلك على النبيﷺ بل تلى عليهم حم فصلت وص , وغيرها فلم ينكروا ذلك بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة وحرصهم على زلة فدل على أنَّه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه))[٢٤٢] . ولكن إنْ كانت هي بهذه الدرجة من الوضوح بحيث لم يَسألْ عنها أحد , لمَ اختلف الصحابة والتابعون في معناها ؟ ولمَ ذهب المفسرون فيها مذاهب شتى ؟

---

[٢٣٨] - ظ إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : د.حفني محمد شرف: ٢٤٤.

[٢٣٩] - ظ مباحث في علوم القرآن :٢٤٢.

[٢٤٠] - ظ مباحث في علوم القرآن :٢٤٢-٢٤٣، وإعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق :د.حفني محمد شرف:٢٤٥-٢٤٦ ، والحروف المقطعة في القرآن الكريم :١٨.

[٢٤١] - حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس :ع ٨ ،ص: ١٨٢:١٩٦٣ (حول فواتح بعض السور ,د . رمضان عبد التواب ، نقلاً عن الحروف المقطعة في القرآن الكريم :٦٥.

[٢٤٢] - الإتقان ٣١/٣.

ويبدو للباحث أنَّ حل هذه المسألة يكمن في الجمع بين الوجوه التي لا يؤدي جمعها إلى تناقض , فهي حروف افتتاحية جيء بها لغرض التنبيه – وربما فهمها العرب هكذا – ومع ذلك فهي لا تخلو من سر يحيط بها, ولا من علاقة تربطها مع السور التي افتتحت بها , بغض النظر عن نوع هذه العلاقة فقد تكون صوتية أو دلالية

أو غيرهما , وهذا ما أكدته البحوث الحديثة , وكان الزركشي(٧٤٩هـ) قد أشار إلى هذه العلاقة[٢٤٣] , وربما حملت إلينا البحوث المستقبلية أسراراً لهذه الفواتح ,ولا سيما في مجال الصوت الذي أخذ أثره يظهر في السنوات الأخيرة وفي مختلف المجالات العلمية، فهذه الحروف من القرآن , والقرآن يختص بمعناه الحركي الذي لا يحده الزمان , ولا يقتصر على مكان ، فكثير من الآيات القرآنية فُسِّرت تفسيراً معيناً , وجاء البحث الحديث فأثبت لها تفسيراً آخر , والله أعلم.

علاقة هذه الحروف بالأمر

دلت الحروف المقطعة على الأمر وارتبطت به بطرق عدة , فمن ذلك تفسير بعضها على أنَّه فعل أمر كما في قوله تعالى: ﴿ **طـــه * مَـا أَنزَلْنَـا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾(طه:١-٢)، قيل:إنَّه فعل أمر من (وطا يطا) بتخفيف الهمزة وإبدالها ألفاً على لغة مـنْ لا يهمز[٢٤٤], والـ(ها) مفعول به , وهو ضمير يعود على الأرض , فقد ((رُوي أنَّ النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فأنزل الله (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى) فوضعها))[٢٤٥] , فهو((خطاب لرسول الله ﷺ بأنْ يطأ الأرض بقدميه لما كان

---

[٢٤٣] - ظ البرهان في علوم القرآن ١٦٩/١-١٧٠.

[٢٤٤] - ظ البحر المحيط ٢٢٤/٦, وتفسير أبي السعود ٢/٦.

[٢٤٥] - مجمع البيان ٢/٤.

يقوم في تهجده على إحدى رجليه مبالغة في المجاهدة))[٢٤٦], وعلى ذلك عدد من المفسرين[٢٤٧].

ويبدو أنَّ تعمده ﷺ رفع إحدى قدميه في الصلاة ليزيد تعبه أمرٌ مستبعد , والأنسب ما ذكره ابن عطية (٥٤٦ هـ) أنَّ ((سبب نزول الآية إنَّما هو ما كان رسول الله ﷺ يتحمله من مشقة الصلاة حتى كانت قدماه تتورم ويحتاج إلى الترويح بين قدميه فقيل له طأ الأرض أي لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح))[٢٤٨].

وقيل: هو أمر من (وطأ) المهموز وقد أبدلت همزته هاءاً أو ألفاً , ثم بني عليه الأمر , والهاء للسكت[٢٤٩], أو أنَّ هاء السكت حلت محل الهمزة بعد حذفها[٢٥٠] , ويؤيد ذلك قراءة بعضهم (طَٰٓهْ) بفتح الطاء وسكون الهاء[٢٥١].

ورد الشيخ محمود شلتوت ذلك , وعنده أنَّ الشقاء المذكور في الآية الكريمة ((ليس هو الشقاء الجسماني الذي نشأ من طول إقامته في التهجد على إحدى قدميه حتى تورمت))[٢٥٢] إنَّما((هو الشقاء النفسي الذي تولت السورة من أولها إلى آخرها علاجه))[٢٥٣]. ولا بأس أنْ تشمل المفردة المعنيين: الشقاء الجسماني ، والشقاء النفسي.

وكذلك الحرف (ص) في قوله تعالى: ﴿ **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾(ص:١), فقد قرئ (صادِ)[٢٥٤] بكسر الدال وهو((أمر من صادى يُصادي إذا ضاهى وماثل , أي

---

[٢٤٦] - تفسير أبي السعود ٢/٦.
[٢٤٧] - ظ الكشاف٤٧/٣ , البحر المحيط ٢٢٤/٦ , والتفسير الكبير٦/٢٢.
[٢٤٨] - المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦/٤ , و ظ روح المعاني ١٤٨/١٦.
[٢٤٩] - ظ الكشاف ٣/ ٤٧-٤٨.
[٢٥٠] - ظ مجمع البيان ٤/ ٢, والبحر المحيط ٦ / ٢٢٤.
[٢٥١] - ظ مجمع البيان ٤/ ٢ , وتفسير أبي السعود ٦ / ٢.
[٢٥٢] - من هدى القران : الشيخ محمود شلتوت :٩٦.
[٢٥٣] - السابق :٩٦.
[٢٥٤] - ظ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ابن جني ٢/ ٢٧٦.

صار كالصدى الذي يحكي الصياح , والمعنى: ماثل القرآن بعلمك , وقارنه بطاعتك))[٢٥٥] , وقيل: ((معناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه))[٢٥٦]. وقرئ (صادَ) بفتح الدال, وفُسر على أنَّه فعل أمر بمعنى (اتلُ)[٢٥٧], أومفعول لفعل أمر محذوف تقديره اذكر أو اقرأ [٢٥٨]. وعلله ابن جني بقوله: ((وقد يجوز أنْ يكون من فتح جعل (ص) علماً للسورة ، فلم يصرف ، فالفتحة على هذا فتحة إعراب))[٢٥٩].

وبهذا فُسر الحرف (ق) في قوله تعالى: ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ﴾ (ق:١) , فقالوا: ((يجوز أنْ يكون (ق) أمراً من مفاعلة قفا أثره أي تبعه , والمعنى اتبع القرآن واعمل بما فيه , ولم يُسمع مأثوراً , ومثله ما قيل :إنَّه أمر بمعنى قف أي قف عندما شرع لك ولا تجاوزه))[٢٦٠].

والحق أنَّ دلالة هذين الحرفين (الصاد والقاف) على الأمر ضعيفة , ولا سيما حرف الصاد فهو لا يدل على ذلك إلا على قراءة الكسر , ومعلومٌ أنَّ هذه الحروف تقرأ ساكنةً على الوقف ، بخلاف قوله تعالى (طه) فدلالته على الأمر فيها كثير من الوضوح , يؤيد ذلك من حيث المعنى الآية الثانية (ما انزلنا عليك القران لتشقى) حيث حلت محل التعليل للآية الأولى , فليس الغرض من إنزال القرآن شقاءك وتعبك , فطأ الأرض بقدميك , ولا تحمل نفسك ما لا تطيق.

ومن المظاهر الأخرى لدلالة هذه الحروف على الأمر تفسيرها بأنَّها حروف افتتاحية , الغرض منها تنبيه المخاطب وحثه على الاستماع لما بعدها , والإقبال عليه بفكره مصغياً و متأملاً. وعلى وفق هذا التفسير تكون هذه الحروف بمنزلة الأمر من الله تعالى بالتفكير في كلامه وتدبُّره , واستجلاء غوامضه ودواخله , وصولاً إلى المراد , وهو أمر محمود ندب له القرآن الكريم في أكثر من آية , قال تعالى : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (محمد:٢٤) ,و قال في آية أخرى:(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)(النساء:٨٢), فلا يُبعد أنْ تكون هذه الحروف أمراً خفياً , أمر بصيغ إلهيه فريدة ليس كمثلها صيغ , تدعو إلى تأمل هذا الكتاب الفريد , وكشف أسراره , وهي تحمل من الجدة والسحر الموسيقي ما لا نجده في غيرها , وفيها(((شحنات) روحية فيها نداوة , وحلاوة , إذا خلت من معنى فلن تخلو من نغم يثير في النفس

---

[٢٥٥] - المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١.
[٢٥٦] - الكشاف ٦٧/٤, و ظ التفسير الكبير ٦/٢٢.
[٢٥٧]- ذكر ذلك القرطبي ١٥ / ١٤٣, ولم أجده عند غيره.
[٢٥٨]- ظ السابق ١٥ / ١٤٣, وروح المعاني ٢٣ / ١٦١.
[٢٥٩] - المحتسب ٢٧٦/٢.
[٢٦٠]- روح المعاني ١٧١/٢٦.

ما تثير المعاني من مشاعر, وما توحي من أحاسيس و وجدانات))[٢٦١] , وفي ذلك تلطف في الدعوة إلى التدبُّر, ولينٌ في الحث عليه, لأنَّه عمل فكري , ولا يمكن أنْ يأتي العمل الفكري بالقهر والإجبار.

وأشارت الدكتورة بنت الشاطئ إلى علاقة هذه الحروف بأسلوب الأمر في السور التي افتتحت بها , فقد بدأت عملها مؤيدة وداعمة القول بأنَّ هذه الحروف جيء بها لإعجاز العرب , وتحديهم بأنْ يأتوا بمثل هذا القرآن الذي يتكون من الحروف التي يتخاطبون بها , ويستعملونها في سائر كلامهم , وهذا القول عندها ((أقرب ما يكون إلى طبيعة الكتاب العربي المبين في إعجاز بيانه))[٢٦٢], ثم تمضي متابعة ما لمحه ابن كثير في ((أنَّ كل سورة افتُتحت بالحروف فلا بد أنْ يُذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه . وهذا معلوم بالاستقراء , وهو الواقع في تسع وعشرين سورة))[٢٦٣], ثم توضح منهجها قائلة: ((يتجه منهجنا ابتداءً , إلى استقراء كامل لجميع السور المفتتحة بالحروف المقطعة , مرتبةً بحسب النزول . وهي محاولة لا أعلم أنَّ أحداً ممن قرأتُ لهم في هذه الفواتح قد اتجه إليها, مع أنَّها التي يمكن أنْ تهدينا إلى ملحظ مشترك في هذه السور جميعاً , مأخوذ من تدبر سياقها وفهم طبيعة المقام الذي اقتضى إيثارها بهذه الفواتح , مرتبطاً بسير الدعوة عصر المبعث ونزول آيات المعجزة))[٢٦٤].

ويبدو أنَّها اختارت هذا المنهج ,لأنَّها أرادت ((أنْ تلحظ تصاعد الخطاب القرآني نفسه من حيث أسلوبه وطريقة عرضه للقضايا. فمن أجل هذا وذاك اختارت في دراستها التسلسل التاريخي لنزول السور المفتتحة بالحروف المقطعة))[٢٦٥], ومن خلال تتبع هذه الدراسة استطاع أحد الباحثين[٢٦٦] أنْ يهتدي إلى غلبة الأسلوب الأمري في الخطاب القرآني في هذه السور , ولاسيما في المجموعة الثانية منها[٢٦٧]، , فنرى((أن أسلوب الأمر كان طاغيا ، بلاغيا ، على بقية الأساليب الأخرى ، فقد ورد في جميع السور

---

[٢٦١] - إعجاز القرآن :عبد الكريم الخطيب ،الكتاب الثاني:١٨٩.
[٢٦٢] - الإعجاز البياني للقرآن :١٤٢.
[٢٦٣] - تفسير ابن كثير ٦٨/١ ، ظ الإعجاز البياني للقرآن :١٤٢.
[٤] - الإعجاز البياني للقرآن :١٤٥.
[١]- ظ جهود عائشة عبد الرحمن في الكشف عن إعجاز النص القرآني: فاروق ذنون :٥٩-٦٥.
[٢] – ظ جهود عائشة عبد الرحمن في الكشف عن إعجاز النص القرآني: فاروق ذنون :٥٩-٦٥.
[٣]- جعلت بنت الشاطئ السور المفتتحة بالحروف على خمس مجاميع مرتبة زمنياً حسب زمن نزولها , ظ الإعجاز البياني للقرآن:٢٥٢-١٦٢.

باستثناء أسلوب التمني في سورة " هود " وأسلوب النفي في سورة " يوسف " ذلك أن خصام الملاججة بلغ ذروته ، فكان لزاما على نسق القرآن الكريم أن يرد على هذا الإصرار بالمغالطة بأوامر تترى إلى النبي وكل متلق مؤمن))[٢٦٨].

وانتهت الدكتورة بنت الشاطئ إلى عدة ملاحظ منها أنَّ ((أكثر السور المبدوءة بالفواتح , نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى , وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة , فواجههم القرآن بالتحدي .وعاجزهم مجتمعين , ومنْ ظاهَرَهم من الجن , أنْ يأتوا بسورة من مثله مفتراة ,أو فليأتوا بعشر سور, أو بحديث مثله , ما داموا يزعمون أنَّ محمداً افتراه وتقوَّله))[٢٦٩]. وهذا كله يحتاج إلى أوامر صارمة , وإنْ اختلفت في أسلوبها وشدتها , سواء كانت للرسولﷺ , أو للمؤمنين لزيادة إيمانهم وتمسكهم بعقيدتهم , أو للمشركين من قريش ومن سلك نهجها , لإفحامهم وتعجيزهم وتبكيتهم . ويلاحظ في كل ذلك أهمية أسلوب الأمر عندما يشتد الجدال والملاججة لحسم الأمور , ووضعها في نصابها الصحيح.

---

[٢٦٨] - جهود عائشة عبد الرحمن في الكشف عن إعجاز النص القرآني: ٦٥.

[٢٦٩] - الإعجاز البياني للقرآن :١٦٦.

أفعال الأمر في بداية السور

افتُتحتْ سبع سور كريمة بأفعال أمرية , خمسٌ منها افتتحت بالفعل (قلْ) , وسنخصه بالبحث فيما بعد , والسورتان الأخريان هما(العلق) وافتتحت بالفعل (اقرأ) , و(الأعلى) وافتتحت بالفعل (سبِّح) , وسنتناولهما بالبحث تباعاً- إنْ شاء الله تعالى - .

اولاً: سبِّح :

مُفتَتَح قوله تعالى: ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ (الأعلى:١), والتسبيح في اللغة هو التنزيه , وسبَّح الله نزَّهه عن كل ما لا يليق به تعالى[٢٧٠], أما في الاصطلاح فهو((قول أو مجموع قول مع عمل يدل على تعظيم الله تعالى وتنزيهه))[٢٧١].

واختلف المفسرون في معنى الآية الكريمة , فقال بعضهم: تعني ((عظم ربك الأعلى لا رب أعلى منه وأعظم))[٢٧٢], ورُوي عن النبيﷺ أنَّه إذا قرأ هذه الآية قال :(سبحان ربي الأعلى), وكذلك روي عن الإمام عليعليه السلام [٢٧٣]. فالمقصود تعظيم المسمى , والاسم صلة لتحقيق ذلك[٢٧٤], كما قال لبيد[٢٧٥]:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ومجيء الاسم زائداً لتعظيم المسمى أمرٌ لا يمكن الركون إليه , ولو صح لرأيناه في كثير من الآيات التي تطلب الأمر فيها تعظيماً وتمجيداً [٢٧٦].

وقيل: إنَّ المعنى((نزِّه يا محمد اسم ربك الأعلى أنْ تسمي به شيئاً سواه))[٢٧٧] , وعلى هذا ((فالتنزيه يقع على الاسم , أي نزهه عن أنْ يُسمى به صنم أو وثن فيُقال له رب أو إله , وإذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أنْ يُطلق على غيره فهو أبلغ , وتنزيه الذات

---

[٢٧٠] - ظ لسان العرب ٢٥٠/٢.
[٢٧١] - التحرير والتنوير ٤٠٥/١.
[٢٧٢] - جامع البيان ٥٤٢/١٢.
[٢٧٣] - ظ السابق ٥٤٢/١٢ , ومجمع البيان ٣٢٥/١٠.
[٢٧٤] - ظ الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٠.
[٢٧٥] - ديوان لبيد: ٧٩.
[٢٧٦] - ظ الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو ,قاسم كتاب , ص:١٧٤-١٧٥.
[٢٧٧] - جامع البيان ٥٤٢/١٢.

أحرى))[٢٧٨], وقيل : إنَّ الاسم بمعنى المسمى[٢٧٩], أو أنَّ المراد ((نزه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه , أنْ تذكره إلا وأنت له خاشع متذلل))[٢٨٠]. قال السيد

الطباطبائي: ((تنزيه اسمه تعالى أنْ يُجرد القول عن ذكر ما لا يناسب ذكره ذكر اسمه تعالى , وهو تنزيهه تعالى في مرحلة القول الموافق لتنزيهه في مرحلة الفعل))[٢٨١].

ولمعرفة معنى الآية بشكل دقيق لا بد لنا من معرفة أنَّ الأمر بتسبيح الله تعالى في القرآن الكريم جاء على ثلاث صور هي[٢٨٢]:

١- الأمر بتسبيح الله تعالى مباشرة ، نحو قوله:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ (الأحزاب:٤١-٤٢) ، وقوله جل وعلا:﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (الصافات:١٥٩).

٢- الأمر بتسبيح اسم الله تعالى ، كقوله جل علا:﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ** ﴾ (الحاقة:٥٢).

٣- الأمر بتسبيح صفة من صفات الله تعالى ، وهو ما اختصت به صفة الحمد فقط كقوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ (الحجر:٩٨).

وفرَّق ابن عاشور بين الأول والثاني اعتماداً على القول والتفكُّر، ((فتسبيح اسم الله النطق بتنزيله في الخويصة وبين الناس بذكر يليق بجلاله من العقائد والأعمال كالسجود والحمد. ويشمل ذلك استحضار الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ إذ المقصود من الكلام معناه. وبتظاهر النطق مع استحضار المعنى يتكرر المعنى على ذهن المتكلم ويتجدد ما في نفسه من تعظيم الله تعالى. وأما تفكر العبد في عظمة الله تعالى وترديد تنزيهه في ذهنه فهو تسبيح لذات الله ومسمى اسمه ولا يُسمى تسبيح اسم الله لأنَّ ذلك لا يجري على

---

[٢٧٨] - البحر المحيط٨/٤٥٨.
[٢٧٩] - ظ السابق٨/٤٥٨.
[٢٨٠] - جامع البيان ١٢/٥٤٢.
[٢٨١] - الميزان ٢٠/٢٦٤.
[٢٨٢] - ذكر السيد محمد باقر الحكيم الصورتين الأولى والثانية ، ظ تفسير سورة الحمد :١٦١.

لفظ من أسماء الله تعالى فهذا تسبيح ذات الله وليس تسبيحاً لاسمه))[٢٨٣]. وأشار السيد الطباطبائي إلى أنَّ تنزيه الاسم ((إنَّما يقع في القول)) [٢٨٤].

وذهب السيد محمد باقر الحكيم إلى ((أنَّ المراد من التسبيح في شكله الأول هو تنزيه الله عز وجل بحسب مضمون التسبيح وواقعه ، أي تسبيحه بالحمل الشائع الصناعي-كما يُقال في علم المنطق- فإذا أردنا أنْ نذكر واقع التنزيه والتسبيح لله تبارك وتعالى فلا بد أنْ نأتي بالتسبيح منسوباً إليه مباشرةً ﴿سبحان ربك... ﴾ ﴿ سبحان الله ... ﴾ ويكون العبد حينئذ في مقام تنزيه الباري عز وجل تنزيهاً واقعياً خارجياً(...) وأما إذا أراد العبد تنزيه البارئ عز وجل ضمن شعيرة معينة وضمن إطار وشكل معين للتنزيه والتسبيح بحيث يُؤخذ الشكل والصورة والصيغة والهيكلية بعين الاعتبار أي تسبيحه (بالحمل المفهومي) ولا يكتفي فيه بمجرد واقعه بل يُنظر فيه

إلى مفهوم التسبيح ولا يقتصر على مضمونه ، فحينئذ تستخدم كلمة(الاسم) وينسب إليها التسبيح لتحصيل هذا الأمر))[٢٨٥].

ويرى الباحث أنَّ رأي السيد الحكيم هو الأرجح في هذه المسألة , فالأمر لا يتعلق بالعبد وكيفية تسبيحه , سواء كان بالقول أم بالتفكر , إنَّما يتعلق بالله سبحانه وتعالى , والمراد من ذلك التسبيح . فتسبيح الله تعالى أعم وأشمل ؛ لأنَّه يعني تسبيحه بكل صفاته وأفعاله ، وهو تسبيح غير مقيد بزمان أو مكان , ولا بفعل أو بقول , أما تسبيح (اسم الرب)) فهو مقيد بالصفة المذكورة , فـ(سبح اسم ربك الأعلى) يعني سبِّحه في صفة العلو و القدرة لا غيرها , و(سبِّح اسم ربك العظيم) سبِّحه في صفة العظمة لا غير .

وعلة ذلك أنَّ تسبيحه تعالى في تلك الصفة هو المطلوب , لبيان بديع فعله متصفاً بها , وهو شبيه بدعاء العبد إذا احتاج إلى عطاء ربه متصفاً بإحدى صفاته , فالمريض يدعوه بالمشافي ليشافيه , والمكروب يدعوه بالمفرِّج ليفرِّج عنه , وهكذا ,فـ (سبح اسم ربك الأعلى) يعني سبِّحه في صفة العلو والقدرة , لأنَّها دليل تمكنه وقهره وغلبته , لذلك جاءت الآيات بعدها تبين ذلك التمكن وتلك الغلبة , فهو ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى* وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى** ﴾ (الأعلى:٢-٥).

---

[٢٨٣]- التحرير والتنوير.٢٧٣/٣٠.

[٢٨٤] - الميزان ٢٦٤/٢٠.

[٢٨٥]- تفسير سورة الحمد : ١٦٢.

وكل ذلك مما تفرد به سبحانه وتعالى , فاقتضت الحكمة ((أنْ تلحظ هذه الأسماء لحاظاً واضحاً , وأنْ تُقصد بعناوينها التفصيلية ولا تكون لمجرد الإشارة إلى الذات المقدسة , فالتركيز على هذه الأسماء لمدى أهميتها , لا على الذات . ولو كان التركيز على الذات لانمحت استقلالية , وتفاصيل هذه الأسماء وهذا خلاف الحكمة))[٢٨٦].

يدل على ذلك أنَّ الاسم دائماً يُضاف إلى الرب لا إلى الله تعالى , وفي هذا ((حكمة تناسب المقام. ذلك أنَّ اسم الرب من صفات الفعل لا من أسماء الذات كاسم الله .فالربوبية صفة فعلية تتعلق بتدبير الخلق وتستلزم وجودهم , أما الألوهية فصفة ذاتية خاصة بالله سبحانه دون علاقة فعلية صادرة من الله نحو خلقه))[٢٨٧].

٣- أما النوع الثالث وهو تسبيح إحدى صفات الله تعالى , فيدخل في النوع الثاني, ولكنه خصه تعظيماً لصفة الحمد , وحث العبد على حمد ربه حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه , فسبح بحمد ربك, يعني سبح اسم ربك الحميد , والحمد

من الصفات التي نُدب العبد إلى إجلالها وإعظامها , ومجيؤها في مطلع الفاتحة بصيغة الاسم التي تدل على الثبات والدوام دليل على ذلك , والله اعلم .

وبعيداً عن كل ذلك فالنغم الموسيقي الهادئ الذي ينبعث من لفظه (سبِّح) بمهموسيها (السين والحاء) يُشيع طمأنينة غامرة , وسكوناً نفسياً نجد صداه في تمام

الآية , وما بعدها من الآيات , فتسبيح الله تعالى بصفة العلو والقدرة المطلقة التي تجلت بتفرده بأفعال الخلق والهداية وغيرهما يزيد النفس قوة ومنعة , ويجعل الإنسان لا يخشى أحداً سواه , فكل ما عداه تعالى ضعيف مهما استقوى , وفقير مهما استغنى , فهو العلي القاهر فوق عباده , فافتتاح السورة ((بهذا المطلع الرخي المديد , ليطلق في الجو ابتداءً أصداء التسبيح , إلى جانب معنى التسبيح , وإنَّ هذه الصفات التي تلي الأمر بالتسبيح (الأعلى الذي خلق فسوى .والذي قدر فهدى .والذي أخرج المرعى .فجعله غثاء أحوى)..لتحيل الوجود كله معبداً يتجاوب جنباته بتلك الأصداء , ومعرضاً تتجلى فيه آثار الصانع المبدع))[٢٨٨].

---

[٢٨٦] - منة المنان في الدفاع عن القرآن : السيد محمد محمد صادق الصدر : ٣٨.
[٢٨٧] - بحوث في تفسير القران: سورة العلق: جمال الدين عياد : ٤٨.
[٢٨٨] - في ظلال القرآن : سيد قطب ٣٠/ ١٢٥.

ثانياً: اقرأ:

مُفتَتَح قوله تعالى:﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ (العلق:١). والقراءة ((ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل))[٢٨٩] ، وعُرِّفت بأنَّها ((نطق بكلام معين مكتوب أو محفوظ على ظهر قلب))[٢٩٠]، وقيل : هي هنا تعني التلاوة من الذاكرة لا من مكتوب ، لأنَّهﷺ كان أمياً[٢٩١].

وتباينت الآراء في تقدير المقروء ، وكذلك علاقة الفعل بما يليه ، فقيل : المقروء هو القرآن، و((محل (باسم ربك) النصب على الحال ، أي: اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ، ثم اقرأ))[٢٩٢]. بصرف النظر عن كون ((القراءة في الحال أو في المستقبل القريب من الحال ، أي إن يقول ما سيُملى عليه ، والقرينة على أنَّه أمر بقراءة في المستقبل القريب أنَّه لم يتقدم إملاء كلام عليه محفوظ فتُطلب منه قراءته، ولا سُلِّمت إليه صحيفة فتطلب منه قراءتها، فهو كما يقول المعلم للتلميذ: اكتب ، فيتأهب لكتابه ما سيمليه عليه))[٢٩٣]. وقيل:(باسم ربك) ((هو المفعول وهو المأمور بقراءته كما تقول: اقرأ الحمد لله))[٢٩٤] ، وقيل : الباء زائدة ، (واسم ربك) هو المفعول كقول الشاعر:

سود المحاجر لا يقرأن بالسور

أي: لا يقرأن السور، وقرينة ذلك أنَّ الفعل متعدٍ بنفسه[٢٩٥]، وقيل : ((الباء بمعنى على ، أي اقرأ على اسم الله ، كما قالوا في قوله : (اركبوا فيها باسم الله) أي على اسم الله))[٢٩٦] ، وقيل غير ذلك من الآراء التي نوقشت في محلها من كتب التفسير[٢٩٧].

---

[٢٨٩] - المفردات للراغب الأصفهاني : ٦٦٨.
[٢٩٠] - التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٣٥.
[٢٩١] - ظ بحوث في تفسير القرآن: سورة العلق: ٣٣-٣٨.
[٢٩٢] - الكشاف ٤/ ٧٦٦ .وظ تفسير أبي السعود ٧٧١/٩.
[٢٩٣] - التحرير والتنوير ٤٣٥/٣٠ . وظ الميزان ٣٢٢/٢٠.
[٢٩٤] - البحر المحيط ٤٩٢/٨.
[٢٩٥] - ظ الجامع لأحكام القرآن ٨١/٢٠ ، والميزان ٣٢٢/٢٠.
[٢٩٦] - التحرير والتنوير ٤٣٦/٣٠.
[٢٩٧] - ظ التفسير الكبير ١٣/٣٢-١٤.(ط دار الفكر)

وضعَّف الباحث جمال الدين عياد هذه الآراء ،وذهب إلى ((أنَّ الله سبحانه وتعالى إنَّما أراد بقوله: (باسم ربك) أنْ يُبيّن أنْ لرسوله طبيعة الوحي الذي يأتيه إنَّما هو وحي ربه لا وحي غيره من جن أو شيطان ، وهي حقيقة لم يكن بد من تقريرها في أول العهد بالوحي ليتبيَّن -عليه السلام- على وجه التحقيق أي شيء يُراد به))[٢٩٨]. وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور عندما ذكر القول بأنَّ الباء بمعنى على ، فقال ((أي إن الملك جاءك على اسم ربك أي مرسلاً من ربك فذكر (اسم) على هذا متعين))[٢٩٩].

ويبدو أنَّ الأمر أبعد من ذلك , فالقراءة هنا تعني الاستعداد والتهيؤ لأعباء الرسالة , فكلمة اقرأ ((لا تعني في الواقع الأمر بالقراءة , وإنَّما معناها (انذر) أو(ادع)))[٣٠٠] . ولكنها دعوة ليست باسمه , ولا من عنده , فـ ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ (النجم:٤) , إنَّما هي باسم الله تعالى , مرسلة من عنده إلى عباده , فما يقوم به الرسول الكريمﷺ من أمر ونهي , ومنع جواز , وثواب وعقاب , كل ذلك باسم الله تعالى وبأمره , فـ(باسم ربك) أفادت إسناد الدعوة إلى الله , وإنْ كان القائم بها الرسولﷺ , وهو شبيه بما يفعله ملوك الأرض عندما يرسلون إلى رعاياهم منْ يُبلِّغ عنهم , وينقل أوامرهم ونواهيهم , وكيفية عملها , فترى المرسل يقوم بكل ذلك ولكن ليس باسمه , ولا حسب رأيه , إنَّما باسم سيده .

وإسناد الأمر إلى الله تعالى فيه قوة للرسول ﷺ وشدٌّ لأزره , فإبلاغه أنَّه مسند من المولى عز وجل , وفي رعايته , تجعله يشعر بالاطمئنان , وبثقة فيما يقول ويعمل , فلا يخشى إلامَ استند الآخرون , ومجيء كلمة (ربك) بدلاً من الاسم المقدس يدل على ذلك , فهي من صفات الفعل , وفيها معنى الذي ربك ورعاك في كل مراحل حياتك , فلن يهملك بعد أنْ بلغت هذه المرحلة وهي غاية ما يراد لك[٣٠١] . والصفات

التي ذكرت بعدها تؤيد هذا المعنى , فالله الذي خلق عباده من العدم قادر عليهم , قاهر فوقهم , فلا تخشَ في تبليغ أوامره أحداً , ولا تركن إلى سواه .

ولم تقتصر دلالة (اقرأ) على هذا القدر فحسب , إنَّما تعدته إلى الجمع بين العلم والعمل , فالقراءة التي أمر بها القرآن هي قراءة لتحصيل العلم , ولا فائدة في علم لا

---

[٢٩٨] - بحوث في تفسير القرآن سورة العلق: ٤٧.
[٢٩٩]- التحرير والتنوير ٤٣٦/٣٠.
[٣٠٠] - تاريخ القرآن : د.عبد الصبور شاهين : ٤٩.
[٣٠١] - ظ التفسير الكبير ٤٣٥/٨ , والبحر المحيط ٤٩٢/٨.

يُعمل به , كما لا فائدة في عمل لا يستند إلى علم ؛ لأنَّ كليهما قاصر , وقد ((انفرد القرآن بين جميع الكتب المقدسة بأنَّه ابتدأ بهذه الكلمة وهذا الأمر. وهذا منتهى التشريف للعلم والعلماء أنْ يكون أول حرف في الدين هو أمر بالقراءة وطلب العلم))[٣٠٢]. والعلم الذي دعا إليه القرآن ليس علماً مجرداً ((وليس علماً نظرياً فارغاً وإنَّما علم مقترن بالعمل))[٣٠٣] . وحيثما ((كان هناك علم وعمل كان هناك عطاء وكانت هناك حضارة وقد أعطى القرآن مفتاح هذه الحضارة ((اقرأ)))[٣٠٤].

فلا جدال - بعد ذلك - أنْ يكون القرآن ((على هذا الاعتبار أعظم وأقوى ، وأول داع ديني إلى العلم والقراءة والكتابة . وتعبير الإنسان شامل للذكر والأنثى على السواء ، وهكذا تكون الدعوة القرآنية شاملة جنسي الإنسان . وفي هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كل مستوى ، وما يدل على عظمة براعة استهلال القرآن الكريم والدعوة الإسلامية وبُعد مداها، وقوة عناصر خلودها))[٣٠٥].

ثالثاً: قل :

أكثر أفعال الأمر وروداً في القرآن الكريم , حيث ورد (٣٣٢) مرة [٣٠٦] , وهو مساوٍ لعدد المرات التي ذُكر فيها القول[٣٠٧] , ويتكون صوتياً ((من قاعدة (صوت القاف) + قمة (صوت الضمة القصيرة) +قاعدة (صوت اللام)))[٣٠٨] , فهو من الكلمات المقطعية التي تتميز بنبرها , ومقطعه مقطع طويل مغلق[٣٠٩], وإذا عرفنا أنَّ النبر ((وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام

---

[٣٠٢] - القرآن محاولة لفهم عصري :مصطفى محمود :١٣٤.
[٣٠٣] - السابق : ١٣٥.
[٣٠٤] - السابق :١٤٠.
[٣٠٥] - التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ١٢٤/٣.
[٣٠٦] - ظ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي:٧٢٧.
[٣٠٧] - ظ الإعجاز العددي في القران الكريم : عبد الرزاق نوفل :١٦٩.
[٣٠٨] - القول في القرآن الكريم دراسة لغوية ونحوية : أحمد إبراهيم صاعر:١٣.
[٣٠٩] - ظ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: د. رمضان عبد التواب :٦٣ ، ومناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان : ٩٥.

ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم))[٣١٠], تبين لنا أثر ذلك في تسليط الضوء على جملة القول , وشد الانتباه لها , من خلال نبر فعل القول قبلها ,

ولا سيما أنَّ الكلمة ذات المقطع الواحد تتمتع بنبر أولي قوي , ولا تقبل النبر الضعيف[٣١١].

وقد افتتحت به خمس سور هي: الجن الكافرون والإخلاص والفلق والناس ، فأفاد في الآية الأولى الإخبار عن استماع الجن للقرآن الكريم ووصفهم له بأنَّه قرآن عجب . وفي الآية الثانية أفاد الرد على الكافرين الذين عرضوا على الرسول الكريم ﷺ أنْ يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الله سنة ، أما في الآية الثالثة فأفاد الرد على المشركين الذين سألوا الرسول ﷺ أن ينسب لهم الله تعالى، أما في الآيتين الأخريين فأفاد الدعاء ، وسيأتي تفصيل ذلك في الدلالة السياقية للفعل (قل) في الفصل الرابع –إنْ شاء الله-.

دلالة التكرار الصوتي

التكرار في اللغة هو الإعادة مرة بعد مرة [٣١٢] ، أما في الاصطلاح اللغوي فهو ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقيا يتقصَّده الناظم))[٣١٣] ، وهو من الأنماط الإيقاعية التي تؤدي مهمة مزدوجة بين اللفظ والمعنى , فمن حيث اللفظ له أثره الموسيقي الذي يتقيد بالصوت المكرر وصفاته , وما يعكسه هذا الصوت من تناغم وانسجام مع نفسه أولاً , ومع الأصوات الأخرى ثانياً , أما من حيث المعنى فذكروا له أغراضاً متعددة مثل التأكيد والتشويق والتعظيم والتهويل والتعجب[٣١٤] , فيكون ارتباط الأصوات المكررة بالسياق ارتباطاً قوياً ((فإذا كان السياق يتطلب جرساً شفافاً هادئاً جاءت الأصوات سلسة دقيقة , أما إذا تطلب الخشونة والقسوة فيأتي قوياً هادراً))[٣١٥].

وجاء التكرار في القرآن الكريم على ثلاثة مستويات هي : تكرار الصوت المفرد , وتكرار المفردة الواحدة , وتكرار العبارة , وقد أهمل اللغويون والمفسرون التكرار الصوتي , وكادوا يقتصرون على تكرار المفردة والعبارة , وسيكون حديثنا هنا تكرار الصوت المفرد , ونرجئ الحديث عن المستويين الآخرين إلى الفصل الرابع – إن شاء الله- .

---

[٣١٠] - مناهج البحث في اللغة :د.تمام حسان : ١٩٤.
[٣١١] - ظ المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة : د.محمد العبد :٥٩.
[٣١٢] - ظ اللسان ٧٠٧/٣-٧٠٨ (كرر).
[٣١٣] - جرس الألفاظ :د. ماهر مهدي هلال :٢٣٩.
[٣١٤] - ظ العمدة :ابن رشيق القيرواني ٧٤/٢ ، والمثل السائر: ابن الأثير ١٦/٣.
[٣١٥] - الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول ﷺ دراسة بلاغية وأسلوبية : عدنان جاسم محمد الجميلي:٢١ .

تكرار الصوت المفرد :

يتكرر الصوت المفرد في الكلمة الواحدة وفي النص مرتين أو أكثر , فيحمل معه دلالته الحسية التي لا تتأتى بدونه , ولعل أكثر أنواع التكرار شيوعاً هو ما يحدث في صيغة (فَعِّلْ) حيث يلتقي فيها الجانب الصوتي مع الجانب الصرفي , ليشتركا معاً في إيصال الدلالة المطلوبة , ويلاحظ أنَّ تكرار الصوت في هذه الصيغة يكون بلا فاصل , فيؤدي إلى حشد صفة الصوت المكرر وإطلاقها تباعاً فتكون أكثر وقعاً في تأدية المعنى المراد , ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً** ﴾ (النساء:٨٤). فجاء الفعل (حَرِّضْ) مكرر الراء , ((والتحريض: الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه , كأنَّه في الأصل إزالة الحرض))[٣١٦] , والحرض هو المانع أو العائق[٣١٧], فيكون المعنى رغِّبْهم فيه , وحبِّبْه إليهم ((وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب , لا التعنيف بهم))[٣١٨], ولما كان هذا العمل يتطلب إعادة ومتابعة توافق معه ((تضعيف الراء التي توحي بالدلالة على أنَّ هذا الفعل فيه حركة وخفة واندفاع للجهاد بكل معانيه , لذا جاء التكليف بصيغة الأمر))[٣١٩] .

ومن الأفعال الأخرى التي جاءت على وزن (فَعِّلْ) الفعل (بشِّرْ), وقد ذكر في القرآن (١٣) مرة , بمعنييه الحقيقي والمجازي , ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ (البقرة :من الآية:٢٥) , حيث كرر صوت الشين , وهو صوت مهموس متفشي , والتفشي صفة تدل على السعة وانتشار خروج الريح بين اللسان والحنك عند النطق بالصوت[٣٢٠], فأفاد تكراره زيادة المعنى الذي يدل عليه الفعل , فالبشارة تعني الإخبار بما يسر , وبشَّرتُ الرجل ((أخبرته بسار يبسط بشرة وجهه , وذلك أنَّ النفس إذا سُرَّتْ انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر))[٣٢١] ، فتكرار الشين يعكس ما يرتسم على وجه الفرد من

---

[٣١٦] - المفردات : ٢٢٨.
[٣١٧] - ظ لسان العرب ٥٧١/٤ (حرض) .
[٣١٨] - الكشاف ٥٣١/١.
[٣١٩] - صيغة (فعَّل) في القرآن الكريم :أحلام ماهر محمد حميد : ٨٣. .
[٣٢٠] - ظ الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب:١٠٤.
[٣٢١] - المفردات : ١٢٥.

سرور وانبساط في ملامحه عندما يُبَّشر بالخير , وعندما يُستعمل (بشِّرْ) للإخبار بما يحزن مجازاً نجده يعكس انتشار علامات الحزن والغيظ

على وجهه , وهذه العلامات تلاحظ بصورة أقل من سابقتها , لذلك كان استعمال هذا الفعل في الحقيقة أكثر من استعماله في المجاز في آيات القرآن الكريم .

ومن الأنماط الأخرى للتكرار الصوتي إعادة الصوت عدة مرات في العبارة الواحدة , فيؤلف نغماً موسيقياً ينسجم مع معنى النص ودلالته , وذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة:١٩١), حيث كرر صوت القاف وهي((مختصة بالوضوح ، والمتانة ، وشدة الجهر))[٣٢٢] , وهذا التكرار أسبغ على النص معنى الشدة والقوة في قتل هؤلاء , ولا سيما أنَّ القاف من الأصوات الانفجارية . وفي النص ((بشارة عظيمة بالغلبة عليهم , أي : هم من الخذلان وعدم النصرة بحيث أُمرتم بقتلهم لا بقتالهم فأنتم متمكنون منهم بحيث لا تحتاجون إلا إلى إيقاع القتل بهم إذا ناشبوكم القتال لا إلى قتالهم))[٣٢٣]. وعزز ذلك قوله تعالى , (حيث ثقفتموهم) التي دلت على العموم , وعدم التقيد , ((والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة))[٣٢٤].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران:٢٠٠), فكرر صوت الواو خمس مرات , وهو من أصوات المد التي تتوسط بين الشدة والرخاوة [٣٢٥] ,فناسب امتداد المعنى الذي أفادته الكلمات (اصبروا , صابروا, رابطوا) وأوحى بأنَّ أمر الجهاد ومقاومة العدو ليس بالأمر الهين إنَّما هو أمر يحتاج إلى المداومة والاستمرارية , ومتابعة الحدث الجهادي , واستنهاض همم النفس وتجديد العزم لتحقيق النصر , فالصبر وحده لا يكفي لذلك , ولا

---

[٣٢٢] - كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : يحيي بن حمزة العلوي الميمني:٥٣ .

[٣٢٣] - البحر المحيط ٦٧/٢.

[٣٢٤] - الكشاف ٢٣٣/١.

[٣٢٥] - ظ سر صناعة الإعراب لابن جني٦١/١.

سيما إذا كان العدو متسلحاً به , فتطلب الأمر مصابرة ((أعداء الله في الجهاد , أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً. والمصابرة : باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه , تخصيصاً لشدته وصعوبته))[٣٢٦] , وتحول الأمر إلى المرابطة ((وهي مفاعلة من الربط وهو ربط الخيل للحراسة من غير جهاد خشية أنْ يفاجأهم العدو وأمر الله به المسلمين ليكونوا دائماً على حذر من عدوهم تنبيهاً لهم على ما يكيد به المشركون))[٣٢٧].

فتدرج الأمر من الصبر في بداية المعركة إلى المصابرة عند اشتدادها واستعار نيرانها , لأنَّها ما يحقق النصر ثم إلى المرابطة بعد انتهاء الحرب خشية أنْ يُأخذوا على حين غرة , ثم بعد ذلك كله أمر بتقوى الله للحث على تنفيذ الأوامر السابقة , لما فيها من مشقة وتعب لا ترغبه النفس . فكم يحتاج هذا من المتابعة والمداومة , وكم يحتاج من الوقت والجهد , عندها ستتضح أهمية المد الذي أفاده صوت الواو.

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً** ﴾النساء:١٠٢), تكرر اللام ست مرات , وهو من الحروف الذلقية , وسُميت بهذا الاسم لأنَّها تُنطق ((بذلق اللسان , وهو صدره وطرفه))[٣٢٨], وصفتها هذه جعلتها من أخف الأصوات في النطق , وأسهلها على اللسان[٣٢٩].

وقد شكلت اللام في الآية الكريمة مع الحرف السابق لها تكراراً مقطعياً تميز بوضوح نغمته , ونصاعة جرسه , ناسب التأكيد والحث على إقامة الصلاة في ساحة الحرب , وبيان الكيفية التي تتم فيها هذه الصلاة , فهو حث مصحوب بتوجيه وإرشاد كي لا يتمكن العدو منهم في غفلة أو سوء تدبير ((فإنَّ الجيش كثيراً ما يصاب من التفريط في

---

[٣٢٦] - الكشاف ١/ ٤٤٩.
[٣٢٧] - التحرير والتنوير ٤/ ٢٠٨.
[٣٢٨] - سر صناعة الإعراب ٦٤/١.
[٣٢٩] - الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب:١٠٢.

الحذر))[٣٣٠] , فيكون المعنى ((لا تتشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عن مواقفة العدو , فيتمكن عدوكم من أنفسكم وأسلحتكم , ولكن أقيموها على ما أُمرتم به))[٣٣١]. ويُعَزّز هذا المعنى أنَّ ((المضارع المتصل باللام فيه شيء من اللين والتلطف يكاد يقربه من الرجاء والالتماس وبذل النصيحة))[٣٣٢].

ويتعدى التكرارُ الصوتَ المفرد إلى الصوتين , فيأتيان متصلين ومنفصلين , فمن الأول تكرار صوت الضمير الـ(نا) في قوله تعالى :﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة:٢٨٦). وقد

ساعد هذا التكرار بذلاقة النون وغنتها , وامتداد الألف واستواتها , على تصوير خضوع العبد لمولاه , ورسمت نغمة النون مع ألفها هيئة العبد خاشعاً متضرعاً متوسلاً بكل معاني الطلب والاستعطاء بنبرة واجفة تُشعر بضعف السائل وعظمة المسؤول .

ويُلاحظ أنَّه ذكر في أول الآية لفظ (ربنا) ولم يذكره في آخرها , والسر في ذلك أنَّ ((النداء إنَّما يُحتاج إليه عند البعد ,(...) وإنَّما حذف النداء إشعاراً بأنَّ العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى وهذا سر عظيم))[٣٣٣].

ومما كُرر فيه صوت الـ(نا) قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة::١٢٧-١٢٨) , وقوله جل وعلا :﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ** ﴾ (آل عمران:١٩٣-١٩٤) , فنرى الألفات ((قد استطالت بالصوت والنداء

---

[٣٣٠] البحر المحيط ٣٤١/٣.
[٣٣١] - مجمع البيان ١٠٣/٣.
[٣٣٢] - نحو الفعل : د.أحمد عبد الستار الجواري: ٨٥.
[٣٣٣] - التفسير الكبير ١٥٤/٧.

المرفوع إلى الباري عز وجل - خاصة عندما يُمد عددٌ منها عند الترتيل والتجويد - حتى جعلته ترتيلة متناغمة فيها ما فيها من روح المناجاة وصدق البث (...) وكيف ولَّدت نغماً ملائماً لهذا الإشفاق على النفس . الذي حدا بأولئك الداعين إلى رفع هذا الدعاء الخاشع الوديع , حتى جاء موائما لطلب الغفران وتكفير السيئات ومناسباً للرجاء في نيل الثواب والنجاة في يوم الجزاء ؟ فضلاً على ما أحدثته النونات بغنتها الموسيقية من تنغيم منسجم مع هذا الجو الروحي الرقيق , وهي مُتبَعة بالمصوت الطويل (الألف) المتكرر في أجزاء هذا الدعاء))[٣٣٤].

ونرى أنَّ الدعاء هو الجامع المشترك لهذه الآيات التي تكررت فيها الـ(نا) حيث يعكس إمكانية هذا الصوت في تجسيد معاني الدعاء ((فنغمة الدعاء , وموسيقى الدعاء , وجو الدعاء كلها حاضرة كأنَّها تقع اللحظة حية شاخصة متحركة.. وتلك إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل . رد المشهد الغائب الذاهب , حاضراً يسمع ويرى , ويتحرك ويشخص , وتفيض منه الحياة إنها خصيصة (التصوير الفني) بمعناه الصادق , اللائق بالكتاب الخالد))[٣٣٥] .

ومن شواهد التكرار الصوتي كذلك قوله تعالى :﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾ (البقرة:١٥٢) , فقد كرر صوتي الكاف والراء , والكاف من الأصوات الشديدة , والراء حرف ((مكرر يضرب اللسان معه ضربات متتالية))[٣٣٦], وقد دلا بتكرارهما على ضرورة ذكر الله تعالى وشكره , وعظمة هذين الفعلين , وأثرهما في حياة الفرد , ودلت الراء بتكرارها على تكرار هذين الفعلين , وإعادتهما في مواقف الحياة , وأشارت إلى أنَّ الذكر ((يكون باللسان , وهو الحمد , والتسبيح , والتمجيد , وقراءة كتب الله ؛ وبالقلب , وهو : التفكر في الدلائل الدالة على التكاليف , والأحكام , والأمر , والنهي , والوعد والوعيد , والتفكر في الصفات الإلهية , والتفكر في أسرار مخلوقات الله تعالى

---

[٣٣٤] - مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ع٩ : ٣١٢ (الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، بحث للدكتور كاصد الزيدي).

[٣٣٥] - في ظلال القرآن ١٥٦/١.

[٣٣٦] - دراسة الصوت اللغوي: د. احمد مختار عمر: ٣٤٠.

حتى تصير كل ذرة كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم التقديس, فإذا نظر العبد إليها ,انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال))[٣٣٧].

ومن النوع الثاني – وهو تكرار صوتين منفصلين- قوله تعالى :﴿ **الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة:١٩٤), حيث كرر صوتي العين والقاف بشكل منفصل , وهما ((أطلق الحروف وأفخمها جرساً))[٣٣٨], فالقاف صوت شديد مجهور عند القدماء , مهموس عند المحدثين , والعين من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ,وهو مجهور أيضا , وهذا يتناسب مع جو الآية ونغمتها في ضرورة إقامة القصاص في الحرمات , ورد الاعتداء بمثله ,وإنْ كان ((الثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لأنَّه مجازاة اعتداء))[٣٣٩].

ومن الآيات التي تكرر فيها أكثر من صوت قوله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ (طه:٢٥-٣٢). حيث تكرر في هذه الآيات الكريمة بشكل ملحوظ صوت اللام والراء والياء , وجاءت هذه الأصوات في أفعال الأمر , وفيما يتصل بأفعال الأمر , وقد شكلت تناوباً موسيقياً جميلاً , دل على تكرار الطلب , وكثرة المطلوب, وحاجة الطالب , ((لقد أطال موسى سؤاله , وبسط حاجته, وكشف ضعفه , وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير . وربه يسمع له , وهو ضيف في حضرته , ناداه وناجاه .فها هو ذا الكريم المنان لا يُخجل ضيفه , ولا يرد سائله , ولا يبطئ عليه بالإجابة الكاملة :(قال: قد أوتيت

سؤالك يا موسى) هكذا مرة واحدة , في كلمة واحدة . فيها إجمال يغني عن التفصيل . وفيها انجاز لا وعد ولا تأجيل))[٣٤٠].

وهنالك العديد من الآيات الكريمة التي احتوت على أفعال أمرية فيها تكرار صوتي أسهم بشكل وبآخر في دفع دلالة المفردة والنص إلى ما هو مطلوب[٣٤١].

---

[٣٣٧] - البحر المحيط ١/ ٤٤٦.
[٣٣٨] - العين ٥٢/١.
[٣٣٩] - مجمع البيان ٢٨٨/١.
[٣٤٠] - في ظلال القران ٧٢/١٦-٧٣.

دلالة الفاصلة القرآنية

من أسرار الإعجاز القرآني وبديع نظمه الذي تداخل لفظه في معناه , ومعناه في لفظه , تجسدت فيه عظمة القائل , وبداعة المقال , حيث جاءت ((الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها , مطمئنة في موضعها , غير نافرة ولا قلقة , يتعلق معناها بمعنى الآية كلها , تعلقاً تاماً , بحيث لو طرحت لختل المعنى واضطرب الفهم , فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية , ينقص ويختل بنقصانها))[٣٤٢].

عرفها الرماني (٣٨٤هـ) بأنَّها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى))[٣٤٣] , وعرفها الزركشي بأنَّها ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))[٣٤٤] ، وذكروا لها تعريفات أخرى لا تبتعد عن ذلك , وكلها تؤكد على التوافق الصوتي في آخر الآي[٣٤٥]. وغالباً ما كانت هذه الفواصل تنتهي بحروف المد واللين متبوعة بحرف النون أو الميم , وسبب ذلك يعود إلى التمكن من الترنم والتطريب بهذه الحروف[٣٤٦] , بفعل قابليتها على مد الصوت فيها , فحروف المد متمكنة في قرارها , والنون والميم من الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها[٣٤٧].

وسمَّى فريق من العلماء الفاصلة سجعاً , واختلفوا مع آخرين لم يرتضوا هذه التسمية , لأنَّ ((الفواصل – عندهم- بلاغة , والأسجاع عيب , وذلك أنَّ الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة في

---

[٣٤١] - ظ آيات الجهاد في القرآن الكريم : مهدية شاكر حسين:١٢-١٥.
[٣٤٢] - من بلاغة القرآن : د. احمد بدوي: ٧٥.
[٣٤٣] - النكت للرماني : ٨٩ ، ظ الإعجاز القرآني للباقلاني ٢٧٠.
[٣٤٤] - البرهان في علوم القرآن ٣٥/١.
[٣٤٥] - ظ من بلاغة القرآن :٧٥ ، والفاصلة القرآنية : محمد الحسناوي : ٢٦.
[٣٤٦]- ظ الكتاب ٢٠٤/٤ ، والبرهان٦٨/١.
[٣٤٧]- ظ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي: ٢٤٦ ، وتاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي ٢٢٧/٢.

الدلالة))[٣٤٨], وأكدوا على ضرورة تنزيه القرآن الكريم عن سجع الكهان وغيرهم , لأنَّه سجع متكلف , تبدو عليه آثار الصناعة اللفظية التي تهتم بالألفاظ على حساب المعاني . ومثل ذلك لا يمكن أنْ يوجد في كتاب الله عز وجل [٣٤٩].

ومن نافلة القول في هذه المسألة أنَّ تسمية أواخر الآي بالفاصلة أمر محمود , تمييزاً للكلام القرآني عن غيره , وترسيخاً للمصطلحات القرآنية التي صاحبت الاستعمال اللغوي , فلا حاجة إلى تسميات أخرى طالما اتفق العُرف على تسمية واحدة ، واطرد تداولها قديماً و حديثاً . أما نفي وقوع السجع في القرآن الكريم , فصحيح إذا فهمنا السجعَ أمراً معيباً ؛ لأنَّه مقصودٌ بنفسه ، ولأنَّ المعاني فيه تابعة للألفاظ ، وهو ما عرف به الكهان وغيرهم .أما إذا فهمنا السجع توافقاً صوتياً مجرداً من الصفات الأخرى ، فعند ذلك لا سبيل إلى إنكاره ؛ لأنَّ وجوده على هذه الصورة ليس بالأمر المعيب , ولا يُعد قدحاً في فصاحة القرآن وبلاغته ؛ لأنَّه سجعٌ إلهي يختلف عن سجع الكهان وسائر البشر , سجعٌ لا تكلفَ فيه ولا صنعة , ولا غلبة بين لفظه ومعناه , إنَّما ينزل من الآية منزلة الجزء من الكل , فيكون أكثر تأثيراً وأشد وقعاً على النفس عند سماعه ؛ ((لأنَّ رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها بنشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيلاً يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها , ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار))[٣٥٠].

وتُقسم الفواصل حسب حروف رويها على ثلاثة أقسام هي : الفواصل المتماثلة , والمتقاربة , والمفردة.

أما المتماثلة[٣٥١] , وتسمى المتجانسة[٣٥٢] ,فهي التي تماثلت حروف رويها نحو قوله تعالى :﴿ **وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ﴾ (الطور:١-٤) , وكذلك قوله تعالى :﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحر* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ (الكوثر:١-٣).

وأما المتقاربة : فهي التي تقاربت حروف رويها ولم تتماثل [٣٥٣] , كتقارب الميم والنون في قوله تعالى :﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾(الفاتحة:٣-٤), وكذلك

---

[٣٤٨]- النكت للرماني:٨٩.

[٣٤٩]- ظ تفاصيل ذلك في الإعجاز القرآني للباقلاني:٥٧-٦١ ، ولغة القرآن الكريم: د. عبد الجليل عبد الرحيم:٣٠٩-٣٢٢ ، وإعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب الكتاب الثاني: ٢٠٨-٢١٥.

[٣٥٠]- خصائص التراكيب: ٢٨٧.

[٣٥١]- ظ البرهان٧٢/١ ، وإعجاز القرآن للخطيب :٢١٣ ، والفاصلة القرآنية:١٤٥.

[٣٥٢]- هذه تسمية الرماني ، ظ النكت:٩٠.

[٣٥٣] - ظ البرهان٧٢/١ ، وإعجاز القرآن للخطيب :٢١٣ ، والفاصلة القرآنية:١٤٦-١٤٧.

قوله جل وعلا :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة:٢٠٨-٢٠٩).

أما الفاصلة المفردة: فهي التي لم تتماثل حروف رويها , ولم تتقارب[٣٥٤] , كقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ (الضحى:٩-١١), وكذلك قوله عز وجل : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾ (الفلق:١-٣).

وللفواصل قسمة أخرى تقوم على اجتماع الوزن مع تماثل حروف الروي , وهي على ثلاث أقسام أيضاً, أولها الفواصل المتوازية [٣٥٥] , وهي التي اتفقت في وزنها وحروف رويها كقوله تعالى :﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ﴾ (الغاشية:١٣-١٤), وكذلك قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ (الانشراح:٧-٨).

وثاني هذه الأقسام هو الفواصل المتوازنة [٣٥٦], وهي ما اتفقت في مقاطع الكلام والوزن فحسب , كقوله تعالى :﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**)(الغاشية:١٥-١٦) , وكذلك قوله تعالى :﴿ **فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً** ﴾ (المعارج:٥-٦).

بقيت الفواصل المطرَّفة [٣٥٧] , وهي التي اتفقت في حروف رويها دون الوزن , كقوله تعالى :﴿ **مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً** ﴾ (نوح:١٣-١٤).

وإنْ شئنا الربط بين القسمين قلنا : إنَّ كل متوازي متماثل وليس العكس , وكل متوازن متقارب وليس العكس.

ولأهمية الفاصلة القرآنية وأثرها في النظم القرآني ، عمد القرآن الكريم إلى استعمال أساليب لغوية متنوعة لرعاية هذه الفاصلة , والحفاظ عليها , ليسلم تناغمها وانسجامها مع فواصل الآي الأخر أولاً ، ومع سائر الكلام القرآني ثانياً . ويُعد الحذف من الأساليب المستعملة لهذا الغرض , سواء كان حذف الحرف أو الكلمة نحو قوله تعالى :﴿ **إِنَّ هَذِهِ**

---

[٣٥٤] - ظ من بلاغة القرآن : ٨٨ ، والفاصلة القرآنية : ١٤٨.
[٣٥٥]- ظ البرهان ١/ ٧٦ ، وإعجاز القرآن للخطيب :٢١٦ ، والفاصلة القرآنية : ١٤٩.
[٣٥٦]- ظ البرهان ١/ ٧٦ ، وإعجاز القرآن للخطيب :٢١٦ ، والفاصلة القرآنية : ١٤٩.
[٣٥٧] - ظ البرهان٧٦/١ ، وإعجاز القرآن للخطيب :٢١٦ ، والفاصلة القرآنية : ١٤٩.

أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُـلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٢-٩٣) , فحذف ياء المتكلم رعايةً للفاصلة ,ومثله قوله تعالى :﴿ **إِنِّـي آمَنْتُ بِرَبِّكُـمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** ﴾(يس:٢٥-٢٦).

وحذف الياء كثيرٌ في القرآن[٣٥٨] , وفي كلام العرب , سواء كانت ياء المتكلم أم غيرها , حتى قيل : إنَّه لغة لهذيل , يقولون : ما أدر , أي : ما أدري [٣٥٩], وعلله الفراء بأنَّ العرب يحذفون الياء ويجتزئون بالكسرة عنها [٣٦٠]. ومهما يكن من أمر فحذف الياء أسهم في توافق الفواصل الموسيقي , ولم يخلْ بالمعنى , وهذا غاية البيان ,جمالية في اللفظ , وكمال في المعنى .

ومن الآيات التي حُذفت فيها كلمة قوله تعالى :﴿ **فَدَعَا رَبَّـهُ أَنِّـي مَغْلُـوبٌ فَانتَصِرْ** ﴾ (القمر:١٠), حيث حذف متعلق الفعل ((للإيجاز وللرعي على الفاصلة , والتقدير فانتصر لي , أي إن صرني))[٣٦١], وقال الطبري : ((إنَّ قومي قد غلبوني ، تمردوا وعتوا ، ولا طاقة لي بهم فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك))[٣٦٢] , وقال ابن كثير : ((أي إن ي ضعيف عن هولاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك))[٣٦٣].

ويجوز أنْ يكون المعنى جامعاً لكل ما قيل , أي : فانتصر لي ولدينك منهم ومن غيرهم ممن لا أعرفهم , أنت تعرفهم , فيكون حذف متعلق الفعل أعطى زيادة في المعنى , وتوافقاً لفظياً , وهذا غاية ما يُرجى في هذا الحذف , توافق لفظي , وتعدد معنوي .

ومثل ما تقدم قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَـاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ (الكوثر:١-٣), حيث حذف مفعول(انحر) , والصلاة المقصودة هنا هي صلاة العيد , ونحر الأضاحي[٣٦٤] , لأنَّه ﷺ كان ((ينحر قبل أنْ يصلي , فأمر أنْ يصلي , ثم ينحر , وقيل معناه فصلِّ لربك صلاة الغداة المفروضة بجمع , وانحر البدن بمنى))[٣٦٥] , وعلة مجيء ((الأمر بالنحر دون الذبح مع أنَّ الضأن أفضل في الضحايا

---

[٣٥٨] - ظ رسم المصحف : د.غانم قدوري الحمد :٢٩٢ ، والدلالة الصوتية في القرآن الكريم:كريم مزعل محمد اللامي:١٢٣-١٢٤.
[٣٥٩] - إعراب القرآن للنحاس ٣٠٢/٢.
[٣٦٠] - ظ معاني القرآن للفراء٢٧/٢ ، والإنصاف للأنباري ١ / ٣٨٥.
[٣٦١] - التحرير والتنوير ٢٧ / ١٨٣.
[٣٦٢] - جامع البيان ٢٧/ ٩٢.
[٣٦٣] - تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٨.
[٣٦٤] - ظ الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٤٨.
[٣٦٥] - مجمع البيان ١٠/ ٤٦٠ ، وظ السابق ٢٠/ ١٤٨.

وهـي لا تنحـر وأنَّ النبـيﷺ لـم يضـح إلا بالضـأن تغليـبٌ للفـظ النحـر (...) ليشـمل الضـحايا فـي البـدن والهدايا فـي الحـج))[٣٦٦]. وعليـه فحـذف مفعول (انحـر) أفـاد العمـوم والتنوع , فلو ذُكر لاقتصر النحر على ما مذكور ولكنه لما حُذف شمل البدن والأضاحي , وغيرها مما يُذبح لله لا لغيره .

ومن أساليب رعاية الفاصلة زيادة الحروف والكلمات , كقولـه تعـالى : ﴿ **فَأَمَّـا مَنْ أُوتِـيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَـهْ * إِنِّـي ظَنَنتُ أَنِّـي مُلاقٍ حِسَـابِيَهْ** ﴾ الحاقة:١٩-٢٠). وهذه الهـاء هـي هـاء السكت وحقهـا ((أنْ تثبـت فـي الوقـف وتسـقط فـي الوصل , وقـد استحب إيثار الوقف إيثـاراً لثباتهـا فـي المصـحف))[٣٦٧]. واثبتت هنـا ؛ ((لأنَّ هذه الكلمات وقعت فواصل والفواصل مثل الأسجاع تعتبر بحالـة الوقف مثل القوافي , فلو قيل : اقرأوا كتابيَ إنـي ظننت إنـي ملاقٍ حسابيَ , سقطت فاصلتان وذلك تفريط فـي محسِّنين))[٣٦٨].

ويشيع فـي هذه الآيـات تلائمـاً موسيقيا أخَّـاذاً , مـا كـان ليوجد لـولا هذه الهـاء التـي ساعدت على أنْ تأخذ الكلمة حقها في النطق , وبيان حركة الياء السابقة لها , وقد شكلت ((وقعة في النفس , وجرساً في الأذن , وقوة في امتلاك المشاعر (...) وقد حققت صوتياً مناخَ الانتباه ورصد مواضع الإصغاء في النفس الإنسانية))[٣٦٩].

وجعلوا من ذلك زيادة (الأعلـى) فـي قولـه تعـالى :﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَـى**﴾ (الأعلى:١) , و(خلق) فـي قوله تعالـى :(**اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّـكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ (العلق:١) , مراعـاةً للفاصـلة فـي السـورتين , وهـي الألـف فـي سـورة الأعلـى , والقـاف فـي سـورة العلق[٣٧٠].

والقول بزيـادة هذه الكلمـات تغليب للفظ علـى المعنـى , ومبالغـة في رعايـة الجانـب الصوتي في الفاصلة , على حين أنَّ من مزايا القرآن الفنية ((أنْ تأتي اللفظـة لتؤدي معنـىً في السياق , وتؤدي تناسباً في الإيقاع , دون أنْ يطغى هذا علـى ذاك , أو أنْ يخضـع النظم

---

[٣٦٦] - التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٥.
[٣٦٧] -الكشاف ٤/ ٥٩٠-٥٩١.
[٣٦٨] - التحرير والتنوير ٢١/١٣١.
[٣٦٩] - الصوت اللغوي في القرآن الكريم : د. محمد حسين الصغير :١٥٣-١٥٤.
[٣٧٠] - ظ البرهان ١/٦٦.

للضرورات))[٣٧١] . ولقد بيَّنا أهمية هاتين الكلمتين معنويا في (فواتح السور) , وذكرنا ما أفاداه من معنى عميق مقصود لا يتأتَّى بدونهما , ولا يمكن أنْ تأتيان زائدتين لمجرد رعاية الفاصلة ؛ لأنَّهما أقرَّا حقيقتين من أعظم الحقائق التي اختص بها الله تعالى , وهما القدرة المطلقة والخلق , فلا نعلم كيف تكونان زائدتين بعد كل هذا ؟!

ومن أوضح المظاهر التي تتجلى فيها رعاية الفاصلة التقديم والتأخير كقوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ** ﴾ (الحاقة:٣٠-٣٣) , والمعنى: ((اوثقوه بالغل وهو أنْ تُشد إحدى يديه

ورجليه إلى عنقه بجامعة (ثم الجحيم صلوه) أي ثم ادخلوه النار العظيمة وألزموه إياها (في سلسلة ذرعها) أي طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) أي اجعلوه فيها لأنَّه يؤخذ عنقه فيها ثم يُجر بها))[٣٧٢].

وذهب الزمخشري إلى أنَّ هذا التقديم أُريد به الاختصاص , أي ((لا تصلوه إلا الجحيم , وهي النار العظمى , لأنَّه كان سلطاناً يتعظم على الناس))[٣٧٣] , وكذلك القول في تقديم السلسلة على السلك ((أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة , كأنَّها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم))[٣٧٤].

وذهب ابن الأثير إلى أنَّه ((لم يكن ها هنا للاختصاص , وإنَّما هو للفضيلة السجعية , ولا مراء في أنَّ هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أنْ لو قيل : خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم))[٣٧٥] , وكذلك القول في الآية الأخرى , ((فإنَّه لم يقدم السلسة على السلك للاختصاص , وإنَّما قُدِّمت لمكان نظم الكلام))[٣٧٦].

ولا نرى تضاداً بين القولين , فلا مانع ((من أنْ يكون هذا التقديم للاختصاص , ومراعاة الوقع الصوتي في الفواصل القرآنية , لأنَّ من نهج القرآن في الغالب أنْ يتعلق بالجانب المعنوي , وإنْ لم يهمل الجانب الشكلي الذي يغني المعنى ويثريه))[٣٧٧] .

---

[٣٧١] - التصوير الفني في القرآن : سيد قطب : ٨٨.
[٣٧٢]- مجمع البيان ٥ / ٣٢٨ ، وظ روح المعاني ٢٩/ ٥٠.
[٣٧٣] -الكشاف ٤/ ٥٩٢.
[٣٧٤] - الكشاف٤ / ٥٩٢.
[٣٧٥]- المثل السائر ٢ / ٢١٩.
[٣٧٦]- السابق ٢ / ٢٢٠.
[٣٧٧]- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: د. شلتاغ عبود : ٨٨.

واقترن الفعل بالفاء ((للإيذان بأنَّ الفعل مُنزلٌ منزلة جزاء شرط محذوف , وهذا الحذف يُشعر به تقديم المعمول غالباً كأنَّه قيل : مهما فعلتم به شيئاً فاسلكوه في سلسلة , أو مهما يكن من شيء فاسلكوه))[٣٧٨].

وكان لهذه الفواصل أثرها في تجسيد المعنى , وتناميه شيئاً فشيئاً , فهي تأخذ بالألباب , وتمتلك المشاعر رهبة وخشية من هول ذلك اليوم , أخذٌ وغلٌ في العنق , وصلي في النار , وإحاطة بسلسلة من نار , كل تلك صورٌ لأنماط العذاب التي تقشعر لها الأبدان , عسى أنْ تكون رادعاً عن معصية الله تعالى . ودافعاً للدخول في طاعته , وما ربك بظلام للعبيد .

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ (المدثر:١-٥). حيث قدم مفاعيل الأفعال (كبِّر ,طهِّر , واهجر) , وتكبير الله تعالى ((يكون بالقلب واللسان وما يصدر عن

العبد من أعمال : فالتكبير بالقلب هو اعتقاد العبد أنَّ الرب هو الأكبر الذي دونه كل القوى وكل الكائنات , وتنزيهه - سبحانه - عن أنْ يكون له شريك أو شبيه أو يتصف بصفة لا تليق بجلال الإلوهية والربوبية ؛ والتكبير باللسان تعبير بالألفاظ عما وقر في القلب من تعظيم الرب سبحانه , والتكبير بالعمل هو صدور العبد فيما يعمل عن عقيدة التعظيم))[٣٧٩].

وقيل في (ثيابك فطهر) : إنَّ المعنى على ظاهره ، والمقصود تطهير الثياب من الخبائث والأدناس ، وقيل: تقصيرها ، وقيل : إنَّ المراد طهارة الجسد ، وقيل : هو كناية عن تطهير النفس وتنزيهها من الذنوب والمعاصي[٣٨٠].

أما الرجز فهو ((العذاب ، ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم))[٣٨١] ، وسُميت الأوثان رجزاً لأنَّها سبب العذاب[٣٨٢]، والأمر بهجر الأوثان

---

[٣٧٨]- التحرير والتنوير ٢٩/ ١٣٨.
[٣٧٩]- بحوث في تفسير القرآن : سورة المدثر: ٢١ ، وظ التحرير والتنوير٣٠/ ٢٩٦.
[٣٨٠]- ظ الكشاف٤ / ٦٣٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٦٩٨ ، والميزان ٢٠/ ١٦٠.
[٣٨١]- الكشاف ٤ / ٦٣٣ ، والميزان ٢٠/ ١٦١.
[٣٨٢]- ظ التفسير الكبير ٣٠/ ٦٩٩ .

وعمل المعاصي ، لا يعني أنَّه ﷺ كان من الفاعلين لذلك العمل ، ولكنه أمر بالمداومة على ذلك الهجران ، والثبات عليه[٣٨٣].

ويبدو الوقع الصوتي في فواصل هذه الآيات طاغياً مجلجلاً ، قد استحوذ على كلمات الآيات استحواذاً جامعاً ، فجعل من فواصلها ((متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب))[٣٨٤]، وقد اعتمدت على حرف الراء ((وهو أقوى حرف في حروف اللغة العربية ، وأشدها تماسكاً . فإذا وُقف عليه بالسكون انبعج في رخامة ولين ، وصار أشبه بالوادي العميق الرحب ، بين يدي جبل تنهمر عيونه ، وتتدفق سيوله))[٣٨٥]. فأفاد بتكراره تكرار معاني الكلمات ، فجاءت هذه الكلمات القصيرة ((في عظم معناها وضخامته أشبه بالقنابل الثقيلة تقذف معسكرات الشرك والطغيان وتبيد جراثيم الفسوق والعصيان))[٣٨٦].

وقد تكون الفاصلة سبباً في العدول من صيغة إلى أخرى ، ومن نمط لغوي إلى آخر، ليطرد لها وقعها الموسيقي ، وانسجامها الصوتي ، كما في قوله:﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾(المزمل:٨) ، حيث عدل عن مصدر الفعل المذكور وهو (تبتُّل) إلى (التبتيل) وهو مصدر للفعل (بتَّل) رعايةً للفاصلة[٣٨٧] ؛ أو لأنَّ التبتيل بمعنى التبتل[٣٨٨] ، وقيل : إنَّ التبتيل يؤدي إلى التبتل ، لأنَّه يفيد ترويض النفس وتدرحها في طاعة الله لتصل إلى التبتل ،وهو الانقطاع النهائي له سبحانه [٣٨٩] ، فجمعت هذه الفاصلة بين اللفظ والمعنى.

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ**

---

[٣٨٣]- ظ الكشاف ٤/ ٦٣٣ ، وبحوث في تفسير القرآن : سورة المدثر : ٣٦-٣٧.
[٣٨٤]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٤٦.
[٣٨٥]- إعجاز القرآن للخطيب الكتاب الأول : ٤٠٥.
[٣٨٦]- من هدي القرآن :محمود شلتوت : ١٦٢.
[٣٨٧]- ظ الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٣٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٦٣.
[٣٨٨]- ظ الكشاف ٤ / ٤٦٤ ، والميزان ٢٠ / ١٤٣.
[٣٨٩]- ظ التفسير الكبير٣٠ / ٦٨٧ , والتحرير والتنوير ٢٩ / ٢٦٦.

المُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة:١١). حيث ((جاء بالتقوى أمر مواجهة مناسباً لقوله (اذكروا) وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة وإشعار بالغلبة وإفادة لعموم وصف الإيمان ، أي لأجل تصديقه بالله ورسوله يُؤمر بالتوكل كل مؤمن))[٣٩٠]. ومثله قوله عز وجل: ﴿ **إِنْ يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ** ﴾ (آل عمران:١٦٠) فعدل من المخاطب إلى الغائب ، لأنَّ الفواصل تنتهي بالواو والنون ، والله ألم.

وكان للعدول إلى الفاصلة المفردة أثره المعنوي أيضاً ، فوجود مثل هذه الفاصلة يدخل ضمن قانون التغيير الذي يعتمد على عامل الصدمة ، وكسر توقع المتلقي عن طريق مفاجأته بشيء جديد يثير الاهتمام ، ويشد الانتباه [٣٩١] . ويبدو هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ (الضحى:٩-١١) ، فنلحظ مجيء الفاصلة بحرف الثاء ((وليس في السورة كلها ثاء فاصلة بل ليس فيها حرف الثاء على الاطلاق لم يقل تعالى : فخبِّر لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به))[٣٩٢].

وما نظن ذلك إلا لتعظيم نعمة الله تعالى ، وإيجاب التحديث بها ، فبعد أنْ ذكر مظاهر التحديث بهذه النعمة وهي النهي عن قهر اليتيم ونهر السائل ، جاء الأمر عاماً شاملاً لكل نعم الله تعالى ، فصحب هذا التغيير المعنوي تغييرٌ لفظي يعبر عنه ، ويشير إليه ، فكان تغيير الفاصلة إلى صوت جديد دليل على ذلك .

وهذا هو ديدن الفواصل في التغيير ، فإنَّها لا تتغير لغرض التنويع فحسب ، بل تتغير لتفيد معنى آخر غير الذي أفادته سابقتها ، وهذا التغيير يساعد على شد الانتباه لتحقيق الغرض المطلوب ، ويبدو ذلك في سورة مريم فهي تبدأ بفاصلة الياء مع الألف ﴿ **ذِكْرُ رَحْمةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيا**﴾ (مريم:٢-٣) ثم تنتقل إلى النون أو الميم ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن**

---

[٣٩٠]- البحر المحيط ٣ / ٤٤٢.
[٣٩١]- ظ الفاصلة القرآنية :٢٠٥- ٢٠٨.
[٣٩٢]- التفسير البياني للقرآن ١/ ٣٥.

يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم:٣٤-٣٦)

فنجد الفاصلة ((تطول ، ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف ((النون)) أو بحرف ((الميم)) وقبلها مد طويل ، وكأنَّما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكماً بعد نهاية القصة مستمداً منها ، ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً ، بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل ، وكأنَّما لهذا السبب كان التغيير))[٣٩٣].

وحين تعود السورة لسرد قصص الأنبياء إبراهيم وموسى عليهم السلام يعود الإيقاع الرخي وتعود القافية إلى الياء مع الألف ، وهذا يدل على ((أنَّ نسق فواصل الآي يتبدل لتبدل الغرض ، فمجرد الانتهاء من إصدار حكم ، وإلقاء قرار يعود السياق القرآني إلى النظام الأول في القافية والفاصلة لأنَّه عاد إلى قصة جديدة))[٣٩٤].

لعل من الواضح بعد كل ما تقدم ((أنَّ القرآن الكريم لا يُعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك حسابه ، فهو يختار الفاصلة مراعياً فيها ، المعنى والسياق والجرس ، ويراعي فيها خواتم الآية وجو السورة ، ويراعي فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى ، بل يراعي فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله وحيث ندرك أنَّه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما ، واختار غيرها أو شبهاً بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه ، وجمع بين كل ذلك ونسقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنَّك تحس أنَّها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة مع أنَّه في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال، فما أجمله من كلام ، وما أعظمه من تعبير))[٣٩٥].

دلالة الإيقاع

---

[٣٩٣]- التصوير الفني في القرآن : ٩٢.
[٣٩٤]- من أساليب التعبير القرآني : د. طالب الزوبعي : ٣٨٩.
[٣٩٥]- التعبير القرآني : ٢١١.

يقصد بالإيقاع ((تلك الظاهرة التي تقوم على التكرار المنتظم ، ويؤدي الزمن فيها دوراً مهما))[٣٩٦] ، وهذا يصدق على الإيقاع بمعناه العام ، بكل أشكاله وفنونه التي توجد في الحياة ، أما الإيقاع بمعناه اللغوي فيقصد به ((وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت ، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة))[٣٩٧]. فهو نظام موسيقي محكم ، يقوم على تكرار الوحدات الموسيقية في مدد زمنية محددة ، فيكون لهذه الوحدات أثرها في نفس السامع سلبا أو إيجاباً ، ولا سيما أنَّ هذه الموسيقى ((ليست مجرد موسيقى لغوية لسانية تقتصر على المطالع أو المقاطع أو المخارج ، وإنَّما هي تستعين بدلالات أخرى غير مجردة نجدها في المخرج والنبرة والترديد والمماثلة والمشاكلة والمقابلة والتوقف والاسترسال والإيقاع . ونلحظ أنَّها تصاحب باستمرار الشعور المعبَّر عنه وتساير جيشانه وتحكي درجته ومقداره . فإذا زاد الإنفعال وكان حاداً ارتفعت النبرة وتداخلت وتعقدت وإذا هدأ الانفعال ومال إلى التأمل هدأت النبرة وخفت حدتها وانبسطت ومن هنا كانت الموسيقى معبراً للكشف عن الحقيقة بأبعادها المادية الوجدانية والنفسية ، وأنجح وسيلة للكشف عن قوانين حياتنا الوجدانية بما فيها من إيقاعات وذبذبات وأنماط))[٣٩٨].

وهذا يؤكد ((أنَّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأنَّ هذا الانفعال بطبيعته إنَّما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مداً أو غنةً أو ليناً أو شدةً ، وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الايجاز والاجتماع ، أو الإطناب والبسط ، بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبُعد المدى ونحوها ، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى))[٣٩٩] ، فلا غرابة بعد ذلك أنْ يكون للإيقاع قيمة بلاغية عليا ، جعلته أحد وجوه الإعجاز ، وآية من آيات البيان والإفصاح ، فموسيقى الألفاظ القرآنية وإيحاءاتها ، وانسجامها مع بعضها ، وتوافق ذلك مع المعنى المراد ، كوَّن منظومة موسيقية رائعة تجسد فيها تناسق جزئيات الإيقاع ((مما يضفي عليه ذلك السر

---

[٣٩٦]- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس: ١٠٨.
[٣٩٧]- عضوية الموسيقى في النص الشعري : د. عبد الفتاح صالح :٥٠ .
[٣٩٨]- عضوية الموسيقى في النص الشعري : ٥٥.
[٣٩٩]- تاريخ آداب العرب ٢ / ٢٢٦.

الذي عُرفت به موسيقى القرآن . وذلك التأثير الذي ينفذ إلى صميم الوجدان فيستجيشه ويحركه. وتتقبل النفس ما يحمل معه من مفهومات ومعان وتوجيهات . وهو هنا يحمل معه أحكاماً هامة في بناء حياة الفرد والجماعة ذكوراً وإناثاً . وإنْ كان هذا التناسق لا ينبعث من جزئيات الإيقاع التي في الآية الواحدة فحسب , بل ينبعث من تناسق الإيقاع ما بين آية وآية ، ومن ائتلاف الحروف في الألفاظ وتناسق الألفاظ في العبارات. لذلك فإنَّه كثيراً ما يحسن ولا يُعلل أو بعبارة أخرى يدركه الحس والوجدان ولا يستطيع له تفسيراً وهذا من روعة الموسيقى في القرآن وتأثيرها في النفوس))[٤٠٠] .

والإيقاع على نوعين : داخلي ويقصد به ((جرس اللفظة المفردة ووقعها على السمع ، الناشئ من تأليف أصوات حروفها وحركاتها ، ومدى توافق هذا الإيقاع الداخلي مع دلالة اللفظة))[٤٠١] . وخارجي ، ويقصد به ((الموجة التي تتألف من ارتباط الألفاظ مع بعضها البعض في البيان العربي ، وتشكل الإيقاع العام للجملة أو البيت أو المقطوعة ، ومدى توافق هذا الإيقاع مع حركة النفس ، والدلالة الإيحائية النفسية التي يتضمنها))[٤٠٢] وسنحاول دراسة ذلك تباعا -إنْ شاء الله- .

الجَرْس :

الجرس في اللغة هو الصوت ، ((وقيل الجَرْس والجِرْس الصوت الخفي))[٤٠٣]، وجرس الطير: صوت مناقيرها على شيء تأكله[٤٠٤]. أما في الاصطلاح فهو ((قيمة جوهرية في الألفاظ ، وبنائها اللغوي ، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه إلى السامع باتساق اللفظة ،وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي))[٤٠٥] ، فهو صورة اللفظة الموسيقية مرسومة من خلال سكناتها وحركاتها ، وصفات أصواتها ، وتوافق ذلك

---

[٤٠٠]- مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ع ٩ ، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د. كاصد الزيدي : ٣٧٥

[٤٠١]- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : د. مجيد عبد الحميد ناجي: ٤١ .

[٤٠٢]- السابق : ٤١ .

[٤٠٣]- اللسان ٤/ ١٤٩(جرس).

[٤٠٤]- السابق ٤/١٥٠.

[٤٠٥]- جرس الألفاظ : ١٣ .

كله مع دلالة اللفظة . ومعلوم أنَّ جرس الألفاظ ليس ثابتاً ، إنَّما هو متغير شدةً ورخاوةً حسب المعاني التي يؤديها ، وسنبين ذلك من خلال دراستنا لأنواعه فيما يلي .

الجرس الهادئ :

تتميز بعض المفردات بجرس هادىء ، ونغمة رخية ، تعكس سعة المعنى وانبساطه ، فتأخذ من النفس مأخذها ، وتقع فيها موقع القبول والارتياح ، فتثير تعاطفاً وجدانياً ، وانفعالا نفسياً ، يكون ذا أثر ايجابي على تقبل المعنى وتفهمه ، ((فتفاعل النفس مع الإيقاع الداخلي للفظة المفردة . استحساناً واستهجاناً ، تقبلاً ونفوراً عن طريق حاسة السمع ، إنَّما هو أمر نفسي فطري يعود إلى طبيعة الحس ، وما ينسجم معه من أنغام))[٤٠٦].

ويبدو ذلك واضحا في ألفاظ العبادة والدعاء وطلب الحاجة نحو قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** ﴾ (سبأ:١٠) ، و(أوبي) هي مدار البحث ، فقد أمر تعالى الجبال بالتأويب مع داود عليه السلام ، أي ((رجعي معه التسبيح))[٤٠٧]، وتسبيح الجبال يعني أنَّ الله تعالى جعل فيها ((ما يأتي به منها التسبيح))[٤٠٨] ، أي خلق ((فيها تسبيحاً كما خلق الكلام في الشجرة ، فيُسمع منها ما يُسمع من المسبِّح : معجزةً لداود))[٤٠٩].

وهذه اللفظة لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع ، وفي هذا ما فيه من عناية واهتمام جعلها تأخذ موضعها المناسب ، فحين ((انطلق صوت داود ـ عليه السلام ـ يرتل مزاميره ويمجد خالقه ، رجَّعت معه الجبال ، والطير ، وتجاوب الكون بتلك الترانيم السارية في كيانه الواحد ، المتجهة إلى بارئه الواحد وأنَّها للحظات عجيبة لا يتذوقها إلا من عنده بها خبر ، ومن جرب نوعها ولو في لحظة من حياته))[٤١٠] ، فجاء هذا المعنى بشفافية عالية ، وانسيابية أخاذة ، يحفها ((جرس موسيقي حالم ، وصدى صوتي عميق ،

---

[٤٠٦]- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ٤٤.
[٤٠٧]- مجمع البيان ٤ / ٣٨١ ، وظ الكشاف ٣ / ٥٥٤ .
[٤٠٨]- مجمع البيان ٤ / ٣٨١ .
[٤٠٩]- الكشاف ٣ / ٥٥٤ ، وظ روح المعاني ٢٢ / ١١٣ .
[٤١٠]- في ظلال القرآن ٢٢ / ٦٧ .

وانطلاق من أقصى الحلق وضمها للشفة ثم إعادة إطلاقها ، فيما به يتعين موقع ((أوبي)) بحيث لا يسد مسدها غيرها من الألفاظ ، فالمراد بها ترجيع التسبيح من آب يؤوب ، على جهة الإعجاز بحيث تسبّح الجبال ، وهو خلاف العادة ، وخرق لنواميس الكون في ترديد الأصوات من قبل من لا يصوِّت ، ولو استبدل هذا اللفظ في غير القرآن لعاد النظم مهلهلاً ، والدلالة الصوتية منعدمة))[٤١١].

ولا شك أنَّ صفات هذه الأصوات من لين ورخاوة هي التي أكسبت هذه المفردة ذلك المعنى الرخيم ، فسبحان الذي جعل الجبال بجمودها ، وعظم حجمها ، تردد هذا الترديد الذي تلين له النفوس ، وتصغي إليه الأفئدة .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** ﴾ (طه:٩-١٠). فجاء بلفظة (امكثوا) ، وهذه اللفظة وردت في آيتين على لسان موسى عليه السلام مخاطبا أهله[٤١٢]، والمُكث يعني ((الإقامة مع الانتظار))[٤١٣] ، ((ولم يقل أقيموا ، لأنَّ الإقامة تقتضي الدوام ، والمكث ليس كذلك))[٤١٤] والمراد بأهله ((امرأته ، والجمع لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم ؛ وقيل : المراد بهم المرأة والولد والخادم))[٤١٥].

والأرجح أنَّ الخطاب موجهاً لامرأته ، سواء كانت وحدها أم كان معها أحد ، لأنَّها المعنية بالمكث وما الولد والخادم - إنْ وجدا ـ إلا تابعان لها ، لأنَّ العرب تسمي زوج الرجل أهله ، وهنا ينكشف لنا سر استعمال هذه اللفظة دون غيرها ، فموسى عليه السلام ضل الطريق ، وأصاب امرأته الطلق في ليلة شاتية شديدة البرد ، والمرأة في هذه الحالة أحوج ما تكون إلى كلمة عطف وحنان تمسح عنها ذلك الألم وتلك المشقة . ألم نفسي بسبب ضلال الطريق ، ومخاوف الولادة ، وألم جسدي بسبب المسير والبرد والمخاض ، كل ذلك يتطلب مفردةً فيها من الدفء والحنو ما ليس في غيرها ، فكانت (امكثوا) بهمسها ومدها ، رقيقة منسابة تفيض بمشاعر الرجل نحو أهله في تلك اللحظة ، وهو يتأمَّل ويؤمِّلهم

---

[٤١١]- الصوت اللغوي في القرآن الكريم : ١٨٩ .
[٤١٢]- الآية الثانية في سورة القصص: ٢٩.
[٤١٣]- اللسان ١/ ٩٠٥ (مكث)
[٤١٤]- الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١٥.
[٤١٥]- فتح القدير ٣/ ٤٤٣.

بالحصول على جذوة من نار ، أو خبر يدله على الطريق ، وكان لكلمة الأهل أثرها في تجسيد هذا المعنى أيضاً ، فغالباً ما تستعمل في مواقف الألفة والمحبة بين الرجل وزوجه ، بخلاف المرأة أو الزوجة ، فإنَّهما يستعملان في مواقف أخرى.

ومن الكلمات التي تفيض بهدوء جرسها هي كلمة (افيضوا) في قوله تعالى :﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ** ﴾ (الأعراف:٥٠). والفيض والإفاضة بمعنى الكثرة ، وفاض الماء ((أي كثر حتى سال على ضفة الوادي))[٤١٦] ، وذكر بعض المفسرين أنَّ

الإفاضة تدل على العلو ، وفي الآية ((دليل على أنَّ الجنة فوق النار))[٤١٧] ، وفي هذه المفردة دليل على كثرة نعم أهل الجنة وسعتها ، فمن غير الوارد أنْ يُطلب من شيء هو قليل في الأصل ، فيقال (أفيضوا) ؛ لأنَّها لا تناسب المقام حينئذ ، وأشار إلى ذلك أبو حيان بقوله : ((وأفيضوا أمكن من اسقونا ، لأنَّها تقتضي التوسعة ، كما يقال : أفاض الله عليه نعمه أي : وسعها))[٤١٨] .

والكلمة بعد ذلك بمديها وهمسها تفيض توسلاً وإلحاحاً للحصول على الماء ، أو غيره مما رزق الله به أهل الجنة ، وفي الوقت ذاته تصور حال مَنْ في النار من خضوع وانكسار وألم ، فيسألون بكل شفقة واسترحام بكلمة توحي لسامعها بضيقهم ومدى حاجتهم إلى ((الماء خاصة لشدة ما في بواطنهم من الاحتراق واللهيب بسبب شدة حر جهنم))[٤١٩] ، وكأنَّ فيضاً من الماء لا يُطفئ ما بهم من عطش وحرارة .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ** ﴾ (يوسف:٨٧). فتلقانا كلمة (تحسَّسوا) ، وهي أمر ((بالتحسس ، وهو الاستقصاء والطلب بالحواس ، ويستعمل في الخير والشر))[٤٢٠] ، والكلمة تغلب عليها السعة والانبساط ، ولين في

---

[٤١٦]- اللسان ٤ / ٦٤١(فيض).
[٤١٧]- مجمع البيان ٢ / ٤٢٥ ، وظ الكشاف ٢ / ١٠٤ ، والتفسير الكبير ٢٥٢/١٤ .
[٤١٨]- البحر المحيط ٢ / ٣٠٥ .
[٤١٩]- التفسير الكبير ١٤ / ٢٥٢ .
[٤٢٠]- البحر المحيط ٥ / ٣٣٩ .

الجرس ، وهدوء في الموسيقى ، ينساب ذلك كله إلى المعنى ، فيكون التحسس ((في لطف وبصر وصبر على البحث . ودون يأس من عون الله وفرجه ورحمته))[٤٢١] ، وهذا يصور لنا مشاعر الأب نحو ولده ، وحرصه على إيجاده بشتى الطرق ، فتوسعوا في البحث عنه ، والتمسوا له الأسباب ، وابلغوا فيه غاية الجهد والتقصي ، وتحسسوا بكل ما يمكنكم أنْ تتحسسوا به يوسف أو خبراً منه ، أو شيئاً يدل عليه ، وساعدت صيغة الفعل على تجسيد هذه المعاني ، فصيغة (التفعُّل) هنا ((تعبر عن معنى الحيطة والحذر والتمهل في تحسس الخبر وتجسه (...) كما عبرت كذلك عن تكرار الحدث مما يدل على الاجتهاد في استقصاء خبر يوسف وأخيه ، وتكرار المحاولة مرة بعد مرة))[٤٢٢] ، وجاء هذا كله متناغماً ومنسجماً مع صفات الأصوات في الكلمة ، حيث دلت السين بهمسها وتكرارها ، وكذلك التاء على التأني في البحث والهدوء في

تحصيله ، وأفاد الواو بمدّه مواصلة البحث والاستمرار في تقصي الحقائق حتى الوصول إلى ما يرشد إلى يوسف وأخيه .

هذه صور للدلالة الصوتية لفعل الأمر تميزت بهدوء جرسها ، ورقة نغمتها ، وهي في القرآن كثيرة ، ولو شئنا الاستقصاء لطال بنا المقام ، ولكننا نكتفي بما أوردنا لنتحول إلى مبحث آخر .

الجرس الصارم:

وهذه صفة أخرى من صفات الصوت القرآني ، وهي على النقيض من سابقتها ، فلا هدوء ولا سعة ولا انبساط ، ولا رقة في الصوت تناغم رقة المعنى ، إنَّما هي شدة تكتنف القول والفعل ، يحيطها عنف في الإداء ، وقوة في التنفيذ ، فلا هوادة ولا تأنِّي ، ولكنه قطع لا تردد فيه ، وجزم يأخذ بأطراف الأفعال فيجمعها جمعا لتلائم قوة الصوت المنسجمة مع قوة المعنى ، كما في قوله تعالى :﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (الأنفال:٥٧) . قال الطبرسي: ((أي فنكِّل بهم تنكيلاً وأثِّر فيهم تأثيراً

---

[٤٢١]- في ظلال القرآن ١٧ / ٢٣ .

[٤٢٢]- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : ١٣٤ .

يشرِّد بهم مَنْ بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بأنْ ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافةً أنْ تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وأنْ يحل بهم ما حل بهم))[٤٢٣] ، وقريب من ذلك ما قاله الزمخشري: ((ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم ، مَنْ ورائهم من الكفرة ، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد ، اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم))[٤٢٤] .

فجمعت (شرِّد) معاني لو أُديت بغيرها لاحتاجت إلى جمل لتأديتها ، قتلٌ وأخذٌ وضربٌ وتنكيلٌ ، وكل ما يمكن أنْ يُفعل في الحرب ، بل كل فعل يتبادر إلى الذهن يساعد على التخويف والتشريد كل ذلك جمعته (شرِّد) ، وزادت عليه سعة في التشريد لا تحدها حدود ، وتكراراً في الفعل ليكون أوقع فيهم وأنكى لهم وخفةً وسرعةً في تنفيذ الفعل ، وهذا ما أوحى به تفشي الشين، وتكرار الراء ، وقلقلة الدال . إنَّه حقاً ((لتعبير عجيب ، يرسم صورةً للرعب المفزع ، الذي يكفي السماع به للشرود والهرب ، فما بال من يحل به ويشاهده ؟ فهي الضربة المروعة يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أنْ يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد ، وتحللوا من كلمة الشرف ،

وانطلقوا من قيود الإنسان فارتدوا إلى عالم البهيمة ، ليؤمن البشرية منهم ، ويرد إلى العهود قيمتها ، وإلى المواثيق حرمتها))[٤٢٥] .

ولعل من المناسب أنْ نسأل عن سر هذه الغلظة وهذا الترويع ، ولا سيما أنَّ الآمر بهما هو الرحمن الرحيم ؟ ونجد الجواب عند الشيخ محمد رشيد رضا بقوله : ((وإنَّما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالإثخان في هؤلاء الأعداء الذين تكررت مسالمته لهم وتجديده لعهدهم بعد نقضه لئلا ينخدع مرة أخرى بكذبهم لما جُبل عليه من الرحمة وحب السلم وعده الحرب ضرورة اجتماعية تُترك إذا زالت الضرورة الدافعة إليها . وهؤلاء اليهود

---

[٤٢٣]- مجمع البيان ٢ / ٥٥٣ ، وظ روح المعاني ١٠ / ٢٢ .
[٤٢٤]- الكشاف ٢ / ٢٢٣ ، وظ تفسير أبي السعود ٤ / ٣١ .
[٤٢٥]- في ظلال القرآن ١٠ / ١٨ .

أوهموه المرة بعد المرة أنَّهم يرغبون في السلم معتذرين عن نقضهم للعهد وكانوا في ذلك مخادعين))[٤٢٦].

وعلى ما ذكرنا جاء قوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَوَاء الْجَحِيمِ** ﴾ (الدخان:٤٧). حيث نجد (فاعتلوه) صارخة بشدتها مزمجرة بقوتها ، و((العتل: الأخذ بمجامع الشيء وجرَّه بقهر))[٤٢٧] ، فيكون المعنى ((فقودوه بعنف وغلظة))[٤٢٨] والخطاب موجه ((للملائكة الموكلين على النار أي : نقول للملائكة خذوا الأثيم وادفعوه بعنف إلى وسط النار لتحيط به))[٤٢٩] ، وأسهمت العين في رسم تلك الصورة ، وذلك الموقف ، فجهرها وخشونتها وقوة إسماعها ، جعلها أكثر الفونيمات ملائمة لحال الشدة والغلظة [٤٣٠]، وكذلك عززت انفجارية التاء معنى القوة في الفعل ، مما علل ((اختيار كلمة (اعتلوه) دون غيرها لكي توحي بأنَّ هذا الذي كان يدعي العزة والكرامة في الدنيا سوف يقتلع من مكانته هذه ويُلقى في سواء الجحيم))[٤٣١] ، وهكذا يكون ((العتل جرس في الآذان وظل في الخيال ، يؤديان المدلول للحس والوجدان))[٤٣٢] ، ولا يقتصر معنى المفردة على القهر والغلبة فحسب إنَّما يتعداه إلى الإذلال والتوبيخ وعدم الاحترام ، وهذا مناسب لمن كان في الدنيا يتمتع بعزة وكرامة كاذبتين ؛ لأنَّهما في غير طاعة الله تعالى ، وما كان لغير الله لا ينمو ولا يدوم .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ (الإسراء:٦٤) ، والخطاب موجه لإبليس عليه اللعنة ، ونلمح فيه تهديدَ القادر ، وصبرَ الحليم متمثلاً في أفعال الأمر التي وردت في الآية الكريمة ، وأولها (استفزز) ومعناه ((استزلْ واستخفْ . وأصله القطع ، ومنه تفزز الثوب إذا انقطع. والمعنى استزله بقطعك إياه عن الحق))[٤٣٣] ، وجاء في اللسان ((استفزه من الشيء أخرجه))[٤٣٤] ،

---

[٤٢٦]- المنار ١٠ / ٥٧ .
[٤٢٧]- المفردات : ٥٤٦ .
[٤٢٨]- الكشاف ٤ / ٢٧٤.
[٤٢٩] - الميزان ١٨ / ١٥٨.
[٤٣٠]- ظ المفارقة القرآنية :د. محمد العبد : ٢١٥ .
[٤٣١]- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة خليل أبو عودة : ٨١ .
[٤٣٢]- التصوير الفني في القرآن الكريم : ٨١ .
[٤٣٣]- الجامع لاحكام القرآن ١٠ / ١٨٧ .

والفعل على ذلك يدل على قوة وخفة في الحركة ، يتطلبها الإخراج والاستخفاف ((أي استنهض للمعصية مَنْ استطعت أنْ تستنهضه من ذرية آدم بصوتك ، وكأنَّ الاستفزاز بالصوت كناية عن استخفافهم بالوسوسة الباطلة من غير حقيقة ، وتمثيل بما يُساق الغنم وغيره بالنعيق والزجر وهو صوت لا معنى له))[٤٣٥] .

وجاءت ((السين والتاء فيه للجعل الناشئ عن شدة الطلب والحث الذي هو أصل معنى السين والتاء ، أي استخفهم وازعجهم))[٤٣٦] ، وقد صورت أصوات الكلمة هذا المعنى بكل دقة ، بدءاً بصفير السين ودلالتها على الوسوسة التي تبدأ هادئة ثم تتصاعد شيئاً فشيئاً ، مروراً بالتاء الانفجارية ، وما دلت عليه من قوة وخفة في العمل وانتهاءً بأزيز الزاي الذي دل على تنامي الفعل وبلوغه قمته الدلالية ، وهي استعمال كل الطرق التي تمكنك من جذبهم إلى المعصية ، وترك الطاعة ، ومع ذلك فهو عليه اللعنة لن يتمكن من عباد الله المخلصين ، لأنَّه لا سلطان له عليهم.

ويأتي الجرس صارماً بسرعته ، فيفيد معنى الإسراع في العمل وعدم التأنِّي والانتظار ، نحو قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (الحجر:٢٩) ، وردت هذه الآية في سورتين[٤٣٧] ، وكلاهما تحدث عن قصة خلق آدم عليه السلام ، وأمْر الملائكة بالسجود له . وفُسر قوله تعالى (فقعوا له ساجدين) بمعنى : خروا له ساجدين[٤٣٨].

وليس الأمر كذلك ، فالمتتبع لاستعمال الفعلين في القرآن الكريم - بمعنى السجود لله - يجد بينهما اختلافاً ليس بالقليل ، فالفعل (قعوا) لم يُستعمل بصيغة الماضي أو المضارع ، إنَّما جاء في الآيتين المذكورتين بصيغة الأمر ، وفيه إلزام بالسجود ،

وسرعة في المبادرة إليه ، وهذا يدل على أنَّ هذا الفعل يُستعمل في القسر و الإجبار ، بغض النظر عن كون المأمور راغباً في الأمر أم راغباً عنه ، فإبليس عليه اللعنة لم يكن راغباً بالسجود ومع ذلك أمر به ؛ لذلك لم يسجد .

---

[٤٣٤]- اللسان ٤ / ٨٤ (فزز)
[٤٣٥]- الميزان ١٣ / ١٥٤.
[٤٣٦]- التحرير والتنوير ١٥ / ١٥٣ .
[٤٣٧]- السورة الثانية هي ص : ٧ .
[٤٣٨]- ظ مجمع البيان ٣ / ٣٣٦ ، والكشاف ٤ / ١٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/١٠.

أما الفعل (خرَّ) فلا إجبار فيه ولا قسر ، إنَّما هو خشوع نفسي ، وانسياب طوعي للسجود ، لا يكون بلا رغبة ؛ لذلك جاء بصيغتي الماضي والمضارع ، ولم يأت بصيغة الأمر ، لأنَّها لا تتناسب مع معناه ، فالخرور فيه خشيةٌ ورهبةٌ وتعظيمٌ لله تعالى وحمدٌ له ، وطلبٌ للرحمة والمغفرة ، كما في قوله تعالى :﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً** ﴾ (مريم:٥٨)أي إن هم ((إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعاً واستكانةً وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة))[٤٣٩] ، وكذلك قوله تعالى :﴿ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدا** ﴾ (الإسراء:١٠٧) ، حيث قيد الخرور للأذقان ، ((وذكر الذقن للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى))[٤٤٠] . وهكذا سائر الآيات التي ورد فيها هذا الفعل على اختلاف صيغه[٤٤١].

تبين مما تقدم دلالة استعمال الفعلين في مواضع مختلفة ، وأنَّ الفعل (قعوا) بجرسه الخاطف ، يدل على سرعة امتثال الأمر ، وأنْ يكون دفعةً واحدةً بلا تمهل ولا تراخي ، وهو شبيه بسقوط الأشياء على وجه الأرض بفعل الجاذبية ، ولما كان السجود لآدم عليه السلام سجود تحية وإكرام لا سجود عباده [٤٤٢] ، لم يصح أنْ يستعمل معه الفعل (خر) الذي يدل على الخضوع والخشوع .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ (الذاريات:٥٠) . فالفعل (فرُّوا) ((ينبئ عن سرعة الإهلاك كأنَّه يقول الإهلاك والعذاب أسرع وأقرب منْ أنْ يحتمل الحال الإبطاء في الرجوع ، فافزعوا إلى الله سريعاً وفروا))[٤٤٣] ، والمعنى ((اهربوا إلى الله من عقابه إلى رحمته بإخلاص العبادة له ، وقيل : معناه ففروا إلى اله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به))[٤٤٤] .

---

[٤٣٩]- تفسير ابن كثير ١٤١/٣.
[٤٤٠]- التحرير والتنوير ١٥ / ٢٣٤ ، وظ فتح القدير ٣ / ٣٢٧.
[٤٤١]- ظ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٣١٢ .
[٤٤٢]- ظ الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨ .
[٤٤٣]- التفسير الكبير ٢٨ / ١٨٨ .
[٤٤٤]- التبيان في تفسير القرآن ٣٩٥/٩ .

وفي الكلمة دلالة على قصر الحياة ، وسرعة مداهمة الموت للإنسان في أي وقت ، فيفترض به أنْ يسارع إلى الله تعالى قبل فوات الأوان . وجسَّد تكرار الراء ما في الفعل من حركة واضطراب يصاحبان الهارب من شيء إلى سواه ، ((والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقاً . وهو يوحي بالاثقال والقيود والاغلال والأوهاق ، التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض ، وتثقلها عن الانطلاق ، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال . وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود . ومن ثم يجيء الهتاف قوياً بالانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود : الفرار إلى الله وحده منزَّهاً عن كل شيء))[٤٤٥] ، وهذا هو إعجاز القرآن الكريم يضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب .

الإيقاع الخارجي

عرفنا الإيقاع في ما مضى ، وذكرنا أنَّه على قسمين : داخلي ، ونعني به جرس المفردة ، وبحثناه في الصفحات السابقة . وخارجي ، ونعني به موسيقى الألفاظ المكونة للنص ، وما نريده بهذه الموسيقى ((موسيقى النثر ، حيث الإيقاع العميق الذي يحدثه دقة التوزيع وحسنه بين الحروف ذاتها والكلمة والعبارة والآية والسورة ، وموسيقى الحس ، حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس ، وقوة إرهافها لتموجات الموسيقى أياً كان مصدرها ، وموسيقى الروح ، حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى (...) فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حية من تراكيب خالدة للغة العرب))[٤٤٦] . مع الإيمان بأنَّ القرآن الكريم ليس شعراً وليس نثراً وإنَّما هو كلام الله المعجز .

ومن صور الإيقاع التي ندرسها هنا :

الإيقاع الهادئ :

وهو إيقاع رخي منساب يجسد انسياب المعنى الذي يؤديه ، وغالباً ما يصاحب دعاء العبد وتوجهه إلى ربه ، أو خطاب الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في مواقف الرحمة

---

[٤٤٥]- في ظلال القرآن ٢٧ / ٢٦ . والأوهاق : الحبال أصلها للدواب والخيل تربط بها حتى لا تَندّ ويقال في مفردها وهْق ووهق بسكون الحاء وفتحها.

[٤٤٦]- الإعجاز الفني في القرآن : عمر السلامي: ٢٢٢ .

والرأفة نحو قوله تعالى :﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾ (الإسراء:٢٤). خفض، وذل ، واسترحام ، كلمات كلها

رأفة وحنو وتواضع للذين ربيا وسهرا ، وشملا بالعناية ، دون ثمن أو أجر ، فلا عجب أنْ نجد ((صيغة الرحمة قد تجلت بأرق مظاهرها الصادقة وأرقاها ، توجيه رحيم ، واستعارة هادفة ، وعاطفة مهذبة ، فقد اقترنت الرحمة بالاسترحام وخفض الجناح بتواضع بل بذل إشفاقاً وحنواً وحدباً ، فكما يخفض الطائر الوجل أو المطمئن السارب جناحيه حذراً أو عطفاً أو احتضاناً لصغاره حباً بهم ، أو صيانةً لهم من كل الطوارئ ، أو هما معاً ، فكذلك رحمة الولد البار بوالديه شفقةً ورعايةً ، ومواساةً ومعاناةً ، في حالتي الصحة والسقم ، الرضا والغضب ، الدعة والاجتياح))[٤٤٧] ، ونجد كذلك ((الدعاء من الأعماق ((وقل رب ارحمهما)) مجازاة على تربيته صغيراً ، والرحمة وارحمهما ، لفظان متلازمان في بحة الحاء المنطلقة من الصدر فهي صوتياً مثلها دلالياً من القلب إلى القلب ، ومن الشغاف إلى الشغاف ، وهنا يظهر أنْ الرحمة ظاهرة واقعية تنبعث من داخل النفس الإنسانية ، فيتفجر بها الضمير الحي النابض بالطهارة والنقاء والحب السرمدي ، فهي إذن لا تُفرض من الخارج بالقوة والقهر والاستطالة ، وإنَّما سبيلها سبيل الماء المتدفق من الأعالي لأنَّها صفة ملائكية ، تمزج الإنسانية بالصفاء الروحي))[٤٤٨] .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠) . جمعت الآية من التكريم ما تقر به عيون المؤمنين ، وتسر به أفئدتهم ، ((إنَّها عطفة تنسم فيها أرواح الجنة منذ النداء الأول ثم تمضي الآيات تباعاً تغمر الجو كله بالأمن والرضى والطمأنينة ، والموسيقى الرخية الندية حول المشهد ترف بالود والقربى والسكينة . ألا إنَّها الجنة بأنفاسها الرطبة الندية ، تطل من خلال هذه الآيات . وتتجلى عليها طلعة الرحمن الجليلة البهية))[٤٤٩].

والنفس المطمئنة هي النفس ((الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ، وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك))[٤٥٠]. فجاءت

---

[٤٤٧]- الصوت اللغوي في القرآن الكريم : ١٧٧ ـ ١٧٨ .
[٤٤٨]- الصوت اللغوي في القرآن الكريم : ١٧٧ ـ ١٧٨ .
[٤٤٩]- في ظلال القرآن ٣٠ / ١٦٠ . وظ الكشاف ٢ / ٦٣٢ ـ ٦٣٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٨ .
[٤٥٠]- الكشاف ٤ / ٧٤٠ .

الآيات يأخذ بعضها بزمام بعض ((هكذا في عطف ولطف((ياأيتها)) وفي روحانية وتكريم ((يا أيتها النفس)) ((المطمئنة)) في وسط هذا الروع ((ارجعي إلى ربك)) بما بينك وبينه من صلة وإضافة ((راضية مرضية)) بهذا الانسجام الذي يغمر الجو كله بالرضى والتعاطف. ((فادخلي في عبادي)) ممتزجة بهم متوادة

معهم . ((وادخلي جنتي)) المضافة لي والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية))[٤٥١] .

ترى أي تكريم أسمى من هذا التكريم ؟ وأي غبطة نفسية بعد هذه الغبطة ؟ نداء رحماني يخشع الجماد لهيبته ، وأمر النفس المطمئنة بالرجوع إلى ربها ومولاها ، ولكن في أية حال ، إنَّها راضية مرضية ، غاية ما يسعى له المؤمنون ، ويطلبه الصادقون ، ويزيد عليه تعالى ((وادخلي في عبادي)) المخلصين ، و ((ادخلي جنتي)) ، ((وفي إضافة الجنة إلى ضمير المتكلم تشريف خاص ، ولا يوجد في كلامه تعالى إضافة الجنة إلى نفسه تعالى إلا في هذه الآية))[٤٥٢] .

ونعود فنردد مع سيد قطب قوله في هذه الآيات : ((فليرتل القارئ هذه الآيات بصوت مسموع ، ليدرك تلك الموسيقى الرخية المتموجة .إنَّها تشبه الموجة الرخية في ارتفاعها لقمتها وانبساطها إلى نهايتها ، في هدوء واطمئنان ، يتفقان مع جو الطمأنينة في المشهد كله . ولعل لتوازن المد إلى أعلى بالألف ، وإلى أسفل بالياء على التوالي ، شأناً في هذا التموج ، ولكنه ليس كل الشأن ، فهو يفسر الأوزان لا الالحان . يفسر الاتزان الخارجي في النغمة لا الروح الداخلي فيها . ذلك الروح مرده إلى خصائص غامضة في جرس الحروف والكلمات ، يدركه من يقرأ التعبير القرآني في حساسية وارهاف))[٤٥٣] .

وذكرنا أنَّ هذا الإيقاع يصاحب الدعاء ، فلنتابع ذلك في دعاء زكريا عليه السلام في قوله تعالى :﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾ (مريم:٤-٦)، فالآيات كلها ترتكز على قوله (فهب لي من لدنك ولياً ، واجعله رب رضياً) ، ولكنه عليه السلام يعرف سر

---

[٤٥١]- التصوير الفني في القرآن : ٨٣ .
[٤٥٢]- الميزان ٢٠ /٢٨٦ .
[٥]- التصوير الفني في القرآن : ٩٥ .

الدعاء ، ويدرك كنه المناجاة ، فلم يأت به عارياً مجرداً ، إنَّما مهَّد له معللاً طلبه هذا بضعفه وكبره وخوفه الموالي من بعده ، وكان هذا ((من اضطراره لسؤال الولد ، والله يجيب المضطر إذا دعاه . فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر))[٤٥٤] ، ولكنه سؤال دعت الحاجة إليه بسبب ما ذكر ، وقوله ((فلم اكن بدعائك رب شقيا)) ((أي لم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك))[٤٥٥] ، وجاء بذلك لأنَّه

يعرف أنَّ هذا الدعاء يختلف عن غيره ، لأنَّه يدخل في باب الإعجاز الإلهي ، فامرأته كانت عاقراً ، أي ((أنَّ العقر متمكن منها وثابت لها فلذلك حرم الولد منها (...) فلما قال ((من عندك)) دل على أنَّه سأل ولياً غير جار أمره على المعتاد من إيجاد الأولاد لانعدام الأسباب المعتادة فتكون هبته كرامة له))[٤٥٦] .

كل ذلك يصور لهفة زكريا عليه السلام للحصول على الولد ، فكان ((على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور ، ونتمثل هذا الشيخ الجليل - على وقاره - متأجج العاطفة ، متهدج الصوت ، طويل النفس ، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير ، بل أنَّ زكريا في دعائه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفاً من انقطاع عقبه ، وهو قائم يصلي في المحراب لا يني ينادي اسم ((ربه)) نداءً خفياً ، ويكرر اسم ((ربه)) بكرةً وعشياً ، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصديق الصفي: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً*يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾ ، وإنَّ البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفاً لينةً كأنَّها في الشعر ألف الإطلاق))[٤٥٧] .

ومن صور ذلك قوله تعالى :﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ**

---

[٤٥٤]- التحرير والتنوير ١٦ / ٦٣.
[٤٥٥]- تفسير ابن كثير ٣ / ١٢٣.
[٤٥٦]- التحرير والتنوير١٦ / ٦٧.
[٤٥٧]- مباحث في علوم القرآن : د. صبحي الصالح : ٣٣٧ – ٣٣٨ .

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾ (آل عمران:١٩١-١٩٤) . وهنا لم يأت الدعاء مجرداً ، إنَّما سُبق بتفكر في خلق السماوات والأرض ، وباعترافهم أنَّ من يدخل النار فقد أخزاه الله ، ثم ذكروا أنَّهم آمنوا عندما سمعوا منادياً ينادي للإيمان ، ثم جاء بعد ذلك طلبهم في رهبة وخشية وإجلال ، متدرجاً من المغفرة إلى تكفير السيئات وهو إذهابها وإزالتها ، إلى الوفاة مع الأبرار وطلب ما وعدهم الله . كل ذلك في نبرة واجفة خاشعة تصور حال المتضرع الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، و((بأصوات رخية متناسقة تصعد معها وتهبط معها وهي تجأر إلى الله وتنشد هذا النشيد الفخم الجليل (...) إنَّ في تكرار

عبارة ((ربنا)) لما يلين القلب ، ويبعث فيه نداوة الإيمان ، وإنَّ في الوقوف بالسكون على الراء المنزلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم ، ويعوّض في الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان))[٤٥٨].

وهناك آيات أخر تميزت بهدوء إيقاعها ورقة نغمتها ، تقابلها آيات مختلفة عنها فجاءت شديدة الإيقاع ، وحادة النغمة ، وهذا ما نحاول أنْ نبينه فيما يأتي :

الإيقاع الصارم :

وللإيقاع الصارم نصيبه في القرآن الكريم ، فالحياة ليست على وتيرة واحدة من السعة والانبساط ، إنَّما هي مد وجزر ، فمواقف الحرب ، ومواجهة الأعداء في مختلف الميادين ، والدفاع عن الحق بوجه الباطل ، كل ذلك يتطلب حزماً وشدةً كبيرين لتحقيقه ، ومن هنا كان لا بد للإيقاع أنْ يتناسب مع هذه المواقف ، ويتفاعل معها . ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ (الأنفال:١٢) . فنلاحظ الإيقاع يتصَّاعد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ ذروته وهو قوله تعالى : ((واضربوا منهم كل بنان)) ، فخطابه للملائكة جل وعلا ((إنِّي معكم)) ، مقدمة للتكليف بعمل شريف ولذلك لم يذكر ما تتعلق به المعية لأنَّه سيعلم من بقية الكلام أي إن ي معكم

---

[٤٥٨]- السابق : ٣٣٨ .

في عملكم الذي أكلفكم به))[٤٥٩] ، ثم يذكر تعالى مقدمات العمل الأخرى ولوازمه ، وكيفية المعية أيضاً ، وذلك في قوله : ((فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)) ، ((وإنَّما كان العمل بهذه المثابة لأنَّه إبدالٌ للحقائق الثابتة باقتلاعها ووضع أضدادها لأنَّه يجعل الجبن شجاعةً والخوف إقداماً والهلع ثباتاً في جانب المؤمنين ويجعل العزة رعباً في قلوب المشركين))[٤٦٠]. قال الزمخشري : ((ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم ، واجتماعهما غاية النصرة))[٤٦١].

وبعد أنْ تستكمل العدة ، وتتوافر للأمر مقوماته ومستلزماته يأتي هذا الأمر بقوة ما بعدها قوة ، وشدة توازي شدة السيف والضرب به ((فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)) والخطاب موجه للملائكة ، وقيل للمؤمنين[٤٦٢] ، ((والمراد

فوق الأعناق الرؤوس ، وكل بنان جميع الأطراف من اليدين والرجلين أو أصابع الأيدي لئلا يطيقوا حمل السلاح بها والقبض عليه))[٤٦٣].

وقيل : إنَّ المراد بالضرب في الموضعين ((أنْ يضربوهم كما شاؤوا ، لأنَّ ما فوق العنق هو الرأس ، وهو أشرف الأعضاء ، فذكر الأشرف والأخس تنبيهاً على كل الأعضاء))[٤٦٤] ، وقيل : إنَّ المراد بضرب البنان ((ضرب الأيدي بما فيها البنان والرسغ والمعصم ، ولما كان البنان جزءاً منها عُبر به للدلالة عليها بهذه العلاقة))[٤٦٥].

هكذا يكون النصر الإلهي ، تثبيتاً للمؤمنين ، ورعباً يلقيه تعالى في قلوب الكافرين ، وضرباً فوق الأعناق ، وكل بنان ((وفي ذلك إعلام بأنَّ الغلبة والظفر والعاقبة للمؤمنين))[٤٦٦].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ**

---

[٤٥٩]- التحرير والتنوير ٩ / ٢٨١.
[٤٦٠]- السابق ٩ / ٢٨١.
[٤٦١]- الكشاف ٢ / ١٩٧ .
[٤٦٢]- ظ مجمع البيان ٢ / ٥٢٦ ، والكشاف ٢ / ١٩٧ .
[٤٦٣]- الميزان ٩ / ٢٢ .
[٤٦٤]- التفسير الكبير ١٥ / ٤٦٣ .
[٤٦٥]- مجاز القرآن : د . محمد حسين الصغير : ١٥٠ .
[٤٦٦]- البحر المحيط ٤ / ٤٦٩ .

أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ (الأحزاب:٦٠-٦١). فهذا تهديد من جبار السماوات والأرض ، يحمل بين طياته غضباً يتفجر منه سيل يقتلع هؤلاء إنْ لم ينتهوا عما هم فيه من نفاق وإفساد وإرجاف ، فقد أقسم رب العزة ((لئن لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن الإفساد والذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة لإلقاء الاضطراب بين المسلمين لنحرضنك عليهم ثم لا يجاورونك في المدينة بسبب نفيهم عنها إلا زماناً قليلاً وهو ما بين صدور الأمر وفعلية إجرائه))[٤٦٧]. وقال القرطبي : ((لنغرينك بهم ، أي لنسلطنَّك عليهم فتستأصلهم بالقتل))[٤٦٨] ، والآيات فيها ((معنى الأمر بقتلهم وأخذهم ، أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف))[٤٦٩] .

وقد صور هذا الإيقاع الصارم الخاطف مدى تمادي هؤلاء في إيذاء المؤمنين ، وتثبيط عزيمتهم ، وكسر شوكتهم ، لذلك جاء هادراً مزلزلاً لا يحتمل التساهل أو التماهل ، وساعدت الأفعال الماضية بصيغتها المجهولة على تجسيد هذا المعنى ، وكأنَّ الأخذ والقتل حدث وانتهى إذا ظلوا مقيمين على ما هم فيه ، وإخفاء الفاعل فيه دلالة على زيادة الرعب والتهديد لأنَّهم سيُؤخذون من أكثر من جهة ، وعزز ذلك وزن (قتَّل) الذي يدل على التكثير والمبالغة ، وكذلك توكيده بالمصدر جاء ليؤدي هذه

المعاني الرادعة ، فلا غرابة بعد ذلك من ((أنَّهم قد انتهوا عن الإرجاف فلم يُغر بهم))[٤٧٠] .

وتأتي الشدة في كثير من الأحيان مرتبطة بالسرعة ، لأنَّها من متطلباتها والمكملات لها ، لأنَّ التأني وعدم المبادرة إلى الفعل غالباً ما يؤدي إلى الفتور والرخاوة ، فيضيع بذلك الهدف الأساس من العمل ، ومن هذا قوله تعالى :﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (هود:٤٤) .

وهذه الآية من الآيات التي وقف عندها المفسرون والبلاغيون[٤٧١]، وأعظموها أيما إعظام ، وذكروا خصائصها مأخوذين بجمالها وبراعة نظمها وجودة بلاغتها ، حتى قال

---

[٤٦٧]- الميزان ١٦ / ٣٤٠ .
[٤٦٨]- الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٥٨ .
[٤٦٩]- السابق ١٤ / ١٥٨ .
٤- السابق ١٤ / ١٥٨ .
[٤٧١]- ظ مفتاح العلوم للسكاكي ٤١٧ - ٤٢٢ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢٣١-٢٤٤ .

عنها القرطبي: ((لو فُتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة رصفها ، واشتمال المعاني فيها))[٤٧٢] ، وقيل : إنَّ العرب عندما سمعوا هذه الآية ((أخذتهم الدهشة وأمروا بإنزال ما عُلق على الكعبة المشرفة من القصائد والأشعار))[٤٧٣] .

وإيقاع الآية على قوته جميل أخاذ ، يستحوذ على المشاعر بهذه الضربات الصوتية المتتالية التي تجد صداها في أعماق النفس ، متناغمة مع ألفاظ ((سهلة النطق ، عذبة الجرس ، لها رنين موسيقي يستولي على كل إحساس))[٤٧٤] ، يزاد على ذلك أنَّها ألفاظ واضحة مفهومة ((لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ، ولا التواء يشبك الطريق إلى المرتاد ، بل إذا جربت نفسك ، عند استماعها ، وجدت ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها ، فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق إلى أذنك ، إلا ومعناها أسبق إلى قلبك))[٤٧٥].

فكلمة (ابلعي) جاءت لتصور لنا ((سرعة إخفاء الماء ولا يقوم غير هذا اللفظ في تصوير سرعة إخفاء الماء))[٤٧٦] ، وهذا يعني أنْ تبتلعه الأرض في غمضة عين[٤٧٧] ، وجاءت (اقلعي) لتعبر عن احتباس المطر وامساكه ، وزاد معانيهما حسناً ما

بينهما من جناس ، و ((قدم الأمر بالبلع لأنَّه المسبب الأعظم لغيض الماء))[٤٧٨] ، فلولا بلع الأرض للماء لما غيض حتى لو أقلعت السماء ، لأنَّه سيبقى عندئذ ماء المطر السابق ، ومياه العيون التي تفجرت من الأرض . وبناء الأفعال الماضية للمفعول ((أبلغ في التعظيم والجبروت))[٤٧٩] ، وفيه اختصار وإيجاز[٤٨٠].

٤٧٢- الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢٨ .
٤٧٣- مواهب الرحمن ١ / ١٢٣ .
٤٧٤- الإعجاز القرآني (بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني) : ٢٩٥ ، القرآن المعجزة الكبرى ، د. عبد الرحيم أحمد الزقة .
٤٧٥- مفتاح العلوم : ٤٢١ .
٤٧٦- الإعجاز القرآني ، ٢٩٥ (القرآن المعجزة الكبرى) .
٤٧٧- ظ من بلاغة القرآن : ٥٥-٥٦ .
٤٧٨- التحرير والتنوير ١٢ / ٧٨ .
٤٧٩- تفسير ابن عطية ٣ / ١٥٧ .
٤٨٠- ظ مفتاح العلوم : ٤٢٠ .

هذا غيض من فيض مما قيل في هذه الآية الكريمة ، هذه الآية التي أنهت أمواجاً تتلاطم ، وعيوناً تتفجر ، وأمطاراً تتحدر ، فإذا الأمر مقضي ، والسفينة راسية ، حقاً ((إنَّك لتشعر بشيء غير بشري تماماً في هذه الألفاظ الهائلة الجليلة المنحوتة من صخر صوان وكأنَّ كل حرف فيها جبل الألب. لا يمكنك أنْ تغير حرفاً أو تستبدل كلمة بأخرى أو تؤلف جملة مكان جملة تعطي نفس الإيقاع والنظم والحركة والثقل والدلالة))[٤٨١] .

ومما ارتبطت فيه الشدة بالسرعة قوله تعالى :﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ (طه:٣٨-٣٩)، حيث جاء الإيقاع سريعاً مشتداً ، فالأمر ليس بالأمر الهين ، إنَّما هو تقرير لمصير، وإحياءٌ لنبوة تتجسد في هذا الصبي الذي قُدر له أنْ يكون من المنذرين في قابل أيامه ، والوقت يمضي ، والخوف يتضاعف ، فيأتي الأمر بهذا ليعبر عن كل ذلك ، ((والقذف : أصله الرمي ، وأطلق هنا على الوضع في التابوت ، تمثيلاً لهيئة المخفي عمله ، فهو يسرع وضعه في يده كهيئة من يقذف حجراً ونحوه))[٤٨٢].

ولو قارنا هذه الآية بما جاء في سورة القصص من قوله تعالى :﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ (القصص:٧) ، لاتضحت لنا الصورة ، فآيات القصص كانت ((إعداداً للأمر الذي سيكون ، وتمهيداً له قبل أنْ يقع ولهذا كان هذا التمهل فيه ، والانتظار إلى الحال الداعية إليه. وهنا تجد الكلمات ممدودة في استرخاء (...) فأم موسى ستحتفظ بوليدها عندها ، وترضعه إلى أنْ تستشعر الخطر من فرعون وجنوده))[٤٨٣] ، ولكن عندما يفاجئها الخطر ، وتحيط بها المخاوف نجدها ((تسرع إلى

التابوت الذي أعدته من قبل والذي لم يجر له ذكر في الصورة السابقة على ما فيها من بسط وتمهل ، إذ إنذلك عمل لا بد منه ، وقد هيأت لإلقاء وليدها في اليم . إنَّها لا تلقيه هكذا دون أنْ ترفده بما ينجيه من الغرق ، وإلا كان إلقاؤه قتلاً عاجلاً له ، دونه القتل المنتظر على يد فرعون))[٤٨٤] .

---

[٤٨١]- القرآن محاولة لفهم عصري : ١٦ .
[٤٨٢]- التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٦ .
[٤٨٣]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب : ٢٣٩ – ٢٤٠ .
[٤٨٤]- السابق : ٢٤٠ .

وتحين ساعة التنفيذ ((فتقذفه في التابوت قذفاً ، وتقذفه كذلك في اليم ، ولا تلقيه إلقاءً ، إنَّها مطلوبة مذعورة ، تقذف بوليدها بعيداً عن موطن الخطر))[٤٨٥] .

وقد ساعد تكرار الفعل (فاقذفيه) بما فيه من قلقلة القاف ، وكثرة الأصوات الانفجارية ، والأوامر التي جاءت بعده (فليلقه ، يأخذه) على تجسيد معاني السرعة ، واضطراب الحركة وخفتها ، فما في النص ((حركات كلها عنف وكلها خشونة. قذفٌ في التابوت بالطفل . وقذفٌ في اليم بالتابوت . وإلقاءٌ للتابوت على الساحل . ثم ماذا ؟ أين يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليم الملقى به على الساحل . من يتسلمه ؟ ((عدو لي وعدو له))))[٤٨٦]. فسبحان الذي جعل نجاة الرضيع الذي في عرض البحر على يد عدوه .

دلالة التناوب الإيقاعي

يحدث أنْ يتناوب الإيقاع في صفاته الإيحائية ، وأنغامه الموسيقية ، فنراه هادئاً منساباً ، فما يلبث حتى يتحول إلى إيقاع صارم مزمجر ، وربما يكون العكس ، ولا يكون ذلك اعتباطاً ، إنَّما هو تعبير عن معاني متناوبة لا تأتي إلا بهذا الإيقاع الذي يصور الحالتين ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** ﴾ (التوبة:٢) ، فجاءت كلمة (سيحوا) هادئة الجرس ، متهادية الموسيقى تدل على السعة والمهل . ((والسياحة والسيح الذهاب في الأرض والمسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على وجه الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره))[٤٨٧] ، وقُصد بها هنا ((حرية السير والانتقال مع الأمان مدة أربعة أشهر لا يعرض المسلمون لهم فيها

---

[٤٨٥]- القصص القرآني : ٢٤٠ .
[٤٨٦]- في ظلال القرآن ١٦ / ٧٤ .
[٤٨٧]- تفسير أبي السعود ٤ / ٤٠ .

بقتال ، فلهم فيها سعة من الوقت للنظر في أمرهم . والتفكر في عاقبتهم ، والتخيير بين الإسلام ، وبين الاستعداد للمقاومة والصدام))[٤٨٨] .

واللفظ فيه من السعة والانسيابية ما ليس في غيره مما يقاربه في المعنى ، توحي بذلك أصواته التي يشد بعضها بعضاً رقةً وعذوبةً ابتداءً بهمس السين فمد الياء وبحة الحاء وانتهاءً بمد الواو .

ويأتي التهديد مباشرة بعد (سيحوا) (واعلموا أنَّكم غير معجزي الله) أي إن كم ((لا تفوتونه وإنْ أمهلكم ، وهو مخزيكم: أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب))[٤٨٩]. ولكن ماذا سيحدث بعد هذه الأشهر ؟ هنا يأتي الإيقاع مزلزلاً مرعباً ، ترتعد له الفرائص ، وتخشاه القلوب ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (التوبة:٥). وهذا يعني أنَّ الله تعالى أمر بأربعة أشياء ، أولها أنَّه ((أمر بقتلهم على الإطلاق ، في أي وقت ، وأي مكان ، وثانيها قوله :(وخذوهم) أي بالأسر ، والأخيذ هو الأسير. وثالثها : قوله : (واحصروهم) ومعنى الحصر المنع من الخروج من محيط (...) ورابعها : قوله تعالى (واقعدوا لهم كل مرصد) والمرصد الموقع الذي يُرقب فيه العدو من قولهم : رصت فلاناً أرصده إذا ترقبته))[٤٩٠] .

وجاءت هذه الأوامر الصارمة المتلاحقة ((للتوسل بذلك إلى إيرادهم مورد الفناء والانقراض . وتطييب الأرض منهم ، وإنجاء الناس من مخالطتهم ومعاشرتهم بعد ما سُمح وأبيح لهم ذلك في قوله : ((فسيحوا في الأرض أربعة أشهر))))[٤٩١] ، وسبب هذه الشدة هي نظرة الإسلام ((إلى غاية الوجود الإنساني . فغاية الوجود الإنساني هي العبادة وأكرم ما في الإنسان حرية الاعتقاد . فالذي يسلبه هذه الحرية ، ويفتنه عن دينه فتنةً مباشرةً أو بالواسطة ، يجني عليه ما لا يجني قاتل حياته . ومن ثم يدفعه بالقتل . لذلك لم يقل : وقاتلوهم . وإنَّما قال :(واقتلوهم) ، ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم)) أي حيث وجدتموهم . في أية حالة كانوا عليها ؛ وبأية وسيلة تملكونها مع مراعاة أدب الإسلام في عدم المثلة أو الحرق بالنار))[٤٩٢].

---

[٤٨٨]- المنار ١٠ / ١٨٠ – ١٨١ .
[٤٨٩]- الكشاف ٢ / ٢٣٦ .
[٤٩٠]- التفسير الكبير ١٥ / ٢٨ ، وظ روح المعاني ١٠ / ٥١ .
[٤٩١]- الميزان ٩ / ١٥٦ .
[٤٩٢]- في ظلال القرآن ٢ / ١٠٨ .

ومع كل هذه الشدة ، ومع كل ما فعلوه ، يأبى الرحمن الرحيم أنْ يغلق الأبواب بوجوههم ، فيُبقي باب التوبة مفتوحاً للولوج منه إلى رحمته التي وسعت كل شيء ، فيأتي الشرط الذي يُنهي هذا القتل والأخذ والحصر ((فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنَّ الله غفورٌ رحيم)) ، مما يدل على أنَّ الإسلام لا يريد بهم شراً ، ولا يهدف إلى الانتقام منهم ، إنَّما أراد إصلاحهم . ويبدو واضحاً كيف تغير الإيقاع إلى الهدوء والرقة مرة أخرى ، فجاءت الكلمات الأخيرة من الآية سلسلة منسابة تناسب عطف الله ورحمته بعباده ومملوكيه .

ومثل ما تقدم قوله جل وعلا :﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ *أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ (الطور:٢٩-٣٤) . تضمنت الآيات الكريمة زجراً وتهديداً وتوبيخاً لأولئك المكذبين ، وجاء إيقاعها شديداً متناغماً مع معانيها ، ((ليقرعهم بهذا المنطق النافذ القوي المستقيم))[٤٩٣] ، وبعد هذه الآيات والبراهين على قدرة الله تعالى ، وخلقه لكل شيء ، ((وعقب هذه الأسئلة المتلاحقة . بل القذائف الصاعقة . التي تنسف الباطل نسفاً ، وتحرج المكابر والمعاند ، وتخرس كل لسان يزيغ عن الحق أو يجادل فيه. عقب هذا يصور تعنتهم وعنادهم في صورة الذي يكابر في المحسوس : ((وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ)) . والفرق بين قطة السماء تسقط وبين السحاب واضح ، ولكنهم هم يتلمسون كل شبهة ليعدلوا عن الحق الواضح . هنا يلقي عليهم بالقذيفة الأخيرة . قذيفة التهديد الرعيب ، بملاقاة ذلك المشهد المرهوب ، الذي عُرض عليهم في مطلع السورة ((فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ. يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)). كما يهددهم بعذاب أقرب من ذلك العذاب ، ((وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))))[٤٩٤].

---

[٤٩٣]- في ظلال القرآن ٢٧ / ٣٤ .

[٤٩٤]- في ظلال القرآن ٢٧ /٣٤ ، والنصوص القرآنية من سورة الطور :٤٤-٤٧.

ثم يوجه تعالى بعد ذلك خطاباً لنبيه يفيض رقةً وعذوبةً ونداوةً ، ليقابل عنت أولئك وإصرارهم على الكفر ، وبقاءهم عليه ، فيختتم ((السورة بإيقاع رضي رخي إنَّه موجه إلى الرسول الكريم الذي يقولون عنه :((شاعر نتربص به ريب المنون)) ويقولون : كاهن أو مجنون . موجه اليه من ربه يسليه ويعزيه في إعزاز وتكريم .

في تعبير لا نظير له في القرآن كله ؛ ولم يُوجه من قبل إلى نبي أو رسول :((**و**َاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)).

إنَّه الإيقاع الذي يمسح على العنت والمشقة اللذين يلقاهما الرسول الكريم ، من أولئك المتعنتين المعاندين ، الذين اقتضت مواجهتهم تلك الحملة العنيفة من المطاردة والهجوم))))[٤٩٥].

وهناك آيات أخر تضمنت تناوباً إيقاعياً[٤٩٦] ، والملاحظ أنَّ هذه التناوب يطرد مع تناوب المعاني شدة ورخاوة ، وذلك خصيصة من خصائص البيان القرآني ، ووجهاً من وجوه رقته في تصوير المعاني بأبلغ ما يكون من الألفاظ الموحية المعبرة .

وبعد هذه الصفحات مع الإيقاع القرآني نردد مع الدكتور صبحي الصالح قوله : ((فذلك شأن الإيقاع في القرآن : ليست الفاصلة فيع كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان ، وتضبط بالحركات والسكنات ، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار ، أو الحذف والنقصان ، ولا الألفاظ تحشد حشداً ، وتلصق إلصاقاً ، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب ، بل الفاصلة طليقة من كل قيد ، والنظم بنجوة من كل صنعة ، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد : إنْ هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص ، يلين أو يشتد ، ويهدأ أو يهيج : ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنَّه صرصر عاتية تبهر الأنفاس))[٤٩٧] .

---

[٤٩٥]- في ظلال القرآن ٢٧ / ٣٤ ، والنصوص القرآنية من سورة الطور : ٤٨-٤٩.

[٤٩٦]- ظ مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ع٩ : ٣٤٩-٣٥٠ (الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، بحث للدكتور كاصد الزيدي).

[٤٩٧]- مباحث في علوم القرآن ، ٣٤٠ .

ورد الأمر في القرآن الكريم بصيغ متعددة , وأساليب متنوعة تساير المعاني والأغراض التي جاءت لها , ولعل أكثر تلك الصيغ وروداً هي صيغ الأفعال بمجردها ومزيدها ، حيث تباينت أبنيتها , واختلفت مدلولاتها. وسنقتصر في دراستنا هذه على الأفعال المزيدة فقط ؛ لأنَّ هذه الأفعال لها أوزان محددة يُعرف بها معنى الفعل , وما يفيده من غرض كالكثرة أو الطلب أو المشاركة , أو غير ذلك مما ذكره الصرفيون في كتبهم . فمعنى الفعل المزيد يتحدد من خلال أحرف الزيادة , وما تدل عليه .

أما الأفعال المجردة فمعانيها كثيرة متشعبة ، ولا يمكن الاهتداء اليها من خلال أوزانها كما في المزيد ؛ لأنَّ معنى الفعل المجرد غالباً ما يرتبط بلفظه لا بصيغته , مثال ذلك أنَّ (فَعل) بفتح العين في الماضي ، وتثليثها في المضارع , يأتي لمعاني يتعذر حصرها لكثرتها ، وليس بالمستطاع تغليب أحد هذه المعاني على الآخر[٤٩٨]. مما يجعل دراسة هذه الأوزان مجردةً عن لفظ الفعل بعيدةً عن الفائدة , لو شئنا معرفة معاني الأفعال التي جاءت على الأوزان المجردة لما أمكننا ذلك إلا بالعودة الى كل فعل وفهم ما يدل عليه لفظه , وهذا أمر يطول مقامه , ويجهد عمله ، وقد تكفلت به المعجمات العربية .

والأفعال الثلاثية المزيدة على ثلاثة أقسام : المزيدة بحرف واحد , والمزيدة بحرفين , والمزيده بثلاثة أحرف , وسنبحث ذلك تباعاً إنْ شاء الله تعالى .

أولاً : دلالة الفعل المزيد بحرف واحد , ويأتي على ثلاثة أوزان :

١- **أَفْعَلَ يُفْعِل** ، والأمر منه أفْعِلْ , ذكر له الصرفيون معاني عدة[٤٩٩] , منها :

أ- التعدية :

---

[٤٩٨]- ض الكتاب ٢/٢١٤ – ٢١٥ , و المفصل في علم العربية للزمخشري : ٢٧٧, وشرح الشافية١ /١٩-٢٠.

[٤٩٩]- لمعرفة هذه المعاني ظ الكتاب٢ /٣٣٠-٣٣٧ ، وشرح الشافية ١/٨٣-٩٠ ، وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، د. عصام نور الدين: ٢٠٣-٢٠٧ .

وهي أشهر معاني هذا الوزن , حتى عُرفت الهمزة في أول الفعل بهمزة التعدية , وعدَّ ابن هشام نقل الفعل اللازم الى المتعدي بهذه الهمزة أمراً قياسياً[٥٠٠] ، نحو : أذْهَبْتُ زيداً , أي جعلته ذاهباً , وكذلك أجْلسته وأخْرجته . وتدخل هذه الهمزة على الفعل المتعدي إلى مفعولٍ واحدٍ فتجعله متعدياً الى مفعولين نحو: أحْفرْتُ زيداً النهرَ , أي : جعلته حافراً له .

ومن ذلك ما جاء على صيغة الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾(النمل:٥٦) ، فالفعل (أخْرجوا) تعدى بالهمزة , وأصله خرج ، وكذلك قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾ (غافر:٤٦) ، أي : ((يُقال لخزنة جهنم أدخلوهم))[٥٠١]. ومما جاء فيه الفعل متعدياً إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(لبقرة:٢٠١) وأصل الفعل أتى , وهو متعدٍ إلى مفعول واحد .

ب- الجعل والصيرورة :

نحو : أهديتُ الشيء , أي : جعلتُه هديةً أو هدياً , وكذلك أغد البعير , صار ذا غدة , وأطفلت المرأة , صارتْ ذاتَ طفل , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾(يوسف:٢١) أي : ((اجعلي محل إقامته كريماً مرضياً والمعنى أحسني تعهده))[٥٠٢] , وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** ﴾(الأعراف:١١٧). فالهمزة هنا لجعل الشيء على صفة معينة , ((فمعنى ألقيت الشيء : جعلته لقياً , واللقي فُعْل بمعنى مفعول))[٥٠٣].

ج_ أنْ يكون بمعنى (فَعَلَ) :

نحو : شغلته وأشغلته , وشكل الأمر وأشكل , ومنه قوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ**

---

[٥٠٠]- ظ مغني اللبيب ٢ /٦٧٨ .
[٥٠١]- الكشاف ٤ / ١٦٦.
[٥٠٢]- تفسير أبي السعود ٤ /٢٦٢ .
[٥٠٣]- البحر المحيط ١ /

وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾(المائدة: ١)[٥٠٤] ، قال الزمخشري : ((يُقال وفي بالعهد و أوفى))[٥٠٥] ، وجاء في اللسان ((إنما يُقال أوفيت بالعهد ووفيت بالعهد . وكل شيء في كتاب الله تعالى من هذا فهو بالألف))[٥٠٦]. ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾(الأنفال:٢٠)[٥٠٧]. وذكروا أنَّ من العرب من يستعمل طاع بمعنى أطاع[٥٠٨] , ولم يأت في القرآن الكريم إلا أطاع[٥٠٩].

واختلفوا في (أجمع) في قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ** ﴾(يونس:٧١). فذكر القرطبي أنَّ العامة قرأت (فأجمعوا) بالهمزة , وقُرئ (فاجمعوا) بدون همزة , ثم قال: ((ويجوز أنْ يكون جمع وأجمع بمعنى واحد))[٥١٠] , ويؤيد هذا ما جاء في اللسان ((وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : عزم عليه كأنَّه جمع نفسه له))[٥١١]. وجعله ابن كثير بمعنى (افتعل) ، ((أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن))[٥١٢] .

د- دخول الفاعل في حدث الفعل :

نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾(فصلت:٣٠) , وأبشَّر بمعنى دخل في البشارة [٥١٣], ومنه قوله جل وعلا: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ**

---

[٥٠٤]- ظ الأنعام : ١٥٢ , والأعراف: ٨٥ , وهود: ٨٥.
[٥٠٥]- الكشاف ٥٨٨/١.
[٥٠٦]- اللسان ٨/ ٨١٥ (وفى)
[٥٠٧]- ظ النور :٥٦.
[٥٠٨]- ظ اللسان ٥ / ٢٢٠ (طوع)
[٥٠٩]- ظ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن :٥٨٢- ٥٨٣ .
[٥١٠]- الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٣٢.
[٥١١]- اللسان ٥ / ٥٢ (جمع) .
[٥١٢]- تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦٦.
[٥١٣]- ظ الكشاف ٣ / ١٧٠.

﴿ **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(البقرة:١٣١) , والمعنى: ادخل في الإسلام , والمقصود بالإسلام هنا الطاعة والخضوع [٥١٤] .

هـ - السلب والإزالة :

نحو : أشكيته , أي: أزلت شكايته , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾(الحجرات:٩). حيث جاء بالفعل (أقسطوا) , ((والقسط – بالفتح- : الجور من القسط : وهو اعوجاج في الرجلين . وعودٌ قاسط : يابس . وأقسطته الرياح . وأما القِسْط بمعنى العدل , فالفعل منه : أقسط وهمزته للسلب , أي أزال القسط وهو الجور))[٥١٥] .

و- التعريض:

ويُقصد به أنْ يجعل الفاعلُ المفعولَ معرضاً لأصل الفعل , سواءً صار مفعولاً له أم لا , نحو: أقتلته , أي :عرَّضته للقتل , سواءً قتل أم لم يُقتل , وكذلك أبعته , عرَّضته للبيع , ومنه قوله تعالى :﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً** ﴾(النساء:١٦). قال الزمخشري: ((فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما: أما استحييتما , أما خفتما الله))[٥١٦] ، وعلى هذا يكون المعنى عرضوهما للأذى بواسطة قولكم هذا , سواءً آذاهما أم لم يؤذهما , والله العلم .

ز- مواجهة الفاعل غيرَه بجانب جسمه الذي أشتُق منه الفعل :

وهذا المعنى ذكره الدكتور صباح عباس السالم[٥١٧] , ومنه قوله تعالى:﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً** ﴾(النساء: ٦٣)[٥١٨] .قال الراغب: ((أعرض : أظهر عرضه . أي ناحيته

---

[٥١٤]- ظ الكشاف ١ / ١٩٠ .
[٥١٥]- الكشاف ٤ / ٣٥٦ ، و ظ المفردات : ٦٧٠.
[٥١٦]- الكشاف ١ / ٤٧٧ .
[٥١٧]- ظ الأبنية الصرفية في ديوان امرىء القيس : ٣٠٦ .
[٥١٨]- وظ الأنعام : ٦٨ .

(...) وإذا قيل : أعرض عني : فمعناه ولى مبدياً عرضه))[٥١٩]. وقال الزمخشري : ((الإعراض عن الشيء أنْ يوليه عرض وجهه))[٥٢٠] .

هذه أهم الأغراض التي أفادها (أفْعِل) في القرآن الكريم .

٢- فَعَّل يُفعِّل ، والأمر منه فَعِّل ، وله معانٍ عدة[٥٢١] ، اشترك في بعضها مع (أفْعِل) , وأهم هذه المعاني :

أ- التكثير والمبالغة:

وهو المعنى الغالب في هذا البناء , كذبَّحتُ الغنم , وغلَّقت الأبواب , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً** ﴾ (الأحزاب:٤٧) ، وبشِّر هنا للتكثير[٥٢٢] , ومثله قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ (الأنبياء:٦٨) ، فالفعل (حرِّق) زيادة في الحرق .

ب- التعدية:

نحو فرَّحته , وقدَّمت الخير . ومنه قوله تعالى:﴿ **وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً** ﴾(الإسراء:١١١), وتعدية الفعل هنا أفادت تعظيم الله تعالى[٥٢٣] . ومثله قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ (إبراهيم:، والمعنى: ((أنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم: قوم نوح وعاد وثمود))[٥٢٤].

ج - السلب والإزالة :

نحو : قذَّيت عينه , أزلت قذاها , ومرَّضته : قمت عليه في مرضه ووليته , ومنه قوله جل وعلا: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴾(آل:عمران: ١٩٣)، وتكفير الأثم:

---

[٥١٩]- المفردات : ٥٥٩ .
٥- ظ الكشاف ٢ / ٦٦٢.
٦- ظ الكتاب ٢ / ٢٣٥-٢٣٧ ، وشرح الشافية ١ / ٩٢-٩٥ , وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: ٢٠٨-٢١٠ .
٧- ظ المفردات: ١٢٥ .
٨- ظ المفردات : ٦٩٨ .

١- الكشاف ٢ / ٥١٨.

((ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يُعمل , ويصح أنْ يكون أصله إزالة الكفر والكفران , نحو : التمريض في كونه إزالة للمرض , وتقذية العين في إزالت القذى عنه))[٥٢٥].

د- بمعنى (أفْعِل) :

وهذا المعنى لم نجده في كتب الصرفيين السابقة منه قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً** ﴾(الطلاق:١)

جاء في المفردات ((أصل الطلاق : التخلية من الوثاق , يقال: أطلقت البعير من عقاله , وطلقته ، وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير: طلقت المرأة , نحو:خليتها فهي طالق , أي : مخلاة عن حبالة النكاح))[٥٢٦].

هـ- الجعل والصيرورة :

نحو: روَّض المكان , أي: صار روضاً , وعجَّزت المرأة , أي :صارت عجوزاً , ومن المتعدي قولهم: ((سبحان الذي ضوَّء الأضواء, وكوَّف الكوفة ، وبصَّر البصرة ، أي:جعلها أضواءً وكوفةً وبصرةً))[٥٢٧] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾(الكهف:١٠). أي: اجعل أمرنا ((الذي نحن فيه من مفارقة الكفار (راشد) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين ، أو اجعل أمرنا رشداً كله . كقولك : رأيت منك أسداً))[٥٢٨]. وقال ابن كثير((قدِّر لنا أمرنا رشداً ،أي : اجعل عاقبتنا رشداً))[٥٢٩].

و- الدعاء للمفعول بأصل الفعل :

نحو: سقَّيته , أي قلت له : سقيا لك : أو سقاك الله ،ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾

٢- المفردات : ٧١٧.

٣- المفردات: ٥٢٧.
٤- شرح الشافية ١ / ٩٥.
٥- الكشاف ٢ / ٦٧٨.
٦- تفسير ابن كثير ٣ / ٨٢.

(النساء:٨٦). ومعنى التحية ((أنْ يقال حياك الله , أي : جعل لك حياةً , وذلك إخبار , ثم يُجعل دعاء . ويقال حيَّا فلانٌ فلاناً تحيةً إذا قال له ذلك ، وأصل التحية من الحياة , ثم جُعل ذلك دعاء تحية , لكون جميعه غير خارج عن حصول التحية))[٥٣٠]

ز- بمعنى فَعَل:

نحو قوله تعالى: ﴿ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾(المزمل:٤) فرتل هنا بمعنى فَعَل المجرد ، فهي ((ليست دالة على كثرة القراءة , وإنما المراد بها أنْ تكون القراءة على هيئه التأنِّي والتدبُّر , وسبب ذلك أنَّ هذه اللفظة لا ثلاثي لها , حتى تنقل عنه إلى الرباعي , وإنَّما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة))[٥٣١].

وقيل في معنى الرتيل ((ترسَّل فيه ترسُّلاً ، عن مجاهد . وقيل : معناه تثبَّت فيه تثبُّتاً ، عن قتادة . وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في معناه أنَّه قال : بيِّنه بياناً ، ولا تهذه هذ الشعر ، ولا تنثره نثر الرمل ، ولكن إقرع به القلوب القاسية ، ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا مررتَ بآية فيها ذكر الجنة ، فاسأل الله الجنة ، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار ، فتعوذ بالله من النار . وقيل : الترتيل هو أن تقرأ على نظمه وتواليه ، ولا تُغيِّر لفظاً ، ولا تقدِّم مؤخراً ، وهو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت وحسن انتظامها ، وثغر رتل إذا كانت أسنانه مستوية ، لا تفاوت فيها . وقيل : رتَّل معناه ضعَّف . والرتل : اللين ، عن قطرب ، قال : والمراد بهذا تحزين القرآن أي : اقرأه بصوت حزين))[٥٣٢]

٣- فاعَل يُفاعِل: والأمر منه فاعِل , ومما ذكر له من معاني هي [٥٣٣]:

أ- المشاركة:

وهي المعنى الغالب لهذه الوزن ، نحو قولهم : ضاربَ زيدٌ عمراً , فيكون كلٌ من زيدٍ وعمرٍ فاعلاً من جهة , ومفعولاً به من جهة أخرى , بمعنى أنَّ كلاً منهما ضرب الآخر

١- المفردات:٢٧٠ .
٢-المثل السائر٢/٢٥٦.
٥٣٢- مجمع البيان ١٠ / ١٧٨.
٤- ظ الكتاب٢ / ٢٣٨ -٢٣٩، وشرح الشافية ١ /٩٦-٩٩. وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب:٢١١-٣٢١٢-

, وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾(التوبة:٢٩) ، فالمقاتلة من الطرفين , ومنه قوله جل وعلا: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل:١٢٥) ، أي: جادلهم ((بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين , من غير فظاظة ولا تصنيف))[٥٣٤] ، والجدال والمجادلة ((المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة))[٥٣٥]

وجعل الرازي منه قوله تعالى : ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ (البقرة:٢٣٨), وفُسر ذلك على ((وجهين أحدهما: أنَّ هذه المحافظة تكون بين العبد وربه , كأنَّه قيل له : احفظ الصلاة ليحفظك الآله الذي أمرك بالصلاة وهذا كقوله :﴿ اذكروني أذكركم ﴾ وفي الحديث ((احفظ الله يحفظك)) , والثاني: أنْ تكون المحافظة بين المصلي والصلاة كأنه قيل : احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة))[٥٣٦].

وذهب أغلب المفسرين الى أنَّ (حافظوا) هنا أفادت المتابعة والمداومة والمواظبة على إقامة الصلوات في أوقاتها والالتزام بشروطها[٥٣٧] , وذهب أبو حيان إلى أنها للمبالغة[٥٣٨] ، وبذلك قال ابن عاشور[٥٣٩].والتتابع والمبالغة من معاني هذه الصيغة التي سنذكرها لاحقاً.

ب- المبالغة والتكثير بمعنى(فعَّل) :

نحو قولهم : ضاعفته وضعَّفته , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين**﴾ (آل عمران:١٣٣) ، فصيغة المفاعلة هنا ((قصد بها المبالغة في طلب الإسراع , والعرب تأتي بما يدل في الوضع على تكرر الفعل وهم يريدون تأكيد المبالغة دون التكرير))[٥٤٠]

١- الكشاف ٢/ ٦١٩

٢- المفردات: ١٨٩ .

٣- التفسير الكبير ٦ / ٤٨٣ ، وظ المنار ٢ /٤٣٦-٤٣٧.

٤- ظ مجمع البيان ١ / ٣٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٣٨ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٣٥ ، ومواهب الرحمن ٨٢/٤.

٥- ظ البحر المحيط ٢ /٢٤٦

٦- ظ التحرير والتنوير ٢ /٤٦٦ .

٧- التحرير والتنوير ٤ / ٨٩.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ (الحديد:٢١) ، بمعنى ((سارعوا مسارعة السابقين لأخوانهم في المضمار))[٥٤١] فالمسابقة تضمنت السرعة وزيادة .

ج- بمعنى أفعِلْ :

نحو قولهم : راعنا سمعك ,: أي اجعله ذا رعاية لنا , ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (البقرة:١٠٤)

د- نسبة المصدر الموافق للفعل الى المفعول:

نحو : عافاك الله , أي : جعلك ذا عافية , وعاقبتُ فلان , أي : جعلته ذا عقوبة , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾ (النحل:١٢٦)

هـ- المتابعة والاستمرارية:

نحو: ((تابع زيد السير , أي: استمر فيه ولم يتوقف))[٥٤٢]، ومنه قوله تعالى ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (لقمان:١٥). أي صاحبهما ((صحابا , او مصاحباً معروفا حسنا بخلقٍ جميل وحلم واحتمال وبر وصلة . وما يقتضيه الكرم والمروءة))[٥٤٣] , و هذه كلها تؤكد متابعة هذا العمل والاستمرار فيه طيلة مدة حياتهما .

و- بمعنى (فَعَل) :

١- الكشاف ٤٦٦/٤ ، وظ تفسير أبي السعود ٨ / ٢١١.
٢- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب : ٢٨٢
٣- الكشاف ٣ / ٤٧٩ .

نحـو سـافرت بمعنـى سفرت , أي : خرجت للسفر , ومنـه قولـه جـل وعـلا :﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾ (الإسراء:٦٤) وشركه , و شاركه بمعنى واحد[٥٤٤].

هذه أهم الأغراض والمعاني والتي أفادتها الصيغ (أفْعل , فعَّل , فاعل), ونلاحظ أنَّ أكثر هذه المعاني جاءت مشتركة بين هذه الصيغ , وأحياناً تُستعمل إحداها بدل الأخرى .

ثانياً: دلالة الفعل المزيد بحرفين , وهو على أربعة أوزان هي:

١- انْفَعَل ينْفعِل:

والأمر منه انْفَعِل , وهذا الوزن لا يأتي إلا لازماً , وغالباً ما يكون مطاوعاً للفعل الثلاثي المتعدي , نحو كسرته فانْكَسَر , ود فعته فاندفع , شريطة أنْ يكون الفعل من أفعال العلاج والتأثير ؛ لأنَّ المطاوعة تعني قبول الأثر , ولا بد لهذا الأثر أنْ يظهر ويبدو للعيان كالكسر والضرب والقطع والجذب وغيرها , ولا يكون ذلك في الفعل غير العلاجي , الذي لا يبدو أثر مطاوعته للعيان ، كعلم وفهم , فلا يقال : انعلم وانفهم[٥٤٥] .

ولم يأت في القرآن الكريم على وفق هذه الوزن بصيغة الأمر إلا فعلٌ واحد تكرر مرتين في سورة واحدة ، وهو الفعل (انطلقوا) في قوله تعالى:﴿ **انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ**﴾ (المرسلات ٢٩-٣٠) ، وهو مطاوع (طلق) , ((أي يقال لهم : انطلقوا إلى ما كنتم به من العذاب , وانطلقوا الثاني تكرير , وقُرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخباراً بعد الأمر عن عملهم بموجبه , لأنَّهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعاً منه))[٥٤٦].

وذهب أحد الباحثين إلى أنَّ الأفعال الأمرية (انتهوا , انتظر, انتشر , انتصر) التي وردت في القرآن الكريم على وزن (انفعل)[٥٤٧] . والصواب أنها على وزن (افتعل) , فأصول هذه الأفعال هي :(نهى , نظر , نشر، نصر) وقد زيدت الألف في

٤- ظ المفردات :٤٥١.

١- ظ الكتاب ٢ / ٠٢٣٨, وشرح الشافية ١ / ١٠٨, وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب :٢٢٢.

٢-الكشاف ٤ / ٦٦٧.

٣- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم: تقي محمد علي الطحان : ٤٦.(رسالة ماجستير، جامعة القاهرة)

أولها، والتاء بعد الحرف الأول منها , أما وزن (انفعل) فالزيادة تكون ألف ونون في بداية الفعل .فنون هذه الأفعال المذكورة من أصل الفعل وليست مزيدة .

٢- افْتعَلَ يفتَعِل : والأمـر منـه افتَعِلْ , وهو لازم ومتعد , نحـو : اكتسب وافتقر , وأهم معانيه هي[٥٤٨]:

أ- مطاوعة (فَعَلَ):

سواء كـان مـن الأفعـال العلاجيـة أم مـن غيرهـا , نحـو : جمعتـه فـاجتمع , وغممتـه فـاغتم , ومطاوعـه (انْفَعَلَ) نحـو : انصفته فانتصف , ومن قولـه تعـالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُـلْ هُـوَ أَذًى فَـاعْتَزِلُوا النِّسَـاءَ فِـي المَحِيـضِ وَلاَ تَقْرَبُـوهُنَّ حَتَّـى يَطْهُـرْنَ فَإِذَا تَطَهَّـرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِـنْ حَيْثُ أَمَـرَكُـمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّـرِينَ**﴾(البقرة:٢٢٢) ،أي : اجتنبوهن فـي المجامعة[٥٤٩] , ومثل قوله جل وعلا : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِـنكُمْ وَمَـا آتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَـهَاكُمْ عَنْـهُ فَانتَـهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَـابِ**﴾(الحشر:٧)، فانتهى مطاوع نهى ، وكلا الفعلين مذكور في الآية الكريمة .

ب- الاتخاذ :

وهو أنْ يتخذ الفاعل ما يدل عليه الفعل , شريطة أنْ لا يكون المدلول عليه مصدراً , نحـو : اشتويت اللحم , أي : اتخذتـه شواءً , واختبز الخبز، منـه قولـه تعـالى :﴿ **رَّبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً** ﴾(المزمل:٩) , وكذلك قوله عز من قال :﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾(الأنعام:٩٠)، أي : فاتخذ هداهم قدوةً لك , و((اختصْ هداهم بالاقتداء , ولا تقتدِ إلا بهم ، وهذا معنى تقديم المفعول , والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين))[٥٥٠]

ج- التصرف والاجتهاد في تحصيل الفعل :

٤- ظ الكتاب ٢ / ٢٣٨-٢٣٩ , وشرح الشافية ١ / ١٠٨-١١٠، وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب : ٢٢٣-٢٢٦.
١- ظ الكشاف ١ / ٠٢٦٢
٢- الكشاف ٢ / ٤١.

نحو : اكتسب واعتمل , ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ**﴾ (النحل:٣٦) ، واجتناب الطاغوت لا يكون إلا بجد واجتهاد في جهاد النفس وكبح جماح شهواتها والتغلب عليها , وعلى ذلك قوله جل وعلا:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة:٨) , وتقوى الله تعالى تكون بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه , وهذا لا بد له من عمل وتصرف لتحقيقه.

د- الاشتراك بمعنى (تفاعَلَ) :

أي : الاشتراك في الفاعلية لا في المفعولية, نحو : اجتوروا واختصموا ، بمعنى : تجاوروا وتخاصموا ، ومنه قوله تعالى :﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى**﴾ (الطلاق:٦) , قال الزمخشري : ((الائتمار بمعنى التآمر، كالاشتوار بمعنى التشاور . يقال ائتمر القوم وتآمروا , إذا أمر بعضهم بعضاً. والمعنى : وليأمر بعضكم بعضاً , والخطاب للآباء والأمهات))[٥٥١].

وعلى ماتقدم قوله جل وعلا: ﴿ **لِكُلٍّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (البقرة:١٤٨) ، فالفعل ((استبق بمعنى تسابق , فهو يدل على الاشتراك))[٥٥٢].

هـ- التكثير والمبالغة :

نحو: اقتدر بمعنى بالغ في القدرة , ومن قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الأعراف:٢٠٤) . فاستمعوا دل على المبالغة في الفعل[٥٥٣] , وقال الشيخ محمد رشيد رضا ((والاستماع أبلغ من السمع ولأنَّه إنما يكون بقصد ونية وتوجيه الحاسة إلى الكلام لادراكه ، والسمع ما يحصل ولو بغير قصد))[٥٥٤]،

١- الكشاف ٤ / ٥٤٦ – ٥٤٧ , وظ التحرير والتنوير ٢٨ / ٣٢٩.
٢- البحر والمحيط ١ / ٤٣٩.
٣- ظ التحرير والتنوير ٩ / ٢٣٩.
٤- المنار ٩ / ٥٥٢.

ويُفهم من كلام الشيخ أنَّ (فاستمعوا) عنده أفاد معنى التصرف والاجتهاد في تحصيل الفعل , ويمكن الجمع بين المعنيين ، فيكون المقصود الإكثار من سماع القرآن بقصد ونية وتفكر وتدبر . وجعل ابن عاشور منه قوله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدَ وَلاَ آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾ (المائدة من آية:٢) ، قال : ((فاصطاد في كلامهم مبالغة في صاد))[٥٥٥].

و- الطلب :

أي : طلب الحصول على المفعول , نحو قوله تعالى :﴿ **يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ**﴾ (الحديد:١٣). والتمسوا هنا((طرد لهم وتهكم بهم , أي : ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أُعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك))[٥٥٦]. ومنه قوله جل وعلا: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ**﴾ (القصص:٧٧). فابتغ بمعنى ((أنْ تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه , وتجعله زادك))[٥٥٧].

ز- بمعنى الفعل الثلاثي المجرد :

لأنَّه غير مستعمل , نحو : ارتجل الخطبة : ومنه قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.**﴾ (الممتحنة:١٠) .فامتحن بمعنى محن ؛ لأنَّ محن غير مستعمل .

٥- التحرير والتنوير ٦ / ٨٥.
٦- الكشاف ٤ / ٤٦٣.
٧- الكشاف ٣ / ٤١٦.

٣- تفاعَلَ يتفاعَلَ : والأمر منه تفاعَلْ , وذكر له الصرفيون معاني عدة كالمطاوعة والتكلف والتدرج في حصول الفعل وغيرها[٥٥٨] , ولن يأتي ما يدل على الأمر في القرآن الكريم وفق هذه الصيغة إلا ثلاثة أفعال هي : (تعاونوا) في قوله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (المائدة من آية:٢) ، وأفاد المشاركة ، ((أي ليعنْ بعضكم بعضاً وتحاثوا على أمر الله تعالى واعملوا به , وانتهوا عما نهاكم عنه وامتنعوا منه))[٥٥٩]

و(تقاسموا) في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ (النمل:٤٩) ، وأفاد المشاركة في القسم – إنْ كان أمراً – لأنَّه يجوز أنْ يكون ماضياً في معنى الحال كأنَّه قال : قالوا متقاسمين بالله))[٥٦٠].

و(تناجوا) في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ (المجادلة:٩) وقد أفاد المشركة أيضاً، أي : ليناج بعضكم بعضاً بالبر والتقوى ، لا بالأثم والعدوان .

هذه الأفعال التي جاءت على وزن (تفاعَلْ) في القرآن الكريم , ونلحظ أنَّها دلت على المشاركة ، وأنَّها جاءت مسندة إلى ضمير جماعة الذكور .

أما (تعالَ) فجاءت في ثمانية مواضع , اسندت إلى واو الجماعة في سبعة منها , واسندت في الموضع الثامن إلى نون الإناث[٥٦١] , وقد اختلف النحاة في هذه الصيغة, فذهب أكثرهم إلى أنَّها فعل أمر , لدلالتها على الأمر , وقبولها يا المخاطبة[٥٦٢] , وأنَّ أصل (تعالوا) تعاليوا , فأُبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حُذفت هذه الألف لسكونها والتقائها مع ساكن أخر هو واو الجماعة ، فأصبحت تعالوا بفتح اللام دلالةً على حذف

١- ظ الكتاب ٢ / ٢٣٨-٢٣٩ ، وشرح الشافية ١ / ٩٩- ١٠٣ ، وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ٢١٢-٢١٧.
٢- الجامع لأحكم القرآن ٦ / ٣٣.
٣- الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٤٣ ، وظ الكشاف ٣ / ٣٦٠.
٤- ظ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:.٦٣٩
٥- ظ شرح قطر الندى ٣١-٣٢ ، وشرح الأشموني ٣ /٢٠٥ ، وحاشية الصبان ٣ / ٣٠٤.
١- ظ حاشية الصبان ٣ / ٣٠٤.

الألف[٥٦٣] . وأنَّها كانت في أصل استعمالها تدل على العلو والارتفاع , ثم توسِع في ذلك الاستعمال حتى أصبحت تدل على طلب الإقبال والاقتراب كيفما كان[٥٦٤].

وذهب آخرون - منهم الزمخشري - الى أنَّها اسم فعل[٥٦٥].

والارجح أنَّها فعل متصرف وليس بجامد ، ولكنه تطور دلالياً , فاقتصرت دلالته في حالتي الماضي والمضارع على العلو والارتفاع , وهو الأصل الذي استُعمل له , ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (الأنعام:١٠٠). فجاء بلفظ الماضي ، وقد أفاد معنى العلو والارتفاع المعنوي تنزيهاً لله سبحانه أنْ يكون له شركاء أو ذرية كما يصف الكافرون , أما بلفظ المضارع فنقول : (أهل العلم لا يتعالون على طلابه) و(تتعالى منزلة المرء في طلب العلم) , أما في الأمر فإنَّه لا يكون بهذا المعنى , إنَّما يكون بمعنى : اقربْ وادنُ , وهذا ما نلاحظه في الآيات الكريمة التي جاء فيها هذه الفعل بصيغة الأمر. ويكون بمعنى(فَعَل) الثلاثي ؛ لأنَّه غير مستعمل.

٤- تَفعَّل يتَفعَّل , والأمر منه تَفَعَّلْ وله معانٍ عدة منها[٥٦٦]:

أ ــ المطاوعة:

وتأتي للتكثير نحو: قطَّعته فتقطَّع , وكسَّرته فتكسَّر . وللنسبة نحو: قيَّسته فتقيَّس , ونزَّرته فتنزَّر , أي: نسبته الى قيس والى نزار .وللتعدية نحو : علمته فتعلم ، ومن ذلك (تيمَّمْ) في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُواً غَفُورا**ً﴾ (النساء من الآية:٤٣) . و(تفسَّحْ) في قوله جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة:١١). بمعنى((توسعوا فيه وليفسح بعضكم لبعض ، من قولهم : افسحْ عني , أي : تنح))[٥٦٧].

٢- ظ مجمع البيان ١٣ / ١٤٣.

٣- ظ شرح شذوذ الذهب: ٢٢، وشرح قطر الندى: ٣١ ، وشرح الأشموني ٣ /٢٠٥.

٤- ظ كتاب ٢ /٢٤٠-٢٤١ , وشرح الشافية ١ / ١٠٤-١٠٧ ، وأبنية الفعل في شافية ابن الحجب:٢١٧-٢٢٠.

٥- الكشاف ٤ / ٤٧٩ , وظ البجر المحيط ٨ / ٢٣٦ .

ب- الاتخاذ:

نحو: توسد ثوبه ، أي : اتخذه وسادةً , ومنه قوله تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ (البقرة:١٩٧) .أي: ((اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإنَّ خير الزاد اتقاؤها))[٥٦٨]. وكذلك قوله تعالى :﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ** ﴾(الانفال :٦١). والمعنى: اتخذه وكيلاً واعتمده. وقوله عز من قائل: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس٨٧) .وقولهم: ((تبوأ المكان : اتخذه مباءة ، كقولك : توطنه , إذا اتخذه موطناً))[٥٦٩].

ج- التكلف :

نحو : تشجَّع وتصبَّر, ومعنى التكلف أنَّ الفاعل يعاني في تحصيل الفعل , ويجتهد في زيادته[٥٧٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿ **اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ (النمل:٢٨). والمعنى : ((تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ، ليكون ما يقولونه بمسمع منك))[٥٧١] , ومثله قوله جل وعلا: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ** ﴾ (يوسف:٨٨)، فتصدق بمعنى: تكلف في زيادة عطائنا.

د- التدرج في عمل الفعل:

نحو: تجرَّعَ الماء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾ (المزمل:٨) . أي تدرج في طاعة الله تعالى حتى تصل الى الانقطاع له عما سواه , وكذالك قوله تعالى:﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾ (يوسف:٨٧).

١- الكشاف ١ / ٢٤١.
٢- الكشاف ٢ / ٣٥١.
٣- ظ أبنية الفعل في شافية ابن الحجب :٢١٨.
٤- الكشاف ٣ /٣٥١.

هـ- بمعنى استفعل:

نحو : استكبر وتكبَّر , ومنه قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ (النساء:٩٤) . فتبينوا في كلا الموضعين جاءت بمعنى ((الاستفعال , أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية))[٥٧٢] . ومنه قوله جل وعلا : ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾ (هود:٦٥). أي: استمتعوا بالعيش , وهو أمر أفاد التهديد .

و- التجنب بمعنى الإزالة:

نحو : تحرَّج وتأثَّم , أي :تجنب الأثم و الحرج ، وهو مطاوع فَعَّلَ الذي للسلب , ومنه قول تعالى : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾ (الإسراء:٧٩) . قال أبو حيان : ((وتهجَّد هنا تفعَّلْ بمعنى الإزالة والترك كقولهم :تأثم وتحنَّث , ترك التأثم والتحنث))[٥٧٣].

ز- بمعنى (فَعَلَ) :

نحو: تظلمني بمعنى ظلمني , ومنه قوله تعالى ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ (آل عمران:٣٥) . فجاء(((تقبَّلْ) هنا بمعنى (اقبلْ) فهو مما تفعل فيه معنى الفعل المجرد))[٥٧٤].

ثالثاً: دلالة الفعل المزيد بثلاثة أحرف ، ولم يأت في القرآن الكريم بصيغة الأمر إلا وزن واحد هو (استفعل) ، ويأتي لعدة معانٍ هي[٥٧٥] :

أ- الطلب والسؤال:

١- الكشاف١ /٥٤٠-٥٤١ .
٢- البحر المحيط ٦ / ٧١.
٣- البحر المحيط ٢ / ٤٣٧ .
٤- ظ الكتاب ٢ / ٢٣٩- ٢٤١ ، وشرح الشافية ١/١١٠-١١١ ، وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب : ٢٢٦ – ٢٢٨.
٥- التحرير والتنوير :٢٤ / ١٧٠-١٧١.

نحو : اسْتكتَبْته ، أي: طلبت منه الكتابة , واستخرجت الوتدَ , أي: طلبت إخراجه ، وهنا الطلب ليس صريحاً يجاب ؛ لأنَّ المعنى مازلت اتلطف معه واجهد نفسي في إخراجه حتى خرج , أي : طلبت خروجه بعملي وسعيٍ لذلك . ومنه قوله تعالى﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (الأعراف:١٢٨). فاستعينوا بمعنى اطلبوا العون من الله تعالى , وعلى ذلك قوله عز من قائل : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ (غافر:٥٥). و الاستغفار هنا ((أنْ يطلب من الله تعالى المغفرة التي اقتضتها النبوَّة , أي اسأل الله دوام العصمة لتدوم المغفرة))[٥٧٦]. ومثله قوله جل وعلا :﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**))(هود:١١٢). فاستقم ((هنا للطلب , أي : اطلب الاقامة على الدين))[٥٧٧].

ب- الاتخاذ:

نحو: استلأم الرجل , أي لبس اللأمة , وهي عدة الحرب , ومنه قوله تعالى ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ (القصص:٢٦). أي : اتخذه أجيراً.

ج-بمعنى أفْعِلْ:

نحو : استخلف لأهله , وأخلف , ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ (البقرة:٢٨٢). أي : أشهدوا شهيدين من رجالكم ، ويجوز أنْ يكون بمعنى الطلب ، أي : اطلبوا شهادتهم[٥٧٨]. ومثله قوله جل علا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة:١١١). فاستبشروا هنا ((بمعنى أفعِلْ كاستوقد وأوقد))[٥٧٩].

د- بمعنى تفعَّلْ:

١- البحر المحيط ٥ / ٢٦٨.
٢- ظ البحر المحيط ٢/ ٣٤٥ .
٣- البحر المحيط ٥ / ١٠٣ .

نحو: استيقن , أي : تيقَّن , ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (الزخرف:٤٣). والمعنى : ((كن مستمسكاً بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنَّه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي))[٥٨٠].

هذه الأوزان المزيدة التي جاءت عليها أفعال الأمر في القرآن الكريم ، أما بقية الأوزان فلم ترد في القرآن الكريم بصيغة الأمر , وقد لاحظنا تداخل دلالة هذه الأوزان مع بعضها, ومجيء أحدها بمعنى الآخر , وربما جاءت بمعنى (فعل) المجرد . وهذا ما لا يطمئن اليه الباحث , فزيادة المعنى لا بد أنْ تصحبها زيادة في المعنى , ولا سيما في القرآن الكريم الذي أخذ كل حرف فيه موضعه الذي لا يصلح لغيره , وربما خفي عنا معنى الزيادة والتبس علينا فظننا أنَّ الفعل المزيد بمعنى المجرد , وهذا لا يكون إلا في حالة عدم استعمال الفعل المجرد , فيكون المزيد بمعناه , كما رأينا في (رتِّل , وتعالى) , أما في غير ذلك فلا يصح .

دلالة اسم الفعل

حد النحاة أسماء الأفعال بأنَّها((ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها , وفي عملها))[٥٨١] , وهي أما موضوعة وتسمى المرتجلة ، ويقصدون بها ما وضعت أساساً على حالها هذه ، نحو: صهٍ ومهٍ , وأما منقولة , وهذه على نوعين : ما نُقل عن ظرف أو جار و مجرور نحو: دونك وأمامك , وإليك وعليك , وما نُقل عن المصدر نحو : رويدك وبله[٥٨٢].

وسبب هذه التسمية – كما يقول النحاة – أنَّ هذه الألفاظ وافقت الأسماء في بعض خصائصها , وخالفتها في بعضها الآخر , وكذلك حالها مع الأفعال . فوافقت الأسماء في قبولها التنوين نحو : صهٍ ومهٍ , والجمع نحو : هيهات , والإضافة نحو : دونك ومكانك , والألف واللام نحو: النجاءك ، فهو اسم فعل بمعنى (انجُ) والتصغير نحو: رويدك[٥٨٣] .

٤- الكشاف ٤ / ٢٤٧.
١- شرح ابن عقيل ٣ / ٢٠٣.
٢- ظ أوضح المسالك ٣ / ١١٨-١١٩ , وشرح التصريح ٢ / ١٩٧-١٩٨.
٣- ظ الخصائص ٣ /٤٤-٤٥.

وخالفتها في أنَّها لا محل لها من الإعراب , وإنْ التمس النحاة لذلك الأعذار , لكنها ليست بشيء[٥٨٤].

ووافقت الأفعال في معناها وعملها , ودلالتها على الحدث والزمان[٥٨٥] .وخالفتها في عدم قبولها ياء المخاطبة[٥٨٦] , و نون التوكيد , و الضمائر البارزة , ولا تستعمل إلا مع المخاطب وغير ذلك[٥٨٧] .

والحق أنَّ هذه الخصائص الاسمية التي اتصفت بها هذه الألفاظ ليست مطردة - كما هو واضح - ، فلا يمكن إطلاق القول بأنَّ أسماء الأفعال اتصفت بخصائص الأسماء ؛ لأنَّ ما نجده في بعضها من هذه الخصائص لا نجده في بعضها الآخر, فالألف واللام لم نجدها إلا في (النجاءك) ، والجمع لم نجده إلا في هيهات وهكذا . وكذلك الأمر في مخالفتها الأفعال , فهي ليست مطردة أيضاً , فقد اتصل بعض أسماء الأفعال بالضمائر البارزة كما في (هلمَّ) . وعُدَّ بعضها فعلاً وليس اسم فعل كما سنرى.

وجدير بالذكر أنَّ تسمية هذه الألفاظ بأسماء الأفعال , ليست محل اتفاق بين النحاة , فذهب الكوفيون إلى أنَّها أفعالٌ لدلالتها على الحدث والزمان[٥٨٨] , وهو ما ذهب إليه عدد من المحدثين في الموضوعة منها فقط ، ولكنها اختلفت عن باقي الأفعال بعدم تصرفها[٥٨٩] . وذهب آخرون إلى أنَّها أسماء حقيقية[٥٩٠] , وسماها ابن صابر الخالفة , أي : أنَّها تخلف الفعل ، وتنوب عنه في الدلالة على معناه[٥٩١] ,وإلى ذلك ذهب تمام حسان من المحدثين[٥٩٢].

٤- ظ شرح الكافية للرضي ٦٧/٢.
٥- ظ همع الهوا مع للسيوطي ٣ /٨٢ .
٦- ظ شرح قطر الندى:٣٠.
٧- ظ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : د. قيس الأوسي : ١٦٧ .

١- ظ همع الهوامع ٣ /.٨٢
٢- ظ المباحث اللغوية في العراق : د. مصطفى جواد : ٧ , وفي النحو العربي نقد وتوجيه: د.مهدي المخزومي ٢٠٢-٢٠٣, والنحو العربي قواعد وتطبيق :د.مهدي المخزومي : ١٤٠-١٤١, وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ١٩٨.
٣- ظ شرح المفصل ٤/ ٢٥ , وشرح الأشموني ١٩٦/٣.
٤- ظ همع الهوامع ٣ /٨٢ , وحاشية الصبان ٣ /٢٨٩.
٥- ظ اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٣.
٦-- ظ تفصيل ذلك في : في النحو العربي نقد وتوجيه :٢٠٣-٢٠٤ ,والنحو العربي نقد بناء :د. إبراهيم السامرائي :١١٧- ١١٨ ، ومجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٩٦٨ ص:٦٨-٨٨ (اسم فعل) بحث للدكتور سليم النعيمي , وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١٧٠-١٩٠.
٧-- ظ الخصائص ٣ / ٤٦-٤٧ , وشرح المفصل ٤ / ٢٥ , وشرح الكافية ٢ / ٧٦.

وعلى الرغم من هذه الخلافات المذكورة في تسمية هذه الألفاظ , فإنَّ (أسماء الأفعال) أو (اسم الفعل) هو الاسم الاصطلاحي الذي عُرفت به , وتناقلته كتب النحو قديماً وحديثاً ، وشاع بين الدارسين والباحثين.

ويبدو أنَّ دراسة القدماء لأسماء الأفعال فيها كثير من العموم , ولو أنَّهم قسَّموا هذه الأسماء على مجاميع ترتبط أدوات كل مجموعة بخصائص معينة , وصفات مشتركة ، لكانوا أكثر دقة , وأقرب إلى الصواب مما هم عليه , وهذا الذي حدا بعدد من الباحثين المحدثين إلى دراسة هذه الأسماء دراسةً مفصلةً تستند إلى تقسيمها على أصناف لغوية محددة , تشترك عناصر كل صنف بما يميزها عن غيرها، فجاءت النتائج على وفق هذه الدراسة مختلفةً عما أقرَّه القدماء وساروا عليه[٥٩٣].

وما يعنينا هنا أسماء الأفعال الدالة على الأمر، وما تفيده من إيجاز واختصار، ومبالغة وتوكيد[٥٩٤] , ((فـ (صه) مثلاً آكد وأبلغ في الزجر من (اسكت) , و(مه) آكد وأبلغ من انكفف , و(حيّ) آكد وأبلغ من (أقبلْ) وذلك لأنَّه يُراد بها الحدث المجرد ، ألا ترى أنَّها لا تتصل بالضمائر صاحبة الحدث , فلا يُقال معها صها ولا صهوا ، كما يقال اسكتا واسكتوا , بل يُقال بلفظ الإفراد دوماً وذلك اكتفاءً بالحدث (...) وكذلك (مكانك) أبلغ من (اثبت مكانك) , و(عليك نفسك) أبلغ من (الزم عليك نفسك) لما فيه من الاختصار والسرعة))[٥٩٥]

وسنقتصر في دراستنا هذه على ما جاء منها في القرآن الكريم , مبتدئين بالموضوعة منها ثم المنقولة.

أولاً: هلمَّ :

أجمع النحاة على أنها من الأفاظ المركبة , واختلفوا في ذلك التركيب، فذهب البصريون إلى أنَّها مكونة من (ها التنبيهية + لمَّ) بمعنى : اقربْ وادنُ , ثم حُذفت الألف من الهاء لكثرة الاسعمال , وجُعلا شيئا واحداً [٥٩٦] . وذهب الكوفيون الى أنَّ أصلها (هل

---

[١]- معاني النحو ٤ / ٣٧

٢- ظ الكتاب ٣ / ٣٣٢-٣٣٣ ، والأصول في النحو ١ / ١٤٦، والإنصاف ١ / ٣٤٤- ٢٤٥.

[٣] - ظ معاني القرآن للفراء ١ / ٢٠٣ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ٢٦٥ ، والإنصاف ١ / ٣٤١.

+ أُمَّ) , وهو فعل أمر بمعنى اقصد ، ثم حُذفت الهمزة وحُولت ضمتها إلى اللام فصارت هَلمَّ [٥٩٧].

وقد تباين الاستعمال اللغوي لهذه المفردة ، ففي لغة الحجاز ((تلزم طريقة واحدة ، ولا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة إليه ؛ فتقول :هلم يا زيد ، وهلم يا زيدان ، وهلم يا زيدون ، وهلم يا هند ، وهلم يا هندان ، وهلم يا هندات))[٥٩٨]. أما في لغة تميم فإنَّها تكون متصلة ((بالضمائر البارزة ، بحسب من هي مستدة إليه ؛ فتقول : هلم ، وهلما ، وهلموا ، وهلمُمْنَ ، بالفك وسكون اللام ، وهلمي))[٥٩٩].

وتبعاً لتباين استعمالها تباينت الآراء في تسميتها ، فقيل :هي اسم فعل في لغة الحجاز ، لدلالتها على الأمر ، وعدم قبولها ياء المخاطبة ؛ وفعل أمر في لغة تميم ؛ لدلالتها على الأمر ، وقبولها ياء المخاطبة[٦٠٠] ، وقيل: هي اسم فعل عند التميميين أيضاً، وإنْ استُعملت استعمال الفعل لشدة شبهها به ، ودلالتها على معناه[٦٠١].

ويرفض جمع من المحدثين تسميتها باسم فعل ، وهي عندهم فعل أمر غير متصرف [٦٠٢] ، وهو ما يميل إليه الباحث ، على حين ذهب الدكتور سليم النعيمي إلى أنَّها ((صوت للزجر والحث ويُراد به ائت أو تعال))[٦٠٣] ، وهذا قريب من قول الزمخشري ((وهو صوت سُمي به فعل متعدٍ مثل احضر واقرب))[٦٠٤].

وجاء هذا اللفظ في موضعين في القرآن الكريم ، الأول في قوله تعالى:﴿ **قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾(الأنعام:١٥٠) ، حيث جاء متعدياً إلى المفعول به ، والآخر في قوله تعالى:﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**

---

[٤]- شرح قطر الندى : ٣١
[٥]- السابق :٣١
٦- ظ الكتاب ٣ / ٥٢٩ ، وشرح قطر الندى:٣١.
[٧]- ظ شرح المفصل ٤ / ٤٢.
٨- ظ في النحوالعربي نقد وتوجيه :٢٠١-٢٠٢ ، والمباحث اللغوية : ٧ ، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :١٧٤

١- مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٩٦٨ ص: ٨٣ (اسم فعل بحث للدكتور سليم النعيمي).
[٢]- الكشاف٣ / ٥١٤.

﴾(الأحزاب:١٨)، حيث جاء لازماً ، وهما الصورتان اللتان يرد بهما ، فالمتعدي بمعنى: احضروا شهداءكم ، واللازم بمعنى :أميلوا علينا[٦٠٥] .

وقال الزمخشري معقباً على الآية الأولى: ((فإن قلت : كيف أمره باستحضار شهداءهم الذين يشهدون أنَّ الله حرَّم ما زعموه محرماً ، ثم أمره بأنْ لا يشهد معهم ؟ قلت : أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ، ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ، ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنَّهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنَّهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به))[٦٠٦].والأمر هنا ليس أمراً حقيقياً ، إنما هو ((للتعجيز إذ لا يلقون شهداء يشهدون أنَّ الله حرم ما نسبوا إليه من شؤون دينهم المتقدم ذكرها. وأضيف الشهداء إلى ضمير المخاطبين لزيادة تعجيزهم لأنَّ شأن المحق أنَّ يكون له شهداء يعلمهم فيحضرهم إذا دُعي إلى إحقاق حقه))[٦٠٧].

ثانياً:هَيْتَ:

وتلفظ بفتح الهاء وتثليث التاء ، أو بكسر الهاء وضم التاء أو فتحها[٦٠٨]، وهي اسم فعل أمر بمعنى: اسرع ، أو هلم ، أو اقبل ، او تعال ، وهي معان متشابهة تدل على الدنو والاقتراب . وقد اختُلف في أصلها ، فقيل: ((هي لغة عربية (...) وهي كلمة حث واقبال على الأشياء))[٦٠٩] ، وذهب الكسائي والفراء إلى ((أنَّها لغة حورانية وقعت إلى أهل الحجاز فتكلموا بها ، ومعناها تعال (...) وقال أبو زيد هي عبرانية (هيتلخ) أي تعاله فأعربه القرآن. وقال ابن عباس والحسن بالسريانية ، وقال السري بالقبطية...))[٦١٠].

وجاءت هذه الكلمة في آية واحدة هي قوله تعالى:﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾(يوسف ٢٣) ، قال أبو حيان ((هيت اسم فعل بمعنى اسرع ، ولك للتبيين ، أي: لك أقول ، أمرته بأنْ يسرع إليها))[٦١١]، وذهب الراغب إلى أنَّ المعنى ((تهيأت لك))[٦١٢] وهو ما ذهب إليه الزمخشري[٦١٣]، وعلَّله ابن عاشور بقوله : ((

---

[٣]- البحر المحيط ٧ / ٢٢٠.
[٤]- الكشاف ٢ / ٧٥.
[٥]- التحرير والتنوير ٨ / ١٥٣.
[٦]- ظ الكشاف ٢ / ٤٣٧ ، والتفسير الكبير ١٨ / ٤٣٨ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٥١٩.
[٧]- الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٠٩.
٨- البحر المحيط ٥ / ٢٩٣ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٠٩ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ /.٤٠
[١]- البحر المحيط ٥ / ٢٩٣ ، وظ مجمع البيان ٣ / ٢٢٣.
[٢]- المفردات: ٨٤٧.

ويظهر أنَّها طلبت منه أمراً كان غير بدع في قصورهم بأنْ تستمتع المرأة بغبدها كما يستمتع الرجل بأمته ، لذلك لم تتقدم إليه من قبل بترغيب بل ابتدأته بالتمكين من نفسها))[٦١٤].

وهذا الرأي بعيد ؛ فقولها لسيدها لدى الباب ((مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) يدل على خلاف ذلك ، ولو كان هذا الأمر متعارفاً عليه عندهم لما وصفته بالسوء ، ولما جعلته تهمةً ليوسف يستحق فاعلها العقاب ، يؤيد ذلك حديث نساء المدينة عن امرأة العزيز التي تراود فتاها عن نفسه ، فهو حديث فيه استنكارٌ واستهجانٌ لما قامت به هذه المرأة .

وما نميل إليه أنَّ جو الحادثة يؤكد أنَّها لم تكن المرة الأولى التي تتعرض فيها امرأة العزيز ليوسف عليه السلام وهو يمتنع ، لأنَّهما غالباً ما يكونان في القصر ، ولكنَّها هذه المرة عرضت نفسها بصورة مباشرة ، لأنَّها وصلت إلى حد لا تستطيع معه الصبر على يوسف وشغفها به . ومعلوم انَّ المرأة لا تعرض نفسها بهذه المباشرة إلا بعد أنَّ تستنفذ كل وسائل الإغراء والإيقاع ، فإذا فشلت لجأت إلى القول الصريح ، والفعل المباشر ، ((فحركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة ، وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة ، ونداء الجسد الأخير :((وقالت هيت لك)) هذه الدعوة السافرة الغليظة لا تكون أول دعوة من المرأة . إنما تكون هي الدعوة الأخيرة . وقد لا تكون أبداً إذا لم تضطر إليها المرأة اضطراراً))[٦١٥].

ويبدو أنَّ (هيت لك) أوسع معنىً وأكثر دقةً في تصوير الحالة التي أرادها القرآن وتجسيدها ، فهي لا تعني اقبل أو تعال ، إنما جمعت كل معاني الطمأنينة والإغراء ، فمن يقدم على هذا العمل يخشى أنْ يُكشف ويفتضح أمره ، فيعمل على ستر ذلك بأقصى ما يستطيع ، وقد تحقق ذلك بتغليقها الأبواب بعناية واهتمام ، وخلوتها معه في قصر لا يستطيع أي أحد من الخدم أو الحشم أو غيرهم الدخول إليه بغير إذن ؛ لأنَّه قصر عزيز مصر ، ثم جاءت بعد ذلك مراودتها له ، ولم يذكر القرآن الكريم أشكال المراودة والإغراء التي قامت بهما تأدباً وتكرماً ، وبعد ذلك جاء قولها (هيت لك) بمعنى : افعل ما يجب أنْ يفعله من هو بموقعك ، فأنت شابٌ يافع ، ومعك امرأة جميلة تراودك عن نفسك ، والأبواب

---

[٣]- ظ الكشاف ٢ / ٢٣٧.
[٤]- التحرير والتنوير ١٢ / ٢٥١.
[٥]- ظ في ظلال القرآن ١٢ / ١٠١.

مغلقة ، فلا تخشى أحداً ؛ لذلك كان جوابه عليه السلام عدم الخيانة ، ولم يذكر الخشية أو ما شابه لأنَّهما غير موجودين .

ثالثاً: هاؤم :

معناه (خذوا) ، وأصله (ها) ، وذكروا فيها ثمانيَ لغات[٦١٦] ، أجودها أنْ تمد وتصرف مع المخاطب وفق أحواله من تذكير وتأنيث وتثنية وجمع ، فيُقال : هاءَ للمذكر ، وهاءِ للمؤنث ، وهاؤما للمثنى بنوعيه ، وهاؤم للذكور ، وهاؤنَّ للإناث ، وقيل : هي مركبة ((والأصل هاء أموا ثم نقله التخفيف والاستعمال))[٦١٧] ، وعدَّ أحد الباحثين ((دخول الميم هنا من نادر العربية ، لأنَّ الميم إنَّما توجد في ضمير المخاطب إذا كان غير أمر ، نحو: قمتم وقمتما))[٦١٨].

وجاء هذا اللفظ في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾(الحاقة: ١٩) ، قال الطبرسي :((وإنما يقوله سروراً لعلمه بأنَّه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحي انْ ينظر فيه غيره))[٦١٩] ، وقريب منه قول ابن عاشور: ((وهذا القول قول ذي بهجة وحبور يبعثان على اطلاع الناس على ما في كتاب أعماله من جزاء في مقام الاغتباط والفخار ففيه كناية عن كونه من حبور ونعيم))[٦٢٠].

وذكر عدد من المفسرين أنَّ (هاؤم) في الآية الكريمة بمعنى (تعالوا)[٦٢١]، ونسب أحد الباحثين هذا القول لأبي حيان فحسب ، وعلَّله بأنَّه ((محاولة منه للتخلص من التنازع المتوهم بين اسم الفعل والفعل ، لأنَّه بإعطائه معنى (تعالوا) فقد صيَّره لازماً ، لذلك بقي الفعل اقرأوا يتطلب مفعولاً لوحده))[٦٢٢].

١- ظ شرح المفصل ٤ / ٤٣ ، وشرح الكافية ٢ / ٧٠ ، ومغني اللبيب : ٤٥٥ ، و مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٩٦٨ ص: ٨٠ (اسم فعل بحث للدكتور سليم النعيمي).

٢- البحر المحيط ٨ / ٣١٩.

٣- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٠١.

٤- مجمع البيان ٥ / ٣٤٦.

٥- التحرير والتنوير ٢٩ / ١٣٠.

٦- ظ جامع البيان ٢٩ /٦٠ ، مجمع البيان ٥ / ٣٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٧٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٣١٩.

٧- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٠٣.

ويرى الدكتور سليم النعيمي أنَّ هذه الهاء ((هي نفس ها التي تستعمل في التنبيه وتلحق اسم الإشارة هذا وهؤلاء استعملها العرب للتنبيه عند إعطاء شيء لتنبيه المُعطى إليه فيأخذه وأُلحقت به الهمزة والكاف في بعض اللهجات زيادةً في التنبيه))[٦٢٣]. ولعل هذا الرأي جدير بالقبول ، يؤيده قول أبي حيان: إنّها ((كلمة وضعت لإجابة الداعي عند الفرح والنشاط))[٦٢٤]. وكذلك قول المفسرين إنَّها تصدر في سرور واغتباط.

وهذا ما يؤكده الاستعمال القرآني لهذه الكلمة ، فهي لم ترد إلا في هذا الموضع ، وهو موضع فيه من السرور ما يتصاغر عنده كل سرور ، ومن الفرح ما ليس في غيره ، ولا غرابة في ذلك فهو موضع الفوز العظيم الذي يجعل صاحبه مستبشراً فرحاً يحتاج إلى التعبير عما هو فيه من غبطة وسرور ، فيكون ذلك بإصدار أصوات تفرِّج عما في نفسه ، وهذا ما نجده في لغتنا الدارجة اليوم ، فالطالب الناجح مثلا يأتي فرحاً مسروراً وهو ينادي (هاكم اقرأوا درجاتي) ، وكذلك الحال مع من ينجز عملاً صعباً فينجح فيه فيقول (هاكم انظروا النتائج) وهكذا .

فعلى هذا المعنى لا تنازع بين اسم الفعل والفعل ، وعلى الرأي الأول فلا مانع من أنْ يكون (كتابيه) مفعولاً لكليهما طالما يطلبانه مفعولاً [٦٢٥].

رابعاً: هات :

اختلف النحاة في هذا اللفظ اختلافاً كبيراً فذهب الخليل إلى إنَّ أصله آت من أتى يؤاتي إيتاءً فقُلبت الهمزة هاءً . وهذا يعني أنَّه فعل ، وهو ماذهب إليه الدكتور سليم النعيمي من المحدثين[٦٢٦] ، وذكر القرطبي أنَّ ((أصل هاتوا هاتيوا حُذفت الضمة لثقلها ثم حُذفت الياء لالتقاء الساكنين))[٦٢٧] ، وهو شبيه بما قيل في أصل تعالوا ، ويعني أنَّه فعل على وزن (فاعل). وذهب أغلب النحاة الى أنَّه فعل أمر , ودليل فعليته قبوله ضمائر الرفع[٦٢٨] ولكنهم اختلفوا في تصرفه , فعده العكبري وابن حيان فعلاً تاماً التصرف [٦٢٩] , فيقال: هاتى يهاتي مهاتاةً . وعده آخرون فعلاً غير تام التصرف [٦٣٠] .

---

[١]- مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٩٦٨ ص: ٨١ (اسم فعل بحث للدكتور سليم النعيمي).
[٢]- البحر المحيط ٨ / ٣١٩.
[٣]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم :١٠٤.
٤- ظ مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٩٦٨ ص: ٨١ (اسم فعل بحث للدكتور سليم النعيمي).
[٥]- الجامع لأحكم القرآن ٢ / ٥٢.
٦- ظ البحر المحيط١ / ٣٣٧ , وشرح قطر الندى: ٣٢.

وذهب ابن يعيش الى أنَّه اسم فعل من لفظ (هيت) ومعناه , وأُلحِقت به الضمائر لقوة شبهه بالفعل[٦٣١] , ونقل ابن هشام بانَّه اسم فعل عند الزمخشري[٦٣٢] , ورأي الزمخشري صريح في كشافه بأنَّ (هات) ((صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر))[٦٣٣] , وهذا ما ذهب إليه الرازي[٦٣٤] . والأرجح أنَّه فعل أمر غير تام التصرف.

وجاء هذا الفعل في القرآن الكريم في أربعة مواضع , كان في جميعها مسنداً إلى واو الجماعة ومتعدياً إلى مفعولٍ واحد هو (برهانكم)[٦٣٥] . ولم يكن في مواضعه كلها أمراً حقيقياً، إنَّما أفاد التعجيز وإلزام الحجة ((بمعنى إذا لم يمكنكم الإتيان ببرهان يصحح مقالتكم فاعلموا أنَّه باطل فاسد))[٦٣٦] ، ويبدو من الاستعمال القرآني للمفردة (هات) أنها أوسع من اعطِ أو احضرْ أو غيرهما مما هو بمعناها , لأنَّها أفادت طلب البرهان على ما يدعون , سواء كان نقلياً أم عقلياً , حاضراً أم مستقبلاً قريباً ، فالمهم هو الدليل والحجة على ما يدعون , ومعلوم أنَّ السعة في طلب الشيء مع عدم القدرة على الإتيان به يدل بما لا يقبل الشك على عجز المطلوب منه ، وعدم قدرته على ذلك , وفي ذلك دليل على بطلان ما يدعون وفساده .

أما أسماء الأفعال المنقولة فجاء منها في القرآن الكريم (عليكم ومكانكم) و سندرسهما تباعاً إنْ شاء الله.

أولا :عليكم :

اسم فعل أمر منقول من الجار والمجرور , بمعنى:الزموا[٦٣٧] , ويأتي دالاً على المفرد والمثنى والجمع بمذكره ومؤنثه نحو: عليكَ وعليكِ , وعليكما , وعليكم وعليكن. وذهب الرضي إلى أنَّ القياس يمنع من تسمية هذه الألفاظ المنقولة من الجار و المجرور بأسماء الأفعال , لأنَّ الاسم يُطلق على غيرها من أسماء الأفعال نظراً إلى أصلها كما في صه ورويداً , والجار والمجرور ليس اسماً في أصله , وعنده أنَّ اسم الفعل من الظرف

٧- ظ التبيان في إعراب القرآن : ١ / ١٠٦ , والبحر المحيط ١ / ٣٣٧.
٨- ظ شرح الكافية ٢ / ٧٠ , وشرح الأشموني ٣ / ٢٠٥-٢٠٦.
١- ظ شرح المفصل ٤ / ٣٠.
٢- ظ شرح شذور الذهب : ٢٢.
٣- الكشاف ١ / ١٧٧.
٤- ظ التفسير الكبير٤ / ١٠٦ .
٥- ظ البقرة :١١١ , والأنبياء : ٤٤ , والنمل:٦٤ , والقصص: ٧٥.
٦- مجمع البيان ١ / ١٨٦.
٧- ظ مجمع البيان ٢ / ٢٥٣ , والإنصاف ١ / ٢٢٩ , وشرح ابن عقيل٣ / ٣٠٣.

والجار والمجرور ما هو إلا اختصار لجملة طويلة حُذف بعض أجزائها , فيقول : ((وأما الظرف والجار والمجرور , فلأنَّ نحو (أمامك ودونك زيداً) بنصب زيد , كان في الأصل:(أمامك زيد , ودونك زيد فخذه فقد أمكنك) فاختصر هذا الكلام الطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ، ليبادر المأمور إلى الامتثال قبل أنْ يتباعد عنه زيد. وكذا كان أصل (عليك زيداً) وجب عليك أخذ زيد ، وإليك عني أي : ضم رجلك وثقلك إليك واذهب عني , و(وراءك) أي :تأخر فجرى في كلها لتأكيد))[٦٣٨].

و واستند طائفة من المحدثين إلى نص الرضي هذا أو ما شابهه , فذهبوا إلى أنَّ هذه الأدوات ليست أسماء أفعالٍ ((وإنَّما هي في الأصل من متعلقات أفعال الأمر, حيث كانت تستعمل مع فعل الأمر في جملة طلبية , ولكن ظروف القول ومناسباته دعت إلى حذف الفعل فيها اختصاراً للكلام , وذلك لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة الممكنة ، ليبادر المأمور إلى الامتثال قبل فوات الفرصة))[٦٣٩]. وهم كل من الدكتور مصطفى جواد بقوله : ((وهذه أسماء الأفعال المنقولة التي لا يحتمل الفكر الثاقب نقلها (...) وما هي في الحقيقة إلا جمل ذوات أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال هي وتوابعها , فالأصل في (عليك حقك): (امسك عليك حقك) ، كقوله تعالى في سورة الأحزاب : ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ))))[٦٤٠] , والدكتور مهدي المخزومي[٦٤١] والدكتور إبراهيم السامرائي[٦٤٢] , والدكتور قيس الأوسي[٦٤٣].

ويرى الباحث أنَّ (عليكم) اسم فعل أمر , وإنْ استُعمل في الأصل في جمل طلبية حُذفت أفعالها فيما بعد ؛ لأنَّ أصل الاستعمال شيء , وما يستقر عليه الاستعمال شيء آخر , فالكثير من الكلمات أصبحت لها معانٍ واستعمالات مخالفة لأصلها الذي وضُعت له , وهذه طبيعة اللغة , فالألفاظ فيها ليست جامدة , إنما هي متغيرة متجددة , ولا سيما في مجال الدلالة . والآية الكريمة التي ذكرها الدكتور مصطفى جواد لا تنهض دليلاً على ما قال , لأنَّ (عليك) الواردة فيها تختلف عن (عليك) في قولنا: عليك زيداً , فهي في المثال يُراد بها التعجيل والسرعة , تسايراً مع الموقف , أما في الآية الكريمة فلا يُراد بها ذلك , وثمت فرق آخر بين الاستعمالين ، فزوجك مفعول لأمسك وعليك جار ومجرور متعلق

١- شرح الكافية ٢ / ٦٨.
٢- أساليب الطب عند النحويين والبلاغيين : ١٨٢.
٣- المباحث اللغوية :٧ ، والنص القرآني من الآية:٣٧ في سورة الأحزاب.
٤- في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٠٤.
٥- النحو العربي نقد وبناء :١١٨.
٦- ظ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :١٨٢-٨٤.

بالفعل ، ولو كان اسم فعل لتنازع مع الفعل في طلب (زوجك) مفعولاً , ولم نجد من يذكر هذا التنازع. فعلى هذا يكون (عليك) جاراً ومجروراً أفاد التوكيد بأنْ يجعلها زوجاً له , ويمسكها على حالة الزوجية ولا يطلقها ، ويكون المعنى: أبق زوجك عليك ستراً ،أي: ((لازم عشرتها فالإمساك مستعار لبقاء الصحبة تشبيهاً للصاحب بالشيء المُمْسَك باليد . وزيادة عليك لدلالة (على) على الملازمة والتمكن مثل :(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) ، أو لتضمن (أمسك) معنى احبس أي : ابق في بيتك زوجك , وأمره بتقوى الله تابع للإشارة بإمساكها أي: اتق الله في عشرتها))[٦٤٤]. وكل هذا توكيد منه ﷺ على عدم تطليقها ، يُزاد على ذلك أنَّ الذين ذكروا أنّ (عليك) من متعلقات الفعل ، لم يذكروا أنّها تُستعمل مثل هذا الاستعمال ، إنَّما يكون استعمالها كما في قولنا :عليك زيداً فامسكه ، وعليك زيداً فخذه ، ولم يقولوا خذ عليك زيداً – كما في الآية الكريمة.

وجاءت (عليكم) في آيتين هما: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كَنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾(المائدة:١٠٥) . وقيل في معناها: ((احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي والإصرار على الذنوب))[٦٤٥]، ويُروى أنَّ النبيﷺ سُئل عنها فأجاب ((آمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم ، فإنَّ وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم))[٦٤٦].

والآية الأخرى قوله تعالى:﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾(النساء:٢٤) . وأثيرت في هذه الآية مسألة تقديم مفعول اسم الفعل عليه ، وهي من المسائل الخلافية التي أجازها الكوفيون ومنعها البصريون[٦٤٧] ، والآية من أدلة الكوفيين على ما ذهبوا إليه ، فكتاب مقدم على اسم الفعل (عليكم) . ويجوز أنْ يكون (كتاب الله) مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة ((من غير لفظ الفعل فان قوله :(حُرمت عليكم) يدل على معنى الكتبة فالتقدير : كُتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتاباً من الله ، ومجيء المصدر من غير لفظ الفعل كثير نظيره

١- التحرير والتنوير ٢٢ / ٣٢، والنص القرآني من الآية :٥ من سورة البقرة.
٢- التفسير الكبير١٢ / ٤٤٨ . وظ مواهب الرحمن ١٢ / ٥٢٤.
٣- البحر المحيط ٤ / ٣٦ ، وظ الكشاف ١ / ٦٧١.
٤- ظ الإنصاف١ / ٢٢٨-٢٣٤.

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله)))[٦٤٨] ، أو أنْ يكون ((منصوباً على جهة الأمر ، ويكون (عليكم) مفسراً له فيكون المعنى : الزموا كتاب الله))[٦٤٩]. وقد استوفينا ذلك في دراسة سابقة[٦٥٠].

ثانياً :مكانكم :

اسم فعل بمعنى: الزموا أو اثبتوا أو انتظروا[٦٥١] , وذهب الدماميني إلى أنَّه ظرف على بابه وليس اسم فعل , فقال: ((ولا أدري أي حاجة إلى جعل مثل هذا الظرف اسم فعل , وهلا جعلوه ظرفاً على بابه , وإنَّما يحسن دعوى اسم الفعل حيث لا يمكن الجمع بين ذلك وذلك الفعل , نحو: صه , عليك , إليك . وأما إذا أمكن فلا , فإنَّه يصح أنْ يُقال : اثبت مكانك , وتقدم أمامك , ولا تقول :اسكت صه))[٦٥٢]. والى ذلك ذهب الدكتور المخزومي حيث عده ظرفاً من متعلقات الفعل الذي حُذف للإيجاز والاختصار[٦٥٣] وكذلك الدكتور إبراهيم السامرائي[٦٥٤]. وهو ما يتبناه الباحث.

وقد جاء هذا اللفظ في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**﴾(يونس:٢٨). قال الطبرسي: ((والمعنى انتظروا مكانكم حتى يُفصل بينكم , والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرني))[٦٥٥] ، وفي الآية تهديد وتوعد , أي :هذا مكانكم الذي وعدناكم به وهو الحشر , فاثبتوا لأنَّه لا يمكنكم الهرب واللجوء إلى مكان آخر, لأنَّه تعالى محيط بكل شيء .

٥- التفسير الكبير ١٠ / ٣٥ ، والآية من النمل : ٨٨ ، وظ مجمع البيان ٢ / ٣١.
٦- التفسير الكبير ١٠ / ٣٥ ، وظ مجمع البيان ٢ / ٣١.
٧- ظ الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو :٢٣٥-٢٣٦.
١- ظ مجمع البيان ٣ / ١٠٥ ، والكشاف ٢ / ٣٣٢ ، والتفسير الكبير ١٧ / ٢٤٢.
٢- حاشية الصبان٣ / ٢٩٠.
٣- ظ في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٠٤ ، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق : ١٤١.
٤- ظ النحو العربي نقد وبناء : ١١٨.
٥- مجمع البيان ٣ / ١٠٥.

دلالة المـصدر

هو الحدث المجرد ، والأمر به أحد أساليب الأمر التي قال بها النحاة ، فيأتي نائباً عن فعله دالاً على معناه , نحو قولنا : صبراً على الشدائد ، والتقدير: اصبر صبراً على الشدائد ، فأغنى (صبرا) عن (اصبر) وأفاد معناه , ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَناً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾(محمد:٤) .قال الزمخشري :((أصله :فاضربوا الرقاب ضرباً , فحذف الفعل وقدَّم المصدر فأُنيب منابه مضافاً إلى المفعول . وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد ؛ لأنَّك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه. وضرب الرقاب عبارة عن القتل , لأنَّ الواجب أنْ تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء))[٦٥٦].

وليس المقصود عدم ضرب الأعضاء الأخرى , ولكن المراد قتلهم بأي وجه وأية وسيلة ، ولكنه ذكر ضرب الرقاب ؛ لأنَّه أشهر أنواع القتل وأعرفها عندهم[٦٥٧] ، ((وهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة , وبالحركة التي تمثلها تمشياً مع جو السورة وظلالها))[٦٥٨].

والأمر بالمصدر فيه توكيد ومبالغة[٦٥٩] ؛ لأنَّه ((أقوى وأثبت من الفعل . ثم أنَّ المصدر هو الحدث المجرد ، والفعل هو الحدث المقترن بالزمن , فأنت حين تأمر بالمصدر فقد أمرت بالحدث المجرد ، وهو آكد من الفعل لمجيئنا بالحدث وحده , وذكر الرضي أنَّه حُذف إبانةً لقصد الدوام واللزوم بحذف ما هو موضوع للحدث والتجدد ، أي الفعل في نحو حمداً لك وشكراً لك (...) ثم أنَّ الفعل قد يكون بصيغ متعددة , فقد يكون ماضياً ومضارعاً وأمراً , نحو قولك: سقاك الله , ويرعاك الله , فإذا جئت بالمصدر فقلت: سقياً لك ، ورعياً لك ، فقد جئت بالحدث بلا دلالة على الزمن))[٦٦٠].

١-الكشاف ٤ / ٣٠٨-٣٠٩ ، وظ مجمع البيان ٥ / ٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٨ / ٩٢.
٢- ظ تفسير ابن عطية ٥ / ١١٠.
٣- في ظلال القران ٢٦ / ٤٩.
٤- ظ المثل السائر ٢ / ٣٠٣ , والكشاف ٤ / ٣٠٨ , وتفسير أبي السعود ٨ / ٩٢.
٥- معاني النحو ٢ / ١٤٤.

ومن الأمر بالمصدر قوله تعالى: ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ (الروم:١٧). فسبحان مصدر أو اسم مصدر ناب مناب فعله ، وبه ((أمر تعالى بتنزيهه من كل سوء ، والظاهر أنَّه أمر عبادة بتنزيهه في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من النعم ، ويُحتمل أنْ يكون كناية عن استغراق زمان الصبر , وهو أنْ يكون ذاكراً ربه واصفه بما يجب له على كل حال))[٦٦١]. وقيل: إنَّ المراد بالتسبيح هنا ((الصلاة ، أي صلوا ، وذكروا أنَّه أشار إلى الصلوات الخمس ، وقال بعضهم أراد به التنزيه , أي نزهوه عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال , وهذا أقوى والمصير إليه أولى , لأنَّه يتضمن الأول))[٦٦٢].

وجعلوا من الأمر بالمصدر قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** ﴾(البقرة:٨٣) ، وجاء الإحسان مقروناً بالوالدين في ثلاث آيات أخر[٦٦٣].

ولا يمكن أنْ يكون الإحسان مصدراً نائباً عن فعله في هذه الآيات الكريمة إلا على تقديرين ، يكون فيهما (بالوالدين) جاراً ومجروراً متعلقاً به , الأول : أنْ يكون الكلام عن نية التقديم ، والتقدير: وإحساناً بالوالدين , وقدم الوالدين للاهتمام بهما , قال ابن عاشور: ((وقوله (وبالوالدين إحساناً) اهتمام بشأن الوالدين إذ جعل الأمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بالعبادة (...) ولذا قدم معمول (إحساناً) عليه تقديماً للاهتمام ، إذ لا معنى للحصر هنا لأنَّ الإحسان مكتوب على كل شيء ، ووقع المصدر موقع الفعل وإنَّما عُدي الإحسان بالباء لتضمينه معنى البر))[٦٦٤]. وهذا ما يميل إليه الباحث.

والتقدير الآخر: أنْ يكون الكلام على حاله , و(بالوالدين) جار ومجرور متعلق بالإحسان مقدم عليه , ولا عبرة بقولهم : ((إنَّ المصدر لا يتقدم عليه صلته))[٦٦٥] ، وهذا ما اختاره أبو حيان بقوله: ((لا يصح المنع إلا إذا كان المصدر موصولاً بأنْ فينحل لحرف مصدري والفعل . أما إذا كان غير موصول , فلا يمتنع تقديمه عليه. فجائز أنْ تقول : ضرباً زيداً , وزيداً ضرباً , سواء كان العمل للفعل محذوف العامل في المصدر ، أو

٦- البحر المحيط ٧ / ٦٦ , وظ التحرير والتنوير ٢١ / ٦٥ -٦٦ .
٧- التفسير الكبير ٢٥ / ٨٦ , وظ تفسير أبي السعود ٧ / ٥٥ .
٨- ظ النساء: ٣٦ , والأنعام :١٥١ , والإسراء: ٢٣.
١- التحرير والتنوير ٥ / ٤٩ .
٢- الكشاف ٢ / ٦٣١ ، وظ تفسير ابن عطية ١ / ٥٨٣.

للمصدر النائب عن الفعل ، لأنَّ الفعل هو أمر , والمصدر النائب عنه أيضاً معناه الأمر . فعلى اختلاف المذهبين في العامل يجوز التقديم))[٦٦٦].

أما خلاف ذلك فلا يكون (إحساناً) نائباً عن فعله , فقيل فيه : إنَّه مصدر مؤكد لفعله المحذوف ، وهذا لا يجوز عند القائلين بأنَّ المصدر المؤكِّد لا يُحذف عامله ، وقيل : إنَّ العامل فيه ليس من لفظه , إنَّما هو مما يدل عليه الكلام كأنْ يكون التقدير : وقضى ربك إحساناً بالوالدين , أو استوصوا إحساناً بالوالدين , وما إلى ذلك[٦٦٧] .

ومن المصادر النائبة عن الفعل ما يفيد الدعاء نحو قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**﴾ (البقرة:٢٨٥)، قال الطبرسي: ((غفرانك نُصب على أنَّه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنَّه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستُغني بالمصدر عن الفعل بالدعاء فصار بدلاً عنه معاقباً له))[٦٦٨]. وعلى ذلك أغلب المفسرين[٦٦٩]. وجعله الزمخشري بمعنى الخبر ، والتقدير عنده : نستغفرك , وليس اغفر[٦٧٠]. ومعلوم أنَّ قولهم: (غفرانك) أكثر مبالغة في الطلب ، وشدة الحاجة إلى الغفران من قولهم اغفر .

ونظير ما تقدم قوله جل وعلا: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ (محمد :٨) . على أنْ يكون التقدير :أتْعِسْهم الله تعساً[٦٧١]، فهو ((دعاء بالتعس غير مقيد بزمن , ولا بفاعل معين بل هو تعس عام))[٦٧٢] , وفي ذلك ما فيه من المبالغة في الدعاء عليهم والتوكيد له .

ويأتي المصدر النائب عن فعله في حالتي الأمر والدعاء مرفوعاً أيضاً , فيدل على الثبوت والاستقرار , بخلاف المنصوب فإنَّه يدل على التجدد والحدوث[٦٧٣] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا**

٣- البحر المحيط ١ / ٢٨٤ ، وظ التحرير والتنوير ١ /.٥٨٣
٤- ظ البحر المحيط١ / ٢٨٤، والتحرير والتنوير ١ /٥٨٣ .
٥- مجمع البيان ١ / ٤٠٢ , وظ معاني القران للقراء ١ / ١٨٨ .
٦- ظ البحر المحيط ٢ / ٣٨٦ , والتفسير الكبير ٧ / ١١٤ , التحرير والتنوير ٣ / ١٣٤، على سبيل المثال لا الحصر.
١- ظ الكشاف ١ / .٣٢٧
٢- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : .١٢٣
٣- معاني النحو ٢ / ١٤٥ .
٤- ظ السابق ٢ / ١٤٥-١٤٦ .

حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة:٢٢٩)، فهذا ((تخيير لهم بعد أنْ علمهم كيف يطلِّقون ، بين أنْ يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن , وبين أنْ يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم))[٦٧٤] ؛ لذلك ((رفع إمساكاً وإحساناً للدلالة على الدوام , وعلى أنَّها ليست حالة موقوتة))[٦٧٥] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف:٤٤). فـ (لعنة الله) مصدر أفاد الدعاء وقد ((أُضيف إلى فاعله وهو في أصله منصوب بفعل مضمر تقديره : العن اللهم الظالمين لعناً , إلا أنَّه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى الثبات واللعن ودوامه للمدعو عليه))[٦٧٦] .

دلالة الإفراد والتثنية والجمع

استعمل العرب لكل من هذه المعاني الثلاثة صيغه وعلاماته التي تدل عليه وتميزه عن سواه , ومع ذلك لم تسلم هذه المعاني من تداخل فيما بينها في كثير من الألفاظ , ذهب اللغويون في تفسيرها مذاهب شتى استندت في أغلبها إلى الأغراض البلاغية المستقاة من الكلام , ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم , واختلاف المفسرين فيه , وهو ما سنراه في المباحث الآتية ، إنْ شاء الله تعالى .

بين الإفراد والتثنية :

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾(ق:٢٤) ، فصيغة الفعل تدل على الإثنين ، ولكنهم جوَّزوا أنْ يكون الخطاب في (ألقيا) للمفرد وهو أما السائق أو الشهيد المذكورين سلفاً , وعلَّلوا ذلك من وجهين الأول - وهو قول الفراء- :أنَّ ((العرب

---

[٥]- الكشاف ١ / ٢٧٠ .
٦- معاني النحو ٢ / ١٤٦ .
٧- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم :.١٢٢

تأمر الواحد والقوم بما يُؤمر به الإثنان , فيقولون للرجل : (قوما عنَّا) وسمعت بعضهم : (ويحك ارحلاها وازجراها) , وأنشدني بعضهم :

فقلتُ لصاحبي لا تحبساها بنزع أصوله، واجتزَّ شيحا

وأنشدني أبو ثروان :

وإنْ تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإنْ تدعاني أحم عرضا ممنَّعا

ونرى أنَّ ذلك منهم أنَّ الرجل أدني أعوانه في إبله وغنمه إثنان , وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة , فجرى كلام الواحد على صاحبيه , ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلاً (يا صاحبيَّ) , (يا خليليَّ) ، فقال امرؤ القيس :

خليليَّ مرَّا بي على أمِّ جُندب نقضِّ لباناتِ الفؤاد المعذب

ثم قال :

ألم ترَ أنَّي كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإنْ لم تُطيب

فقال: (ألم ترَ) فرجع إلى الواحد , وأول كلامه إثنان))[٦٧٧].

والوجه الآخر : إنَّ (ألقيا) ((تثنية على التوكيد , والمعنى ألق ألق فناب ألقيا مناب التكرار))[٦٧٨] ، أي: أنَّ المقصود تثنية الفعل وتكراره للمبالغة والتوكيد , ولكنه ثنا الفاعل دلالة على ذلك ، لشدة الترابط بين الفعل والفاعل[٦٧٩] .

وقيل : إنَّ الخطاب للإثنين على حقيقته والمراد بهما السائق والشهيد , أو هو خطاب لملكين من ملائكة النار , وقيل الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة , والأصل ألقين , وقد أجرى الوصل مجرى الوقف[٦٨٠] .

والأولى أنْ يكون الخطاب للإثنين وهما السائق والشهيد , بدليل ذكرهما في آية سابقة للآية مدار البحث[٦٨١], أو لملكين من ملائكة النار , ((لأنَّ القول بأنَّها مستعملة في

---

[١]- معاني القرآن للفراء ٣ / ٧٨-٧٩ ، وظ مجمع البيان ٥ / ١٤٥-١٤٦ , والكشاف ٤ / ٣٧٧ , والجامع لأحكام القرآن ١٧ /١٢ .

٢- الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢ .

٣- ظ مجمع البيان ٥ / ١٤٦ , والكشاف ٤ / ٣٧٧ , والإنصاف ١ / ٨٠ , والتفسير الكبير ٢٨ /١٣٦ .

١- ظ الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢-١٣ ، والبحر المحيط ٨ / ١٢٦.

٢- ظ الميزان ١٨ /٣٨١ .

خطاب المفرد يقود إلى الإشكال , وذلك لأنَّ الخروج عن ظاهر اللفظ في الكلام , يقود الى انفلات الضوابط والقوانين في استخدام الصيغ , كما يقود الى إعمال الظن والتأويل لأجل فهم المعنى الباطن الذي استُخْدِمت فيه الصيغة . وإذا كان لنا أنْ نسِّلم بأنَّ هذه الصيغة مستعملة في خطاب المفرد في هذه الشواهد فإنَّ اختلاف النحويين والمفسرين وحيرتهم فيها , يدلان دلالةً قاطعةً على أنَّها لم تكن صيغة معروفة أو شائعة في استخدامهم اللغوي , أي إنها كانت صيغة مهجورة))[٦٨٢].

ونظير ماتقدم قوله تعالى :﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**﴾ (طه:٤٧). فاخبر بالمثنى عن المثنى , وجاء في سورة أخرى تحكي القصة ذاتها ﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الشعراء:١٦)، فأخبر بالمفرد عن المثنى.

وعلَّل الدكتور فاضل السامرائي ذلك بأنَّ قصة موسى عليه السلام في سورة طه بُنيت على التثنية لا على الوحدة , فجاء الإخبار بتثنية الرسول متماشياً مع جو السورة , أما في سورة الشعراء فقصة موسى عليه السلام بُنيت فيها على الوحدة لا على التثنية , فجاءت الآية موضع البحث متماشية مع هذا الجو الإفرادي , وقد أورد الدكتور السامرائي آيات من السورتين تؤيد ما ذهب إليه[٦٨٣].

وتعليل الدكتور السامرائي هذا لا يطرد إلا في سورة الشعراء ، فقصة موسى عليه السلام بُنيت فيها على الإفراد . ويستطيع الباحث أنْ يتبين ذلك بيسر من خلال تتبع آيات السورة المباركة , أما في سورة طه فجاءت القصة مبينة على الإفراد والتثنية , ولم تكن مبنية على التثنية فحسب , وهذا واضح من خلال آيات السورة الكريمة , وسنترك الآيات الأول التي خاطب فيها المولى عز وجل موسى عليه السلام بصيغة الإفراد , وسنبدأ بقصته مع فرعون , حيث قال تعالى: ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾(طه:٢٤-٣٦).

٣- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ١٤٥-١٤٦ .

٤- ظ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د.فاضل السامرائي : ٧٨-٧٩ .

ويستمر الخطاب بالمفرد حتى يأتي الأمر الثاني بالذهاب إلى فرعون فيبدأ بخطاب موسى عليه السلام وينتقل إلى التثنية ، قال تعالى:﴿ **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى** ﴾(طه: ٤٢-٤٧) ، ثم يعود الخطاب مرة أخرى إلى التنويع بين الإفراد والتثنية , قال تعالى :﴿ **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَاناً سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى** ﴾(طه:٥٧-٦٤). وهكذا السورة وهي تحكي قصة موسى عليه السلام بين الإفراد والتثنية ، والإفر اد فيها أكثر من التثنية.

أما سبب الإفراد والتثنية في الآيتين موضع البحث فهو أنَّ الآيات في سورة طه تمثل بداية التبليغ الإلهي لموسى عليه السلام بأنَّه رسول الله إلى فرعون وملئه , لذلك طالب موسى بأشياء عدة استعداداً لهذه المهمة , ومن بين تلك الأشياء أنْ يكون أخوه هارون شريكاً له في هذا الأمر , ويبدو أنَّ اشراك هارون في الأمر كان ذا أهمية كبيرة لموسى لذلك دعا الله لتحقيقه له في أربع آيات هي: ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ ، وقد أجاب الله دعاء موسى في كل ما طلبه منه على العموم بقوله جل وعلا : ﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾ ، ولكنه أكد ووثق إشراك هارون في الرسالة ، وأنَّه أصبح رسولاً كموسى بتغيير صيغة الخطاب من المفرد الى المثنى طمأنةً لموسى وتقويةً له ، وإنْ كان هو الأول في هذه الرسالة ، فقال عز من قائل :﴿ **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ بعد أن قال أولاً :﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾.

أما في سورة الشعراء فلم يعد الأمر كذلك , فموسى عليه السلام تهيأ له ما أراد ، وأصبح هارون شريكه في أمره , فلم يعد محتاجاً إلى ما يؤكد هذه الحقيقة , لذلك جاء الخطاب بالمفرد وفيه دلالة على أنَّ رسالتهما واحدة , وهدفهما واحد , وهو هداية الناس إلى الحق

ونشر دين الله تعالى ، فجاء قوله عز من قائل :﴿ ﴿**فأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ بالإفراد ، والله اعلم .

بين الإفراد والجمع :

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ** ﴾ (المؤمنون:٩٩) , فقيل : إنَّ المخطاب بقوله (ارجعون) هو الله تعالى , فيكون اللفظ جمعاً , والمعنى مفرداً , وفُسر ذلك على وجهين :الأول[٦٨٤]: إنَّ الجمع هنا للتعظيم , وهو ما سار عليه التعبير القرآني عندما يتعلق الأمر بالمولى عز وجل كقوله تعالى :﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِياًّ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياًّ** ﴾ (مريم:٤٩-٥٠)، وقوله عز من قائل :﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(الحجر: ٩).

والآخر : إنَّ المراد تكرار الفعل للمبالغة والتوكيد , فجمع الفاعل ليدل على ذلك , والمعنى : أرجعني أرجعني , ((والجمع ضم مفرد إلى مثليه أو أكثر في اللفظ غيره في المعنى , و((ارجعون)) (...) بمعنى التكرير ، والتكرير ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير . والغالب فيما يفيد التأكيد أنْ يُذكر بلفظين فصاعداً . لكنهم اختصروا في بعض المواضع باجرائه مجرى المثنى والمجموع لمشابهته لهما من حيث إن التأكيد اللفظي أيضاً : ضم الشيء إلى مثله في اللفظ وإنْ كان إياه في المعنى أيضاً))[٦٨٥].

وقيل : إنَّ ((الخطاب للملائكة المتصدين لقبض روحه , و((رب)) استغاثة معترضة بحذف حرف النداء والمعنى : قال - وهو يستغيث بربه - ارجعون))[٦٨٦] , وذهب الرازي إلى أنَّ ((ذكر الرب للقسم , فكأنَّه عند المعاينة قال بحق الرب ارجعون))[٦٨٧].

١- ظ معاني القرآن للفراء٢ / ٢٤١ ، ومجمع البيان ٤ / ١١٦ ، والتفسير الكبير ٢٣ / ٢٩٣.
٢- شرح الشافية ١ / ١٥.
٣- الميزان ١٥ / ٧١ ، وظ مجمع البيان٤ / ١١٦، والبحر المحيط٦ / ٤٢١.
٤- التفسير الكبير ٢٣ / ٢٩٣.

ولا مانع من أنْ يكون الخطاب لله تعالى وللملائكة في آن واحد ، فيكون المولى عز وجل هو الآمر برجوعه , ويكون الملائكة منفذين لذلك الأمر بعدم قبض روحه . والله اعلم .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ** ﴾ (الروم ٣٠-٣١) , فجاء الخطاب بصيغة المفرد في أول الكلام (فأقم) , ثم تحول الى الجمع (منيبين) , فقيل : المعنى ((فأقيموا وجوهكم منيبين إليه لأنَّ مخاطبة النبيﷺ تدخل معه فيها الأمة والدليل على ذلك قوله : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ)) فقوله فأقم وجهك معناه فأقيموا وجوهكم منيبين إليه أي راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى وأداء الفرض))[٦٨٨] , وقال أبو حيان : ((المراد به فأقيموا وجوهكم , وليس مخصوصاً بالرسول وحده , وكأنَّه خطاب لمفرد أُريد به الجمع , أي فأقم أيَّها المخاطب , ثم جمع على المعنى , لأنَّه لا يُراد به مخاطب واحد , فإذا كان هذا فقوله منيبين , وأقيموا ولا تكونوا ملحوظ فيه معنى الجمع))[٦٨٩] , وعند الزمخشري نُصب منيبين على أنَّه ((حال من الضمير في ((الزموا))))[٦٩٠].

بين التثنية والجمع :

وهذا ما نجده في قصة آدم عليه السلام , حيث كُرِّرت هذه القصة في أكثر من سورة , وجاء فيها الأمر بالهبوط من الجنة بصيغة المثنى تارةً , وبصيغة الجمع تارةً أخرى , وتعددت تبعاً لذلك آراء المفسرين وتخريجاتهم .

وأول ذكر لهذه القصة جاء في سورة البقرة , وقد تكرر فيها الأمر بالهبوط مرتين , وكلاهما جاء بصيغة الجمع , حيث قال جل وعلا : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(البقرة :٣٦-٣٨) ، وسنترك التكرار لأنَّ له موضعاً آخر , ونبحث في صيغة الجمع ومن المقصود بها , فقد اختلف فيها المفسرون على خمسة وجوه أجملها لنا

---

[١]- مجمع البيان ٤ / ٣٠٤ ، والنص القرآني من سورة الطلاق : ١.
٢- البحر المحيط ٧ / ١٧١.
٣- الكشاف٣ / ٤٨٣.

الشيخ الطبرسي بقوله: (((أحدها) أنَّه خاطب آدم وحواء وإبليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين , وهذا غير منكر , وإنْ كان إبليس قد خرج قبل ذلك بدلالة قوله تعالى: (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) فجمع الخبر للنبيﷺ لأنَّهم قد اجتمعوا في الهبوط وإنْ كانت أوقاتهم متفرقة فيه (...) (والثاني) أنَّه أراد آدم وحواء والحية , وفي هذا الوجه بُعد , لأنَّ خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولأنَّه لم يتقدم للحية ذكر (...) (والثالث) أنَّه أراد آدم وحواء وذريتهما ؛ لأنَّ الوالدين يدلان على الذرية وتتعلق بهما (والرابع) أنْ يكون الخطاب يختص بآدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لأنَّ الاثنين أول الجمع (...) (والخامس) آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهو ضعيف))[٦٩١].

ولم تخرج آراء المفسرين عما ذكره الشيخ[٦٩٢] , وإنْ كان أغلبه لا يسلم من مؤاخذة , مع ملاحظة أنَّ آدم وحواء عليهما السلام هما القاسم المشترك في جميع الآراء .

وذهب السيد السبزواري إلى أنَّ المراد بالهبوط ((هنا النزول من المحل الذي لا عناء فيه إلى دار التعب والعناء , والكدورة والشقاء , ولا اختصاص لذلك بآدم (عليه السلام) وحواء , بل هو جار في مطلق الإنسان , وقد اثبت ذلك علماء الأخلاق والفلسفة والعرفان))[٦٩٣] , ثم عاد وذكر (رحمه الله) في (اهبطوا) الثانية أنَّ ((الخطاب هنا ظاهر في الجمع أي : ادم (عليه السلام) وذريته))[٦٩٤]. وكذلك جاء الخطاب بصيغة الجمع في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ (الأعراف:٢٤)

أما في سورة طه فجاء الأمر بصيغة المثنى في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى** ﴾ (طه:١٢٣). وعلَّله الزمخشري بقوله : ((لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر , والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا : جُعلا كأنَّهما البشر في أنفسهما , فخوطبا مخاطبتهم ، فقيل (فأما يأتينكم) على لفظ الجماعة))[٦٩٥] . وقيل : ((الخطاب لآدم ومعه ذريته ولإبليس ومعه ذريته فلكونهما جنسين صح قوله: (اهبطا) ولأجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله (فأما يأتينكم)))[٦٩٦] , وهو قريب من قولهم : ((المأمور بالهبوط من الجنة آدم وإبليس وأما حواء فتبع لزوجها , والخطاب

١- مجمع البيان ١ / ٨٧ ، والنص القرآني من سورة الحجر : ٣٤.
٢- ظ الكشاف١ / ١٣٢ ، والتفسير الكبير٣ / ٤٦٣. وروح المعاني٨ / ١٠٢.
٣- مواهب الرحمن ١ / ١٨١.
٤- السابق١ / ١٨٤.
٥- الكشاف٣ / ٩٢.
٦- التفسير الكبير٢٢ / ١١٠.

في قوله (بعضكم) خطاب لآدم وإبليس . وخُوطبا بضمير الجمع لأنَّه أُريد اوة نسليهما فإنَّهما أصلان لنوعين نوع الإنسان ونوع الشيطان))[٦٩٧] ، وهذا ما يراه الباحث , الله اعلم .

ونظير ما تقدم قوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ** ﴾ (الحجرات:٩)، وجعله الزمخشري من باب الحمل على المعنى حيث قال : ((فإنْ قلت : ما وجه قوله :(اقتتلوا) والقياس اقتتلتا , كما في قراءة ابن أبي عبلة . أو اقتتلا , كما قرأ عبيد ابن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين ؟ قلت : هو مما حُمل على المعنى دون اللفظ ؛ لأنَّ الطائفتين في المعنى القوم والناس))[٦٩٨] .

وذهب الرازي في تفسيره مذهباً آخر بقوله : ((قال : (اقتتلوا) ولم يقل اقتتلا , وقال : (فأصلحوا بينهما) ولم يقل بينهم , وذلك لأنَّ عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة , وكل أحد برأسه يكون فاعلاً فعلاً , فقال : (اقتتلوا) وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة ، وإلا لم يكن يتحقق الصلح فقال : (بينهما) لكون الطائفتين حينئذ كنفسين))[٦٩٩] , أي إن ((التعبير القرآني جعل الطائفتين في القتال تلتحمان وتصبحان (جمعاً) مختلطاً متضارباً بينما ساعة الصلح ينفصل هذا (الجمع) إلى طائفتين إثنتين لترسل كلٌ منهما مندوباً عنها يتفاوض باسمها))[٧٠٠]. وهنا تتبين دقة التعبير القرآني ومراعاته للظرف الاجتماعي الذي يمر به المقاتلون في الحرب وفي الصلح.

وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾(الملك:٣-٤). فكرَّتين هنا لا يُراد بها التثنية ، إنَّما هي للتكثير والتكرار ، والمعنى: (((فارجع البصر) أي فرد البصر وأدره في خلق الله واستقص في النظر في السماء (هل ترى من فطور) أي شقوق وفتوق (...) وقيل من وهن وخلل (...) (ثم ارجع البصر كرتين) أي ثم كرر النظر مرتين لأنَّ من ينظر في الشيء كرة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً وقيل معناه أدم النظر , والتقدير ارجع البصر

٧- التحرير والتنوير ١٦ / ٣٥٨ ، وظ المنار ٨ / ٣٥١.
١- الكشاف ٤ / ٣٥٥ ، وظ التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٣٩.
٢- التفسير الكبير ٢٨ / ١٠٥.
٣- وجوه من الإعجاز القرآني مصطفى الدباغ :٥٣.

مرة بعد أخرى ولا يريد حقيقة التثنية لقوله وهو حسير ولا يصير حسيراً بمرتين , ونظيره قولهم : لبيك وسعديك أي إلباباً بعد إلباب وإسعاداً بعد إسعاد))[٧٠١] .

أي: إنَّك مهما حاولت ودققت وتفحصت فلن ترى خللاً ولا تفاوتاً في خلقه تعالى , لأنَّ خلقه جل وعلا على أتم صورة وأجمل مثال ، وإنَّك ((إنْ رجعت البصر وكرَّرت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب , بل يرجع اليك بالخسوء والحسور , أي : بالبعد عن إصابة الملتمس . كأنَّه يُطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة , وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد . فإنْ قلت : كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرتين اثنين ؟ قلت : معنى التثنية التكرير بكثرة , كقولك : لبيك وسعديك , تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض))[٧٠٢] . وهذا ما ذهب إليه بقية المفسرين[٧٠٣].

نلاحظ مما تقدم أنَّ صيغ الإفراد والتثنية والجمع لم يكن لها القول الفصل في تحديد دلالة المفردة , إنَّما روعي في ذلك دلالة الآية , ثم سياق السورة بكاملها , ثم قبول المعنى لتلك الصيغة من عدمه ، لذلك لجأ الكثير من المفسرين والقرآ نيين إلى فهم جو السورة والآية لتحديد المراد من الصيغة الدالة على التثنية أو الجمع , وهذا من بديع النظم القرآني , وسر من أسرار خلوده , وهو يعكس من جانب آخر سعة العربية وقدرتها على استيعاب المعاني بأساليب مختلفة , وطرائق متعددة.

دلالة التذكير والتأنيث

اهتم العرب بالمذكر والمؤنث , وخصَّوه بعناية كبيرة , حتى ألَّفوا في ذلك الكتب , وعقدوا له الأبواب . وقسَّموا المؤنث على سماعي وقياسي , وجعلوا له علامات تميزه عن المذكر , وقواعدَ تحكم استعماله . وقد جاء في القرآن الكريم ما خالف ذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾(فصلت:١١) . فقال (طائعين) وكان وجه الكلام حسب القاعدة أنْ يُقال : طائعتين أو طائعات , على التأنيث , وعلة ذلك عند الفراء أنَّه ((ذهب به إلى السماوات ومن فيهن , وقد يجوز : أنْ تقولا , وإنْ كانتا اثنتين : أتينا طائعين , فيكونان كالرجال لما تكلمتا))[٧٠٤] , أي : أنَّه من باب الحمل على المعنى , لما خاطب السماء

٤- مجمع البيان ٥ / ٣٢٣.

١- الكشاف ٤ / ٥٦٤.

٢- ظ البحر المحيط ٨ / ٢٩٨ ، والتفسير الكبير ٣٠ / ٥٨٢ ، والميزان ٢٠ / ١٦. على سبيل المثال.

٣- معاني القرآن للفراء ٣ / ١٣.

ومن فيها , والأرض ومن فيها من العقلاء وغيرهم , وكان ذلك جمعاً , جاء الجواب بصيغة الجمع , وغَلَّب العقلاء على غير العقلاء[٧٠٥]

وهذا الوجه مردود ؛ لأن هذه الآيات تحكي قصة خلق السماء والأرض , ولم يكن فيهن عقلاء ولا غير العقلاء , لأنَّهن لما يُخلقن , فكيف يكون فيهن مخلوق قبل خلقهن ؟ ! , قال الزمخشري في قوله تعالى: ((أتيا طوعاً أو كرهاً))((أئتيا على ما ينبغي أنْ تأتيا عليه من الشكل والوصف : أئتي يا أرض مدحوةً قراراً ومهاداً لأهلك ، وأئتي يا سماء مقببةً سقفاً لهم . ومعنى الإتيان : الحصول والوقوع ، كما تقول : أتى عمله مرضياً ، وجاء عمله مقبولاً ، ويجوز أنْ يكون المعنى : لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أُريده وتقتضيه الحكمة والتدبير : من كون الأرض قراراً للسماء ، وكون السماء سقفاً للأرض))[٧٠٦] .

والأنسب أنْ يقال : ((أنَّهما جرتا على المراد , ووقفتا عند الحدود والإقرار , من غير معاناة طويلة , ولا مشقة شديدة . فكانت في ذلك جارية مجرى الطائع المميز إذا انقاد إلى ما أُمر به , ووقف عند ما وقف عنده))[٧٠٧] ، فلذلك جاء الجواب ممن يعقل ؛ لأنَّهما فعلا فعل العقلاء[٧٠٨] ، قال السيد الطباطبائي ((والتعبير الخاص بأولي العقل – طائعين - لمكان المخاطبة والجواب وهما من خواص أولي العقل , والتعبير بلفظ الجمع دون أنْ يقولا : أتينا طائعتين له ، تواضع منهما بعدِّ أنفسهما غير متميزة من سائر مخلوقاته تعالى المطيعة لأمره , فأجابتا عن لسان الجميع , نظير ما قيل في قوله تعالى (إيالك نعبد وإياك نستعين)))[٧٠٩] .

وعلى ماتقدم قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾(البقرة:٢٣٤) , فقال : وعشراً , والقياس : وعشرة ؛ لأنَّ المعدود مذكر وهو الأيام , أي : أربعة أشهر وعشرة أيام , قال الزمخشري: ((وقيل عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخلة معها ، ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام . تقول : صمت عشراً ، ولو ذكَّرتَ خرجت من كلامهم))[٧١٠].

٤- ظ مجمع البيان ٥ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٢٤.

[١]- الكشاف ٤ / ١٨٤.

٢- تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي : ٢٩٣.

٣- ظ مجمع البيان ٥ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٢٤.

٤- الميزان ٢٤ / ٢٨٩.

٥- الكشاف ١ / ٢٧٨.

وقيل : ((إنَّما أنَّث العشر لأنَّ المراد به المدة . والمعنى وعشر مدد ، كل مدة من يوم وليلة ، فالليلة مع يومها مدة معلومة من الدهر . وقيل : لم يقل عشرة تغليباً لحكم الليالي إذ الليلة أسبق من اليوم , والأيام في ضمنها (وعشراً) أخف في اللفظ فتُغلَّب على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ ، لأنَّ ابتداء الشهور بالليل عند الاستهلال ، فلما كان أول الشهر الليلة غلب الليلة ؛ تقول : صمنا خمساً من الشهر ؛ فتغلب الليالي وإنْ كان الصوم بالنهار ، وذهب مالك والشافعي والكوفيون الى أنَّ المراد بها الأيام والليالي))[٧١١].

ونلحظ فيها تقدم مراعاة المعنى على حساب اللفظ , سواء كان ذلك في الآية الأولى أو في الآية الأخرى , وهذا باب واسع في العربية , ومتعدد الاستعمالات , وقد جاء في القرآن الكريم أيضاً.

دلالة العــدول

مــن فنون البديع التي عُني بها البلاغيون , فعرَّفه ابن العتز (٢٩٦هـ) بأنَّه ((انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلك))[٧١٢] , وسماه ابن الأثير (٦٣٧ هـ) شجاعة العربية , وعرفه بأنَّه ((الانتقال من الصيغة الى الصيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب , ومن غائب الى حاضر , أو من فعل ماضي الى مستقبل , أو من مستقبل الى ماضٍ))[٧١٣] , واختصر العلوي (٩٤٧هـ) ذلك بقوله: ((هو العدول من أسلوب في الكلام الى أسلوب مخالف للأول))[٧١٤] , وعلى ذلك يكون العدول: انتقال بين وجوه الكلام , وتغيير في أساليبه , وتجديد في استعماله صيغه , بغية الوصول الى المعنى المراد , ومنحه الأهمية المبتغاة .

وذكروا من فوائده دفع الضجر عن السامع , وتجديد نشاطه , والإبقاء على رغبته في الاستماع ؛ لأنَّ الكلام ((كلما كان مقتصراً به على فن واحد من الإبداعات ، وإنْ كان حسناً في نفسه ، لم يحسن ؛ لأنَّ ذلك مؤدٍ إلى سآمة النفس , فإنَّ شيمتها الضجر مما يتردَّد والولع بما يتجدد))[٧١٥] ، لذلك عَدَّ البلاغيون مما يحسن بالمتكلم ((أنْ يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفي ما دلت عليه بالوضع في جميع ذلك , والبعد عن التواطؤ والتشابه , وأنْ يُؤخذ الكلام من كل مأخذ حتى يكون مستجداً بعيداً من

١- الجامع لأحكام القرآن ٣ / ١٢٣ ، وظ التحرير والتنوير ٢ / ٤٤٢.
٢- البديع لابن المعتز : ٥٨.
٣- المثل السائر ٢ / ١٨١.
٤- الطراز المتضمن أسرار البلاغة : ١٣٢.
٥- منهاج البلغاء : ٦١.

التكرار , فيكون أخف على النفس وأوقع منها بمحل القبول . ويقتدر على هذا بمعرفة كيفيات تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلت عليه , والبصيرة بضروب تركيباتها وشتى مآخذها))[٧١٦]. ويأتي لأغراض أخرى ترتبط بدلالة المقام كالتعظيم والتنبيه والتوبيخ وغيرها[٧١٧].

والعدول - بعد ذلك- لا يتأتَّى في كل كلام , ولا يتقنه إلا من خبر البلاغة ودقائقها , واطلع على جزئياتها وخواصها , فهو ((لا يكون إلا لنوع خصوصية ، اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما , وفتش عن دقائقهما ولا نجد ذلك في كل كلام , فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان , وادقها فهماً, وأغمضها طريقاً))[٧١٨].

وسنقتصر هنا على العدول بالأمر من صيغة الى أخرى , ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** ﴾(الطارق:١٧) , حيث عدل عن (مهِّل) إلى (أمهل) , والجمع بينها ((تكرير للتأكيد لقصد زيادة التسكين وخُولف بين الفعلين في التعدية مرة بالتضعيف وأخرى بالهمز لتحسين التكرير))[٧١٩] .

والقول بأنَّ التكرار أفاد زيادة تصبير الرسولﷺ وتسكينه قول صحيح , أما أنَّه خالف بين الفعلين لتحسين التكرير فلا ؛ لأنَّ المخالفة هنا مقصودة , و((العدول عن الصيغة الأولى الى الصيغة الثانية إنَّما هو عدول فني مقصود , وذلك أنَّ الفارق بين صيغتي فعَّل وأفعل إنَّ الأولى تدل على التكثير غالباً . أما الثانية (أفعل) فللتعدية غالباً. ومن ثم جاء الأمر بالتمهُّل مطلقاً دون تقييد بالقليل جاء معه الفعل (مهِّل) الدال على التكيثر , ولما كان الفعل يُشعر بطول مدة التمهيل مما قد يلقي الوهن واليأس في قلوب الدعاة , أعقبها القرآن بصيغة أفعل مقيَّدةً بما يفيد التقليل , ليدل بذلك على أنَّ تمهيلهم وإمهال الله تعالى إياهم وإنْ طال فهو آت لا محالة , وهو قليل لا شك في مقابل ما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))[٧٢٠] .

واختُلف في مدة الإمهال , فمنهم ((من قال : أمهلهم رويداً إلى يوم القيامة وإنَّما صغر ذلك من حيث عُلم أنَّ كل ما هو آت قريب , ومنهم من قال : أمهلهم رويداً إلى يوم بدر والأول أولى))[٧٢١] .

١- منهاج البلغاء :١٧.
٢- ظ المثل السائر ٢ / ٧٣ ، والبرهان ٣ / ٣٢٦-٣٣٠.
٣- المثل السائر٢ / ١٨٤.
٤- التحرير والتنوير٣٠ / ٢٦٩ ، وظ الكشاف ٤ / ٧٢٤.
٥- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم :١٨٠.
٦- التفسير الكبير ٣١ / ١٢٣.

فهنا يتضح المعنى , وتبدو جمالية التعبير والمخالفة , فمهما كان الإمهال – وإنْ استمر طيلة حياتهم – فهو قليل , لأنَّ الحياة الدنيا إذا قيست بالآخرة كانت قليلة , وقليلة جداً بحيث لا يمكن المقارنة بينهما , فهذه سنوات معدودة , وتلك خلود , وفي هذا الكلام تهديدٌ وردعٌ و زجرٌ عما هم فيه , ودعوة إلى العود إلى الله تعالى ((فإنَّما هي الحكمة وراء الإمهال .الإمهال قليلاً. وهو قليل حتى لو استغرق عمر الحياة الدنيا . فما هو عمر الحياة إلى جانب تلك الآباد المجهولة المدى؟))[٧٢٢].

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾(الأعراف:٢٩) . وخرَّجه الزمخشري على تقدير (قل) , أي : ((وقل : أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها))[٧٢٣] , ولعل السبب في هذا التقدير افتتاح الآية بـ (قل) , فحسن تقدير (قل) ليكون الكلام على نسق واحد , قال ابن الأثير : ((وكان تقدير الكلام : أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ولهذا قال النبي (الأعمال بالنيات)))[٧٢٤].

ومما يلاحظ في هذا العدول أنَّه ليس عدولاً من الخبر إلى الإنشاء , إنما هو عدول من الإنشاء إلى الإنشاء في المعنى ؛ لأنَّ بدء الآية أفاد الأمر أيضاً , وإنْ كان أسلوبه خبرياً , وذلك بواسطة الفعل (أمر) ، فهو من المواد التي تدل على الأمر- كما سنرى -.

وعلى ما تقدم قوله جل وعلا :﴿ **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ (هود:٥٤) ، فعبر عن إشهاد الله تعالى بالخبر، وعن إشهادهم بالأمر ، ((فإنْ قلت : هلا قيل : إنِّي أُشهد الله وأُشهدكم ؟ قلت :لأنَّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجُيء به على لفظ الأمر بالشهادة ، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه : اشهد على أني لا أحبك ، تهكماً به واستهانة بحاله))[٧٢٥]. وقيل: ((يحتمل أنْ يكون إشهاده لهم حقيقة ، والغرض إقامة الحجة عليهم ، وإنما عدل إلى صيغة

١- في ظلال القرآن ٣٠ / ١٢٣.
٢- الكشاف ٢ / ٩٦.
٣- المثل السائر ٢ / ١٨٤.
٤- الكشاف ٢ / ٣٨٨ ، وظ المثل السائر ٢ /١٨٣-١٨٤ .

الأمر عن صيغة الخبر ، للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم ، بأنْ يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر))[٧٢٦].

وعلَّله ابن عاشور بقوله: ((وجملة (أشهد الله) إنشاء لإشهاد الله بصيغة الإخبار لأنَّ كل إنشاء لا يظهر أثره في الخلق من شأنه أنْ يقع بصيغة الخبر لما في الخبر من قصد إعلام السامع بما يضمره المتكلم ولذلك كان معنى صيغ العقود إنشاء بلفظ الخبر (...) . وأتى في إشهادهم بصيغة الأمر لأنَّه أراد مزاجة إنشاء الإشهاد دون رائحة معنى الإخبار))[٧٢٧].

ويبدو أنَّه أشهد الله تعالى تبرئةً لنفسه ، وإعلاناً لموقفه أمامه عز وجل وأمامهم ؛ لذلك جاء بلفظ الخبر توكيداً وتقويةً لهذا المعنى ، وجاء إشهادهم بالأمر لأنَّ الحديث معهم مواجهة ، وفيه إلزامهم الحجة ، ودليل على بطلان ما يعملون ، لذا أخبر عليه السلام وأمرهم بالشهادة على أنَّه بريء من عملهم ، ليكون ذلك أبلغ في ردهم إلى الدين ، وردعهم عما هم فيه .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾(آل عمران :١٦٠). وكذلك قوله تعالى:﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (المائدة:١١). فعدل في الآية الأولى من شرط مع المخاطب إلى أمر للغائب ، وفي الآية الأخرى من أمر المخاطب بفعل الأمر إلى أمر الغائب باللام الداخلة على الفعل المضارع ، وما ذلك إلا لمعنى قصد إليه ، فالأمر بصيغة اللام الداخلة على الفعل المضارع أوسع وأشمل من الأمر بفعل الأمر ، لأنَّ الأولى تشمل كل من يصل إليه الأمر حاضراً كان أم غائباً ، وسيتضح ذلك في بحثنا لهذه اللام.

ومن العدول من صيغة إلى أخرى في المصادر ما نجده في قوله تعالى :﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾(المزمل :٨) ، حيث عدل عن التبتُّل الذي هو مصدر الفعل تبتَّل الى التبتيل وهو مصدر الفعل بتّل ، وذكرنا في الفصل الأول أنَّ ذلك لرعاية الفاصلة القرآنية على رأي بعض المفسرين[٧٢٨].

٥- الانتصاف لأحمد الإسكندري على حاشية الكشاف ٢ / ٣٨٨.
١- التحرير والتنوير ١٢ / ٩٩.
٢- ظ من هذه الرسالة..

أما هنا فيكفينا قول الدكتور فاضل السامرائي معللاً ذلك : ((وتوضيح ذلك انَّ (تبتَّل) على وزن (تفعَّل) وهو يفيد التدرج. والتكلف ، نحو تحسى الماء ، أي شربه حسوةً حسوةً ، وتجرَّع الدواء أي شربه جرعةً جرعةً (٠٠٠) أما (فعَّل) فيفيد الكثرة وذلك نحو كسر وكسَّر، فكسَّر يفيد التكثير والمبالغة تقول : كسرت القلم وكسَّرته ، ففي كسَّرته تكثير ، ومثله قطعت اللحم وقطَّعته ، فالتقطيع يفيد التكثير ، ونحوه ذبَّح ، فجاء بالفعل الدال على التدرج والتكلف ، وهو (تبتَّلْ) والمصدر الدال على التكثير وهو(تبتيل) فجمع المعنيين : التدرج والتكثير))[٧٢٩].

ويضيف الدكتور السامرائي قائلاً : ((ولو نظرت إلى هذه الآية لرأيتها مصوغةً صياغةً فنيةً عاليةً ، فالتبتُّل معناه الانقطاع إلى الله في العبادة ، والعبادة تأتي بالتدرج ، وحمل النفس ، وتكلف مشاقها فجاء بالفعل الدال على التدرج أولاً ، ثم جاء بالمصدر الدال على التكثير ، ومعنى ذلك ابدأ بالتدرج ، وانتهِ بالكثرة ، وهو توجيه تربوي سليم ، ولو عكس فجاء بالفعل الدال الكثرة أولاً ثم جاء بعده بالمصدر الدال على التدرج لم يفد هذه الفائدة.

ولو قال :(تبتَّل تبتُّلاً) لم يزد على معنى التدرج ، ولو قال (بتِّل نفسك إليه تبتيلاً) ما زاد على معنى الكثرة ، ولكن أراد المعنيين ، فجاء بالفعل من صيغة ، والمصدر من صيغة أخرى فجمعهما ، فهو بدل أنْ يقول : (وتبتَّل إليه تبتلا وبتِّل نفسك إليه تبتيلاً) أخذ فعلاً لمعنى ومصدراً لفعل آخر فجمعهما ثم قدم التدرج على الكثرة))[٧٣٠].

هذه نماذج من العدول بصيغ الأمر في القرآن الكريم ، علَّها تشكل صورةً واضحةً عن رعاية المعنى ، في هذا النص الإلهي المعجز.

١- معاني النحو ٢ / ١٤٠-١٤١ ، وظ التعبير القرآني: ٣٤-٣٥.
٢- معاني النحو ٢ / ١٤٠-١٤١ ، وظ التعبير القرآني: ٣٤-٣٥.

ذكر النحاة خمس صيغ للأمر ، درسنا في الفصل السابق ما هو صرفي منها ، ونأتي هنا للصيغ النحوية ، وهي صيغتان : لام الأمر + الفعل المضارع ، والأمر بالخبر . وسنبحث ذلك تباعاً - إنْ شاء الله تعالى - .

أولاً : لام الأمر + الفعل المضارع :

وتُسمى لام الطلب[٧٣١] ، وقد جاءت في أكثر من ثمانين موضعا في القرآن الكريم[٧٣٢] . وهي مكسورة إذا لم تُسبق بحرف عطف نحو قوله تعالى :﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾(الطلاق:من آية٧) ، فإذا سبقها الواو أو الفاء كانت ساكنة نحو قوله تعالى :﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾(النساء:٩)، وتُكسر حملاً لها على الأصل ، وهو قليل ومنه قوله تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(العنكبوت:٦٦) ، فاللام في (ليتمتعوا) لام الأمر وهي مكسورة مع أنَّها مسبوقة بالواو ، ويجوز أنْ تكون لام التعليل[٧٣٣] . أما إذا سبقتها (ثم) فوجهها الكسر ، وقد تُسكَّن ـ كما في القرآن ـ حملاً لثم على الواو والفاء نحو قوله تعالى :﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج:١٥)[٧٣٤] .

واختُلف في مدخول هذه اللام ، فذهب البصريون إلى أنَّها لا تدخل إلا على فعل الغائب[٧٣٥] ، وخالفهم ابن السراج بقوله :((تأمر بها المخاطب ، كما تأمر بها الغائب)) [٧٣٦] ، وعد الكوفيون أمر المخاطب بهذه اللام هو الأصل ، ولكنها حُذفت مع حرف المضارعة للتخفيف ، فأصبح المخاطب يُؤمر بصيغة (افعلْ) بدلاً من (لِتفعلْ) وهذا قولهم : ((إنَّ الأصل في الأمر للمواجه في نحو افعل أنْ يكون باللام نحو لتفعلْ كالأمر للغائب ، إلا أنَّه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً

٧٣١- ظ الجني الداني : ١٥٢ ، ومغني اللبيب ١ / ٢٩٤ .
٧٣٢- ظ دراسات لأسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عضيمة ٢ / ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، وصيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٧٩ ، حيث ذكر الأستاذ عضيمة أنَّها جاءت في ثمانين موضعاً ، وزاد عليه الطحان أربعة مواضع.
٧٣٣- ظ الكشاف ٣ / ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .
٧٣٤- ظ تفصيل ذلك في اللامات:أبو القاسم الزجاجي : ٨٩ ـ ٩٠ ، وصيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٨٢ ـ ٨٣ .
٧٣٥- ظ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١٤٦ ، وصيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ٨١ .
٧٣٦- الأصول في النحو، ابن السراج ٢ / ١٥٧ .

للتخفيف))[٧٣٧].ومن أدلة الكوفيين على ما ذهبوا اليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس :٥٨) مستندين إلى

قراءة (فلتفرحوا)[٧٣٨] ، وجعل الزركشي هذه القراءة ((من باب حمل المخاطب على الغائب إلى الخطاب ، فإنَّه لا غائب ولا حاضر ؛ وذلك لأنَّ قوله تعالى: ((قل بفضل الله ورحمته فبذلك فلتفرحوا)) فيه خطاب للنبي ﷺ مع المؤمنين ، وخطاب الله تعالى مع النبي للمؤمنين كخطاب الله تعالى لهم ؛ فكأنَّهما اتحدا في الحكم ووجود الاستماع والاتباع ، فصار المؤمنون كأنَّهم مخاطَبون في المعنى ، فأتى باللام كأنَّه يأمر قوماً غيَّباً ، وبالتاء للخطاب وكأنَّه يأمر حضوراً))[٧٣٩] ، وكذلك قُريء (ولتعفوا ولتصفحوا)[٧٤٠] في قوله تعالى :﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور :٢٢) ، وجعل ابن عطية اللام في قوله تعالى :﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (الزخرف :١٣) ، لام الأمر[٧٤١] ، والظاهر أنَّها لام كي[٧٤٢].

وذهب الدكتور أحمد عبد الستار الجواري إلى أنَّ الأمر ((باللام فيه شيء من اللين والتلطف يكاد يقربه من الرجاء والالتماس وبذل النصيحة))[٧٤٣] ، على حين ذهب باحث آخر إلى أنَّ أمر المخاطب بهذه اللام يُراد به تأكيد الأمر ، فقولنا (لتفعلْ) أكثر تأكيداً من قولنا (افعلْ)[٧٤٤] . وعلى كلا الرأيين لا مانع من أمر المخاطب بهذه اللام .

ومن مزايا هذه اللام أنَّ المتكلم يأمر بها نفسه نحو قوله تعالى :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (العنكبوت :١٢) ، قال الزمخشري : ((أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم ، وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر ، وأرادوا : ليجتمع هذان الأمران في الحصول أنْ تتبعوا سبيلنا وانْ نحمل

---

[٧٣٧]- الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٥٢٨ ، وظ مغني اللبيب ١ / ٣٠٠ .
[٧٣٨]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ابن جني ٢ / ٤٣٣.
[٧٣٩]- البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٧٥ .
[٧٤٠]- ظ البحر المحيط ٦ / ٤٤٠.
[٧٤١]- تفسير ابن عطية ٥ / ٤٧.
[٧٤٢]- ظ روح المعاني ٢٧ / ٦٧ .
[٧٤٣]- نحو الفعل : د.أحمد عبد الستار الجواري : ٥٨ .
[٧٤٤]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن : ٨٢ .

خطاياكم . والمعنى : تعليق الحمل بالاتباع))[٧٤٥]. فصيغته أمر ومعناه شرط ، أي : إنْ تتبعونا نحمل خطاياكم ، ولكنه عدل عن الشرط ؛ لأنَّ ((أمرهم أنفسهم بالحمل آكد من

الخبر عن أنفسهم بذلك ، ومن الشرط وما في معناه ، لأنَّ الأمر يستدعي الامتثال فكانت صيغة الأمر دالة على تحقيق الوفاء بالحمالة))[٧٤٦] .

وتبدو أهمية هذا الاستعمال عندما يتحدث الفرد باسم الجماعة ، فإنَّ أوامره لهم - بإشراك نفسه فيها- ستكون أكثر قبولاً ، وأخف وطأةً على من معه ، وبذلك يكونون أكثرَ ميلاً ، وأشدَ حزماً في تنفيذها ، فالفرق كبير بين قول القائل لأتباعه أو أنصاره (اذهبوا) أو (قاتلوا) ، وقوله : (لنذهبْ) أو (لنقاتلْ) فالصيغة الثانية أنسب وأوقع في نفوسهم ؛ لأنَّه يُشرك نفسه معهم ، ويحثهم على أمتثال الأمر والعمل به .

حذف لام الأمر :

اختلف النحاة في حذف هذه اللام وبقاء عملها ، فذهب سيبويه إلى أنَّه جائز في ضرورة الشعر ، وتبعه في ذلك قوم من النحاة ، ومنعه المبرد مطلقاً في الشعر والنثر ، وأجازه الكوفيون مطلقاً ، وخصَّه الكسائي بالجواز إذا جاء بعد أمر بالقول[٧٤٧] .

ومما حُذفت فيه لام الأمر قوله تعالى :﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾ (إبراهيم :٣١) ، فالفعل (يقيموا) مجزوم بلام الأمر المحذوفة ، وجوَّز ذلك أنَّه مسبوق بفعل الأمر (قلْ) فأغنى ذلك عن إعادة اللام[٧٤٨] ، وقيل: هو جواب شرط محذوف والتقدير : إنْ تقل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموها ، أو جواب طلب محذوف ، والتقدير: قلْ لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة ، وقيل: هو فعل مضارع بلفظ الخبر لكنه بُني لتضمنه معنى الأمر[٧٤٩]. ونُسب هذا القول لأبي على الفارسي ، وتبناه من المحدثين الدكتور قيس الأوسي بقوله : ((وأرى أنَّ رأي أبي علي الذي نقله أبو حيان ، والذي لم يرتضه ابن

---

[٧٤٥]- الكشاف ٣ / ٤٣٠ .
[٧٤٦]- التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٢٠ وظ مجمع البيان ٤ / ٢٧٥ والبحر المحيط ٧ / ١٤٣ والتفسير الكبير ٢٥ / ٣٥ .
[٧٤٧]- ظ تفصيل ذلك في الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .
[٧٤٨]- ظ مجمع البيان ٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦ ، والكشاف ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ، والتفسير الكبير ١٩ / ٩٥ .
[٧٤٩]- ظ مجمع البيان ٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٢٦ ، وصيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١١٢ ـ ١١٣ .

هشام[٧٥٠]، هو المفتاح لهذه القضية ، نستطيع به أنْ نفسر كلَّ هذه الشواهد التي جاء فيها المضارع مبنياً أو ساكنَ الحركة ، ونتخلص بذلك من كل تقديرات النحويين وتأويلاتهم وخلافاتهم فيها ، فنقول : إنَّ السكون أو البناء قد التُزم في هذه الأفعال المضارعة لأنَّها مستعمَلة بمعنى الأمر ، وهو قد التُزم فيها ، كما التزم في صيغة الأمر (افعلْ) و(لتفعلْ) ، لأنَّها تلتقي جميعاً في الدلالة على الطلب))[٧٥١] .

ويبدو للباحث أنَّ هذا الرأي جدير بالقبول ، على أنْ يكون الفعل المضارع معرباً مجزوماً ، وليس مبنياً . فلو تأملنا الأسلوب الذي جُزمتْ فيه هذه الأفعال لرأيناه جاء في ست آيات كريمة ، سُبق في جميعها بفعل الأمر (قل)[٧٥٢] ، وكان الخطاب في أربع منها إلى المؤمنين ، سواءً كان بلفظ المؤمنين ، أو الذين آمنوا ، أو بصفة تدل عليهم كما في قوله تعالى :﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُّبِيناً﴾ (الإسراء :٥٣) حيث فُسر العباد هنا بالمؤمنين[٧٥٣] ، ووُجه الخطاب في الخامسة للمؤمنات ، وفي السادسة لنساء النبيﷺ وبناته ونساء المؤمنين . وهذا يعني ((أنَّ المقول لهم الخُلّصّ وهم متى أُمروا امتثلوا ، ومن هنا قالوا : إنَّ في ذلك إيذاناً بكمال مطاوعتهم وغاية مسارعتهم إلى الامتثال ، ويشد عضد ذلك حذف المقول لما فيه من إيهام أنَّهم يفعلون من غير أمر))[٧٥٤] . ويؤيد هذا القول ما قاله ابن عاشور معقباً على الآية الحادية والثلاثين من سورة إبراهيم عليه السلام: ((ولما كان المؤمنون يقيمون الصلاة من قبل ويتقون من قبل تعيَّن أنَّ المراد الاستزادة من ذلك ، ولذلك اختِير المضارع مع تقدير لام الأمر دون صيغة فعل الأمر ؛ لأنَّ المضارع دال على التجدد ، فهو مع لام الأمر يلاقي حال المتلبس بالفعل الذي يُؤمر به بخلاف صيغة (افعلْ) فإنَّ أصلها طلب إيجاد الفعل المأمور به ممن لم يكن متلبساً به))[٧٥٥].

٧٥٠- ظ مغني اللبيب ١ /٣٠٠ .
٧٥١- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١٥٢ .
٧٥٢- الآيات هي : إبراهيم : ٢٣١ ، الإسراء : ٢٥٣ ، النور : ٣٠ ـ ٣١ ، الأحزاب : ٥٩ ، الجاثية : ١٤ ، و ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١١٢ .
٧٥٣- ظ الكشاف ٢ / ٦٤٦ .
٧٥٤- روح المعاني ١٣ / ٢٢٠ .
٧٥٥- التحرير والتنوير ١٣ / ٢٣٢ .

وعلى هذا يكون المضارع في الآيات السابقة جمع معنيين ، الأول : دلالته على التجدد والحدوث كونه مضارعاً ، والآخر : دلالته على الأمر كونه مجزوماً . واختص هؤلاء المأمورين بهذا الأسلوب لأنَّهم أقرب ما يكونون إلى الامتثال والطاعة وعدم المعصية ، لذلك جاء الأمر لهم ليناً لطيفاً لا غلظة فيه ولا خشونة ، فعدل عن صيغة (افعلْ) وصيغة (لتفعلْ) إلى صيغة خاصة تدل على الأمر بجزم المضارع فقط ، تمييزاً لهؤلاء المأمورين ، وإكراماً لهم ، والله اعلم .

ثانياً : الأمر بالخبر :

أحد أساليب الأمر التي أقرَّها النحاة ، وعالجوها في كتبهم ، وفائدته تقوية الأمر وتوكيده ، قال الفراء : ((إنَّ الإخبار في معنى الأمر والنهي آكد وأبلغ من صريح

الأمر والنهي ، لأنَّه كأنَّه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يُخبر عنه))[٧٥٦]. وقريب منه قول الزمخشري : ((وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيدٌ للأمر وإشعارٌ بأنَّه مما يجب أنْ يُتلقي بالمسارعة إلى امتثاله))[٧٥٧] ، وكذلك قوله : ((وإنَّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به ، فيُجعل كأنَّه يوجد ، فهو يخبر عنه))[٧٥٨] ، وعلى ذلك أقوال بقية النحاة والمفسرين[٧٥٩] .

ولعلنا نلحظ توسعاً في الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب ، حيث وردت في القرآن الكريم صيغ وتفريعات متعددة تندرج كلها تحت أسلوب الأمر بالخبر ، ولا سيما تلك الصيغ التي لم يذكرها النحاة في كتبهم ، ولم يشيروا اليها ، وسنرى ذلك واضحا في أثناء البحث ، وسيكون هذا المبحث على قسمين رئيسين هما : الأمر بالجملة الاسمية ، والأمر بالجملة الفعلية .

١- الأمر بالجملة الاسمية : وهو على أقسام هي :

---

[٧٥٦]- معاني القرآن للفراء

[٧٥٧]- الكشاف ١ / ٢٦٧ .

[٧٥٨]- الكشاف ٢ / ٤٥٨ .

[٧٥٩]- ظ البحر المحيط ٢ / ١٥٨ ، والتفسير الكبير ٣ / ٥٨٥ ، وشرح شذور الذهب : ٦٩ ، والمنار ٢ / ٤٠٩ ، ومواهب الرحمن ٢ / ٦ .

أ- الجملة الاسمية المجردة :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة :٨٩) ، فـ (كفارته إطعام عشرة مساكين) مبتدأ وخبر أريد بهما الأمر ، والهاء في (كفارته) تعود على الحنث في اليمين ، أي : فكفارة نكثه تكون بالإطعام أو تحرير رقبة أو صيام[٧٦٠].

ومنه قوله جل وعلا :﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة :٢٦٣) ، قال الزمخشري : ((رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيلُ مغفرة من الله بسبب الرد الجميل ، أو عفو من جهة السائل لأنَّه إذا رده رداً جميلاً عذره (خير من صدقه يتبعها أذى) ، وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة))[٧٦١].

ويبدو الأمر هنا ليناً لطيفاً ينساق مع الموقف الإنساني في كيفية رد السائل ، إذ يجب أنْ يكون هذا الرد خالياً من القسوة والغلظة والتجريح ، فهو خير من إعطائه الصدقة وإتباعها بما يسيء إلى إنسانيته وكرامته.

ومن ذلك ما جاء الخبر فيه جملة فعلية فعلها مضارع نحو قوله تعالى :﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة :من الآية ٢٣٣) ، فالجملة دالة على الأمر ((وجُعل الخبر فعلاً لأنَّ الإرضاع مما يتجدد دائماً ، ثم اضيف الأولاد إلى الوالدات تنبيهاً على شفقتهن على الأولاد ، وهزاً لهنَّ وحثاً على الإرضاع ، وقيَّد الإرضاع بمدة ، وجعل ذلك لمن أراد الإتمام))[٧٦٢] .

وعلَّلتْ إحدى الباحثات مجيء الأمر هنا على صيغة الخبر بقولها : ((ذلك لأنَّ الرضاعة استجابة فكرية لدى المرأة ، وقناعتها أعظم من أنْ تكون أمراً يُوجه إليها ، ثم انَّ

---

[٧٦٠]- ظ الكشاف ١ / ٦٥٩ .
[٧٦١]- الكشاف ١ / ٣٠٧ .
[٧٦٢]- البحر المحيط ٢ / ٢١٦ .

صيغة الخبر بهذا الشكل يؤكد دور المرأة في بناء الطفل من الجانب النفسي ، والتكوين الاجتماعي))[٧٦٣] .

يزاد على ذلك أنَّ علاقة الأم بوليدها علاقة يغمرها الحنان والعاطفة الغريزية التي أودعها الله تعالى لدى الأم ، فلا يُظن - مع كل هذه العلاقة - أنْ تمتنع المرأة عن إرضاع ولدها ، فجاء الأمر بهذه الصيغة ليناً هادئاً ناظراً إلى هذه العلاقة الجميلة بين الأم ورضيعها ، وكأنَّه يقول للأم : أنت لست بحاجة إلى أمر لإرضاع وليدك ؛ لأنَّك - أصلاً - مأمورة بذلك ، بفعل تلك العاطفة التي تملكينها سلفاً ؛ وقالوا هذا الأمر ((أما أنْ يكون أمراً على وجه الندب ، وأما على وجه الوجوب إذا لم يتقبل الصبي إلا ثدي أمه ، أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار ، وقيل : أراد الوالدات المطلقات ، وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع))[٧٦٤].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة :من الآية ٢٢٨) ، قال الزمخشري : ((هو خبر في معنى الأمر . وأصلح الكلام : وليتربص المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيدٌ للأمر ، وإشعار بأنَّه مما يجب أنْ يُتلقى بالمسارعة إلى امتثاله . فكأنَّهن امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجوداً (...) وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد . ولو قيل : ويتربص المطلقات ، لم يكن بتلك الوكادة))[٧٦٥].

أي إنه قيَّد التربص بأنفسهن ((لتحريض النساء على التربص لانَّ الباء للتعدية فيكون المأمور به انْ يقمعن أنفسهن ويحملنها على الانتظار ، وفيه إشعار بكونهن مائلات إلى الرجال وذلك ما يستنكفن منه ، فإذا سمعن هذا (تربصنَ)))[٧٦٦].

والتربص يعني ((الانتظار بالشيء ، سلعة كانت يقصد بها غلاء ، أو رخصاً ، أو أمراً يُنتظر زواله أو حصوله))[٧٦٧] ، وعلى هذا يكون معنى (يتربصن بأنفسهن) ينتظرن مع ترقب حصول شيء قد يكون أو لا يكون ، وهو الحمل ، فغاية التربص هو

---

[٧٦٣]- أسلوب الخبر في القرآن الكريم دراسة بلاغية نقدية : أحلام موسى حيدر، رسالة ماجستير : ١٧٨ .
[٧٦٤]- الكشاف ١ / ٢٧٥ ، وظ التحرير والتنوير ٢ / ٤٣٠ .
[٧٦٥]- الكشاف ١ / ٢٦٧ ، وظ البحر المحيط ٢ / ١٨٥ ، والتفسير الكبير ٦ / ٤٣٤ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٢٥ .
[٧٦٦]- روح المعاني ٢ / ١٣١ .
[٧٦٧]- المفردات : ٣٣٨ .

التأكد من الحمل أو عدمه ، وعُلِّق به الجار والمجرور تأكيداً لهذه الحقيقة ، فإذا انقضت هذه القروء الثلاثة زال ذلك التربص ، وتبينت الحقيقة ، وأصبح بإمكانهن الزواج - إذا لم يكنَّ حواملاً - رعايةً للنسل البشري ، وحفاظاً على الأنساب من الاختلاط ، ومجيء المضارع في هذه الآية أفاد متابعة التربص ومعاودته ، لأنْ الفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث .

ب ـ الجملة الاسمية المؤكدة بحرف مشبه بالفعل :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ (آل عمران :١٩) . أي : ((إنَّ الدين المقبول أو النافع أو المقرر))[٧٦٨] ، عند الله هو الإسلام ، وما عداه فليس في شيء من الدين[٧٦٩] ، وهذا أمر جلي باتباع الدين الإسلامي وترك ما سواه ، يؤكد ذلك قوله جل وعلا :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران :٨٥) .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (البقرة :١٧٧) ، والبر اسم معنى يدل على عمل الخير ، واسم المعنى لا يجوز الإخبار عنه باسم الذات كما في الآية الكريمة ، وخُرِّج ذلك على حذف المضاف والتقدير : ولكن البرَّ برُ من آمن ، أو ولكن ذا البر من آمن ، وقيل البر نفس من آمن على طريق المبالغة[٧٧٠] ، كأنَّما يتحول الإنسان إلى بر خالص إذا ما قام بهذه الأعمال ، وفي ذلك حثٌ وتوكيدٌ على الأمر ، ووجوب الالتزام به .

جـ ـ الجملة الاسمية المؤكدة بإنَّما :

ومنه قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة :٥٥) ، فالآية تفيد اختصاص من ذكر بالموالاة ، لأنَّ الله ((تعالى لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذه

---

[٧٦٨]- البحر المحيط ٢ / ٤٠٧ .
[٧٦٩]- ظ الكشاف ١ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .
[٧٧٠]- ظ الكشاف ١ / ٢١٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣ .

الآية بموالاة من يجب موالاته وقال : (إنَّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) أي المؤمنون الموصوفون بالصفات المذكورة))[٧٧١] .

وعُلل قوله تعالى : وليكم بدلاً من (أولياؤكم) بأنَّ ((أصل الكلام إنَّما وليكم الله ، فجُعلت الولاية لله على طريق الأصالة ، ثم نُظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قيل إنَّما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع))[٧٧٢].

وقيل في سبب التوكيد بإنَّما دون غيرها ، إنَّ الكلام على وجه القصر ((لا يدع مجالاً لتمحل أو تأويل . ولا بد أنْ يكون الأمر كذلك ، لأنَّ المسألة (...) مسألة صميم العقيدة فأما أنْ تكون الثقة بالله مطلقة ، فتمتد إلى الرسول بصفة الرسالة ، والذين آمنوا بصفة الإيمان . وليس هو الإيمان السلبي ، إنَّما الإيمان الايجابي العامل : ((الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) . أي إن سمتهم الأولى هو الركوع والخضوع . وأما ألا تكون ثقة بالله ، فيأمل الناس النصر بعون غير عونه ، وبولاء غير الولاء له . ومن ثم فهي قضية الإيمان أو الكفر في هذا المقام))[٧٧٣].

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة :٦٠) ، فقوله تعالى : ((إنَّما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء . ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال إلا لهؤلاء))[٧٧٤] ، وهذا وهذا يعني قصر ((الصدقات على الأصناف المعدودة وأنَّها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها ، كأنَّه قيل : إنَّما هي لهم لا لغيرهم))[٧٧٥].

ومن بديع النظم أنَّه عدل عن اللام إلى الـ (في) في الأصناف الأربعة الأخيرة ((للإيذان بأنَّهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ، لأنَّ ((في))

---

[٧٧١]- التفسير الكبير ١٢ / ٣٨٢ ، وظ تفسير أبي السعود ٣ / ٥٢ ، ومواهب الرحمن ١٢ / ٦٨ .
[٧٧٢]- التفسير الكبير ٢ / ٣٨٧ ، وظ تفسير أبي السعود ٣ / ٥٢ .
[٧٧٣]- في ظلال القرآن ٦ / ٧٤ ـ ٧٥ .
[٧٧٤]- مجمع البيان ٣ / ٤١.
[٧٧٥]- الكشاف ٢ / ٢٧٣ .

للوعاء فنبَّه على أنَّهم أحقاء بأنْ توضع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنةً لها ومصباً))[٧٧٦] . وقيل في سبب ذلك ((إنَّ الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يُدفع إليهم ، وإنَّما يأخذونه ملكاً ، فكان دخول اللام لائقا بهم . وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يُصرف نحوهم ، بل ولا يُصرف إليهم . ولكن في مصالح تتعلق بهم ، فالمال الذي يُصرف في الرقاب إنَّما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون ، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيدهم حتى يُعبرَ عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يُصرف نحوهم ، وإنَّما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به ، وكذلك الغارمون إنَّما يُصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم . وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك ، وأما ابن السبيل فكأنَّه متدرجاً في سبيل الله))[٧٧٧] .

د ـ الأمر باللام وعلى الداخلتان على الاسم :

ومنه قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران من الآية:٩٧). وهذه اللام هي لام الاستحقاق ، وتفيد الإيجاب والإلزام في المأمور به ، قال القرطبي : ((اللام في قوله (لله) لام الإيجاب والإلزام ، ثم أكَّده بقوله تعالى (على) التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب ؛ فإذا قال العربي : لفلان علي كذا ؛ فقد وكَّده وأوجبه . فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأثيراً لحقه وتعظيماً لحرمته . ولا خلاف في فريضته))[٧٧٨] .

وأفاد مجيء (اللام وعلى) بيان الجهة التي يكون لها العمل ، والجهة التي يكون عليها، أي المكلفة به . فالحج يجب أنْ يكون خالصاً لله تعالى ، لا لغيره ، وهو فرض على جميع الناس دون انْ يختص بأتباع دين معين أو طائفة محددة ، قال الزمخشري : ((جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال : ان الله كتب عليكم الحج فحجوا))[٧٧٩] .

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة :٢٤١) ، فالآية الكريمة أوجبت التمتيع بالمعروف للمطلقات عموماً دون استثناء ، وجعلتْه حقاً على المتقين[٧٨٠].

---

[٧٧٦]- الكشاف ٢ / ٢٧٤ ، وظ المثل السائر ٢ / ٢٤١ ، والبحر المحيط ٥ / ٥٧ .
[٧٧٧]- الانتصاف، أحمد الاسكندري على هامش الكشاف ٢ / ٢٧٤ .
[٧٧٨]- الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٩١ ، وظ مواهب الرحمن ٦ / ١٧٣ ، والتحرير والتنوير ٤ / ٢٢.
[٧٧٩]- الكشاف ١ / ٣٨٣ .
[٧٨٠]- ظ الكشاف ١ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

وقد ترد اللام وحدها فتفيد معنى الأمر أيضاً ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء من الآية :١٢) ، فاللام في (لكم ولهن) المكررتين ، و (لكل واحد) أفادت الوجوب في كيفية تقسيم الإرث على الوارثين بتفرعاته وتقسيماته .

وكذلك ترد (على) وحدها ، فتفيد معنى الأمر أيضاً ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(البقرة من الآية :٢٣٣) . فدخول (على) على المولود له أوجبت عليه كسوة المرضعات بالمعروف ، وأمرته بها ، وجاء بلفظ المولود له دون لفظ الأب أو الوالد ((لما في ذلك من إعلام الأب ما منح الله له وأعطاه ، إذ اللام في له معناها شبه التمليك كقوله تعالى ((وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة))(...) ، ولذلك يتصرف الوالد في ولده بما يختار ، وتجد الولد في الغالب مطيعاً لأبيه ، ممتثلاً ما أمر به ، منفذاً ما أوصى به ، (...) فلما كان لفظ المولود مشعراً بالمنحة وشبه التمليك أتى به دون لفظ : الوالد ، ولفظ : الأب ، وحيث لم يرد هذا المعنى أتى بلفظ الوالد ولفظ الأب ، كما قال تعالى : ((ولا يجزي والد عن ولده))(...) ولطيفة أخرى في قوله : (وعلى المولود له) وهي أنَّه لما كُلِّف بمؤن المرضعة لولده من الرزق والكسوة ناسب انْ يُسلَّى بانَّ ذلك الولد هو ولِد لك لا لأمه ، وانَّك الذي تنتفع به في التناحر وتكثير العشيرة ، وأنْ لك عليه الطواعية كما كان عليك لاجله كلفة الرزق ، والكسوة لمرضعته))[٧٨١].

وكثيراً ما تُحذف (على) ويدل عليها السياق كما في قوله تعالى :﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة من الآية :١٨٤) . والتقدير : فعليه عدة من أيام أخر ، والآية في وجوب قضاء أيام رمضان لمن كان مريضاً أو مسافراً[٧٨٢] .

ومنه قوله جل وعلا :﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة :٣) ، أي : فعليهم تحرير رقبة ، والآية الكريمة تبين حكم الظهار ، وهو من العادات

---

[٧٨١]- البحر المحيط ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٤ .
[٧٨٢]- ظ الكشاف ١ / ٢٢٣.

الجاهلية المستقبحة ، ويكون بقول الرجل لامرأته : أنت علي كظهر أمي ، فأوجب تعالى كفارةً

على من يقول ذلك ، هي تحرير رقبة ، ولا تحل له امرأته قبل تقديم هذه الكفارة ، وفي هذا نهي وردع حتى لا يعود الرجل إلى مثل هذا القول[٧٨٣] .

٢ـ الأمر بالجملة الفعلية :

أغلب هذه الصيغ الفعلية لم يذكرها النحاة , وإنَّما اختص بها الأصوليون[٧٨٤] ، وأشار اليها المفسرون في كتبهم ، وهي :

أ ـ الأمر بالفعل (أمر) :

ورد الأمر بهذا الفعل ـ على اختلاف صيغه ـ كثيراً في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف :٢٩) ، فجاء بالفعل بصيغة الماضي المبني للمعلوم ، ويلاحظ أنَّه عطف الأمر وهو قوله (وأقيموا وجوهكم) على الخبر وهو قوله (أمر ربي بالقسط) ، وعلله الرازي بأنَّه على تقدير (قلْ) محذوفة ، أي : وقلْ أقيموا وجوهكم[٧٨٥] . ويمكن أنْ يُعلل بأنَّه عطف على المعنى دون اللفظ ، أي لما كان قوله (أمر ربي بالقسط) أمر بصيغة الخبر سهَّل عطف الأمر عليه .

وجاء الأمر بهذا الفعل بصيغة المبني للمجهول أيضاً نحو قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأنعام من الآية :٧١) ، وهذه اللام التي في (لنسلم) هي لام التعليل ، والمعنى : ((أُمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أنْ نسلم)) [٧٨٦] ، وقال أبو حيان : ((الظاهر أنَّ اللام لام كي ومفعول أمرنا الثاني محذوف قدروه وأُمرنا بالإخلاص لكي ننقاد ونستسلم لرب العالمين ، والجملة داخلة في المقول معطوفة على أنَّ

٧٨٣- ظ الكشاف ٤ / ٤٧٣ .
٧٨٤- ظ الأمر والنهي عند علماء اللغة والأصوليين :ياسين جاسم المحيمد، رسالة ماجستير : ٤٥.
٧٨٥- ظ التفسير الكبير ١٤ / ٢٢٦ .
٧٨٦- الكشاف ٢ / ٣٥ .

هدى الله هو الهدى))[٧٨٧] ، ويمكن أنْ يكون المعنى أوسع من ذلك ، ويكون التقدير : أُمرنا به لكي نسلم لله رب العالمين .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس :١٠٤) ، قال الزمخشري : ((يعني أنَّ الله أمرني بذلك ، بما ركب فيَّ من العقل ، وبما أوحى إلي في كتابه))[٧٨٨].

ومن ذلك ما جاء بصيغة المضارع نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء :٥٨) ، وحُملت الأمانة في الآية الكريمة على وجوه (((أحدها) أنَّها في كل من اؤتمن أمانة من الأمانات ، وأمانات الله أوامره ونواهيه ، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره (...) (وثانيها) أنَّ المراد ولاة الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية (...) (وثالثها) أنَّه خطاب للنبي ﷺ برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة وأراد أنْ يدفعه إلى العباس لتكون له الحجابة والسقاية))[٧٨٩].

ولا مانع من الجمع بين هذه الوجوه ، فيكون المعنى عاماً بعموم اللفظ ، ويدخل الوجهان الأخيران في هذا العموم . وقد تضمن الخطاب تأكيداً وحثاً على وجوب تنفيذ الأمر والالتزام به ، قال أبو السعود : ((في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه ، وهو خطاب يهم حكمه المكلفين قاطبة كما أنَّ الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية))[٧٩٠].

---

[٧٨٧]- البحر المحيط ٤ / ١٥٨ .
[٧٨٨]- الكشاف ٢ / ٣٦٠ .
[٧٨٩]- مجمع البيان ٢ / ٦٣ .
[٧٩٠]- تفسير أبي السعود ٢ / ١٩٢ .

وتقدم أداء الأمانة على الحكم بالحق ، وعلة ذلك أنَّه ((لما كان الترتيب الصحيح أنْ يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره ، أمر بأداء الأمانة أولاً ، ثم بعده بالأمر بالحكم بالحق))[٧٩١] .

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل :٩٠) ، ابتدأ سبحانه أوامره بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وعلة ذلك أنَّ ((هذه الأحكام الثلاثة التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الإنساني لما أنَّ صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الإسلام في تعاليمه المصلِحة ، فإنَّ أهم الأشياء عند الإنسان في نظر الطبيعة وإنْ كان هو نفسه الفردية لكن سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش فيه ، وما أصعب أنْ يفلح الفرد في مجتمع فاسد أحاط به الشقاء من كل جانب))[٧٩٢] .

ويبدو أنَّ دلالة الفعل (أمر) على اختلاف صيغه تشير إلى الوجوب في امتثال الأمر ، وتبتعد عن معانيه الاخرى كالندب والإباحة وغيرها ، وعلة ذلك أنَّ هذه الصيغة تفيد الفراغ من الأمر وإقراره بصورة حاسمة ، فعندما يقول الرسول ﷺ : إنَّي أُمرت ، أو إنَّ الله يأمركم ، أو ما شابهه ، يوحي لهم بأنَّ الأمر لله وحده وليس له ﷺ منه شيء ، ولا بد لهم من امتثال ذلك الأمر والعمل به ، لأنَّ هذه الصيغة أفادت الحسم من قبل الله تعالى فيما تأمرهم به .

ب ـ الأمر بالفعل (كتب) :

جاء هذا الفعل في القرآن الكريم بمعنى الأمر في مواضع عدة ، ذهب المفسرون إلى أنَّه أفاد الفرض والإيجاب ، ومنه قوله تعالى :﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾(الأنعام :١٢) ، قال الزمخشري : ((أي أوجبها على ذاته في

---

[٧٩١]- البحر المحيط٣/٢٧٧.
[٧٩٢]- الميزان ١٢ / ٣٥٢ .

هدايتكم إلى معرفته ، ونصب الأدلة على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السماوات والأرض))[٧٩٣].

ومعلوم أنَّه تعالى أوجب الرحمة على نفسه تحنناً منه بعباده ، ورحمةً بهم ؛ لأنَّه الكبير المتعال الذي لا يُفرض عليه شيء ، ولا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه بدافع الرحمة والإحسان إلى عباده .

ونظير ما تقدم قوله تعالى: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ (المائدة :٤٥). فالأمر في الآية الكريمة تحصَّل بالفعل (كتب) المسند إلى ضمير الجمع المتكلم ، و(أنَّ) وما دخلت عليه جاءت مفعولاً به للفعل (كتب) ، أي إنهم مأمورون بكل ما بعد (أنَّ) ولو حذف (كتبنا) لدلت الآية على الأمر من خلال الجملة الاسمية المؤكدة بأنَّ ، والجمع بين أداتين لإفادة معنى واحد يدل على زيادة في تأكيد ذلك المعنى ، والحث عليه ؛ يؤيد هذا القول جسامة ما أمروا به وأهميته الاجتماعية ، فقتل النفس بالنفس وأخذ بكل عضو ما يماثله من المعتدي هو العدالة الحقيقية ، فلا يبقى ـ بعد ذلك ـ شعور بالظلم من قبل أصحاب القتيل أو من قبل الشخص المعتدى عليه ، وهذا يضمن عدم الاعتداء المقابل ، مما يساعد على استقرار المجتمع وعدم اضطرابه من خلال تصاعد الشحناء والبغضاء ، إذا لم تُرجع الحقوق إلى أصحابها .

وجاء هذا الفعل بصيغة المبني للمجهول في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ (البقرة من الآية :١٧٨) ، بمعنى: ((فرض عليكم وأوجب وقيل كُتب عليكم في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض))[٧٩٤]، ونلحظ أنَّ النص بدأ مجملاً بفرض القصاص ، ثم أخذ يفصل كيفية ذلك القصاص من خلال وضع الضوابط التي تحكم تنفيذه .

وتكرر هذا الفعل مفيداً الأمر في قوله تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى المُتَّقِينَ ﴾

---

[٧٩٣]- الكشاف ٢ / ٨ .

[٧٩٤]- مجمع البيان ١ / ٢٦٥ ، وظ التفسير الكبير ٤ / ٢٢١ .

(البقرة :١٨٠) ، وقوله جل وعلا :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة :١٨٣) . وعلَّل أبو حيان مجيئه بصيغة المبني للمجهول بقوله : ((وبناء (كتب) للمفعول في هذه المكتوبات الثلاثة وحذف الفاعل للعلم به ، إذ هو الله تعالى ، لأنَّها مشاق صعبة على المكلف فناسب أنْ لا تُنسب إلى الله تعالى ، وإنْ كان الله تعالى هو الذي كتبها ، وحين يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار يُبنى الفعل للفاعل قال تعالى :((كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)) ((كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)) ، أما بناء الفعل للفاعل في قوله : ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)) فناسب لاستعصاء اليهود وكثرة مخالفتهم لأنبيائهم بخلاف هذه الأمة المحمدية ، ففرق بين الخطابين لافتراق المخاطبين))[٧٩٥] .

ويظهر للمتمعن جيداً انَّ الأمر بصيغة (كتب) يدل على القدم ، أي إنه أمر قديم ولم يكن في عهد المسلمين ؛ لذلك أُتبع في بعض الآيات بقوله جل وعلا: ((كما كتب على الذين من قبلكم)) كما في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة:١٨٣) دلالةً على ذلك القدم ، قال ابن عطية :((والكتب مستعمل في الأمور المخلدات الدائمة كثيراً ، وقيل إنَّ (كتب) في مثل هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء))[٧٩٦]. بمعنى أنَّ الأمر بهذا الفعل ليس خاصاً بالمسلمين ، إنما سبقتهم إليه أمم وأديان غيرهم .

جـ ـ الأمر بالفعل (قضى) :

ورد القضاء في القرآن الكريم بمعانٍ عدة ، لعل الرابط بينها هو الجزم والقطع في حسم الأمور ، قال الراغب : ((القضاء : فصل الأمر قولاً كان ذلك أو

فعلاً))[٧٩٧] ، وما يعنينا هنا هو القضاء بمعنى الأمر ، والذي دل عليه الفعل (قضى) نحو قوله تعالى :﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً

---

[٧٩٥] البحر المحيط ٢ / ٢٨ ، والنصوص القرآنية من الأنعام :٥٤ ، والمجادلة : ٢١ ، والمائدة :٤٥.
[٧٩٦]- تفسير ابن عطية ١ / ٢٤٤ .
[٧٩٧]- المفردات : ٦٧٤ ، وظ الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٥٥ .

كَرِيماً﴾ (الاسراء :٢٣) ، وهذا القضاء هو القضاء التشريعي التكليفي ، وليس القضاء التكويني الذي يتمثل في قوله تعالى :﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ (فصلت :١٢) . قال الطباطبائي : ((والقول سواء كان منحلاً إلى جملتين أو عائداً إلى جملة واحدة متعلق القضاء وهو القضاء التشريعي المتعلق بالأحكام والقضايا التشريعية ، ويفيد معنى الفصل والحكم القاطع المولوي ، وهو كما يتعلق بالأمر يتعلق بالنهي وكما يبرم الأحكام المثبتة يبرم الأحكام المنفية ، ولو كان بلفظ الأمر فقيل : وأمر ربك أنْ لا تعبدوا إلا إياه ، لم يصح إلا بنوع من التأويل والتجوُّز))[٧٩٨] .

ومجيء الأمر في صورة القضاء زيادة في التوكيد وقوة في الامتثال والالتزام بتنفيذه ((فهو أمر حتمي حتمية القضاء ولفظة (قضى) تخلع على الأمر معنى التوكيد إلى جانب القصر الذي يفيده النفي والاستثناء (الا تعبدوا إلا إياه) فيبدو في جو التعبير ظلال التوكيد والتشديد))[٧٩٩]. وأجمع المفسرون على أنَّ (قضى) في الآية الكريمة بمعنى أمر وأوجب وألزم[٨٠٠].

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب :٣٦) قال الطبري : ((لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاءً أنْ يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضائهما فيعصوهما ، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا ونهيا (فقد ضل ضلالاً بعيداً)))[٨٠١]. أي إذا أمر الله تعالى فليس لهم ((أنْ يختاروا ما شاؤوا ، بل من حقهم أنْ يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه ، واختيارهم تلواً لاختياره))[٨٠٢] . والقضاء هنا تشريعي لا تكويني كما هو واضح.

د ـ الأمر بالفعل (وصَّى) :

---

[٧٩٨]- الميزان ١٥ / ٨٢ .
[٧٩٩]- في ظلال القرآن ١٥ / ٢٥ .
[٨٠٠]- ظ مجمع البيان ٣ / ٤٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٥٥ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥ ، والتفسير الكبير ٢ / ٣٢١ ، وتفسير أبي السعود ٥ / ١٦٦ .
[٨٠١]-جامع البيان ٢٢ /١٥ ، و ظ الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٢١-١٢٢.
[٨٠٢]- الكشاف ٣ / ٥٢٣ ، ظ التحرير والتنوير٢٢/٢٧.

عُرِّفت الوصية بأنَّها ((التقدم إلى الغير بما يعمل به مقروناً بوعظ))[٨٠٣] ، وجاء فعلها بمعنى الأمر في قوله تعالى :﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء من الآية :١١) ، فيوصيكم هنا بمعنى ((يأمركم ويفرض عليكم لأنَّ الوصية منه تعالى أمر وفرض يدل على ذلك قوله ((وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ)) وهذا من الفرض المحكم علينا))[٨٠٤]. وقيل: إنَّه ((عدل إلى لفظ الإيصاء ؛ لأنَّه أبلغ وأدل على الاهتمام وطلب حصوله بسرعة))[٨٠٥].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨٠٦] ،(العنكبوت :٨) فوصية الإنسان بوالديه وصية عامة ((وصية لجنس الإنسان كله ، قائمة على أساس إنسانيته ، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنسانا . وهي وصية بالإحسان مطلقة من كل شرط ومن كل قيد . فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها ، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى كذلك . وهي وصية صادرة من خالق الإنسان))[٨٠٧] .

ونلحظ أنَّ الأمر بالإيصاء جاء في جانب العلاقات الإنسانية ، من قبيل توصية الآباء بالأبناء ، أو توصية الأبناء بالآباء . وهو الأكثر ، ويبدو أنَّ السر في ذلك هو النظرة القرآنية إلى هذه العلاقة التي تربط أفراد العائلة الواحدة ، فأهمية هذه العلاقة وقداستها جعلتها أسمى منْ أنْ يُؤمر بها بشكل صريح ، فجاء الأمر هادئاً لطيفاً يتناسب مع ما في هذه العلاقة من مودة وحنان ، وكأنَّ الآيات الكريمة أرادتْ أنْ تبيّن أنَّ رعاية الإنسان لوالديه لا بد لها أنْ تنبع من قراره نفسه ، ومن إنسانيته ؛ كي تعطي ثمارها ، وأنَّ الإنسان لو أداها مأموراً بها مجبراً عليها لم تكن بذي فائدة ، لأنَّ ما فيها من أحاسيس ومشاعر قد يجعل مردودها سلبياً على نفسية الوالدين إذا شعروا بأنَّ ابنهما يقوم بكل ما يقوم به لهما مجبراً عليه لا راغباً فيه . من أجل ذلك كله جاء الأمر بهذه اللفظة التي تُشعر بجانب الإنسانية والمودة في هذه الرعاية ، فبينت هذه الآيات ((أنَّ الإحسان بهما أمر معتنى به ، وقد عُدَّ في الحديث ثاني أفضل الأعمال

---

[٨٠٣]- المفردات : ٨٧٣ .
[٨٠٤]- مجمع البيان ٢ / ١٤ ، والنص القرآني من الأنعام : ١٥١ ، وظ الكشاف ١ / ٤٦٩ والبحر المحيط ٣ / ١٨٠ ، والتفسير الكبير ٩ / ٥٠٩ .
[٨٠٥]- البحر المحيط ٣ / ١٨٠ ، وظ روح المعاني ٤ / ٢١٦ ، ومواهب الرحمن ٧ / ٣٢٣ .
[٨٠٦]- ومثلها لقمان : ١٤ ، والأحقاف : ١٥ .
[٨٠٧]- في ظلال القرآن ٢٦ / ٢٠ .

وهـو الصـلاة لأول وقتهـا ، وعُـدَّ عقوقهمـا ثـاني أكبـر الكبـائر وهـو الإشـراك بـالله عـز وجل))[٨٠٨] .

وعلى العموم فإنَّ الأمر بالفعل (وصى) كثيراً ما ((يُستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد على المأمور أو غيره))[٨٠٩] ، كما في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ (مريم :٣١) ، فالصلاة نفعها للمأمور بها ، وكذلك الزكاة ، وكلاهما نفع للمجتمع ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والالتزام بها يجعل المجتمع خالياً من هاتين الآفتين المدمرتين ، وبذلك يكون المجتمع بعيداً عن كثير من الأمراض التي تأتي مع الفحشاء والمنكر ، اما الزكاة فإنَّها تسهم في التخفيف عن الفقراء ، وتساعدهم على عدم حصول تفاوت بين طبقات المجتمع ، وتجسد حالة الأخوة الإسلامية ، ومساعدة المسلمين بعضهم بعضاً ، كل ذلك يساعد على الحصول على مجتمع مثالي فيه من عوامل التطور والرقي ما ليس في غيره من المجتمعات التي تبتعد عن النهج الإسلامي القويم .

هـ ـ الأمر بالشرط :

أدرجنا الشرط ضمن الصيغ الخبرية الفعلية الدالة على الأمر ـ مع أنَّ أغلب أدواته أسماء ـ لأنَّه أسلوب فعلي ، والأمر لا يتأتَّى بأداة الشرط وحدها ، إنَّما يكون بأسلوب الشرط مجتمعاً بأدواته وفعله وجوابه ، وعلة كون الشرط أسلوباً فعلياً ((أنَّ الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال ، أما الشرط فلأنَّه علة وسبب لوجود الثاني ، والأسباب لا تكون بالجوامد إنَّما تكون بالأعراض والأفعال ، وأما الجزاء فأصله انْ يكون بالفعل أيضاً لأنَّه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه ، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي ويتوقف وجود بعضها على بعض))[٨١٠].

وما يميز الأمر بالشرط عن الأمر بالأساليب الأخرى ، أنَّ الأمر بالشرط غالباً ما يتضمن معنىً مضافاً إلى الأمر ، قد يكون ترغيباً أو ترهيباً ، أو غير ذلك ، وهو على العموم يُبيّن صفة المأمور بالفعل إذا ما نفذ هذا الفعل ، وإذا لم ينفذه ، ومن ذلك قوله تعالى

---

[٨٠٨]- روح المعاني ٢٦ / ١٧ .
[٨٠٩]- تفسير أبي السعود ٧ / ٣١ .
[٨١٠]- شرح المفصل ٩ / ٢ .

:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ (النساء :٣١) فالآية الكريمة تضمنت أمراً باجتناب الكبائر مصحوباً بالترغيب ، وهو تكفير سيئاتهم والتجاوز عنها ، قال الزمخشري : ((أي ما كبر من المعاصي التي

ينهاكم الله عنها والرسول ونكفر عنكم سيئاتكم ، نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ، ونجعلها كأنْ لم تكن ، لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها ، على عقاب السيئات))[٨١١].

والآية الكريمة جاءت بعد نهي عن أكل الأموال بالباطل ، وعن قتل النفس ، وهو قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ (النساء :٢٩) ، وبعده جاء نهي بأسلوب الشرط عن فعل ذلك متضمناً تهديداً ووعيداً بأنَّ من يفعله فسيكون مصيره النار ، وهو قوله تعالى :﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً﴾ (النساء :٣٠) ، ثم جاء الأمر مصحوباً بالترغيب في الآية مدار البحث ، أي إن الخطاب القرآني ((في النهاية يختتم آيات التحريم كلها بذلك الترغيب الجامع في اجتناب ما حرم من الأعراض والأموال والدماء ـ وكلها كبائر ـ بانَّهم إذا اجتنبوا كبائر ما نُهوا عنه ، فسوف يغفر لهم ما دونها من السيئات ويتلقاها في الآخرة بالتكريم))[٨١٢] .

وقد تميزت هذه الآية الكريمة ((بأسلوبها الجذاب الدال على اللطف والحنان والمحبة ، وسياقها الظاهر في الزجر عن ارتكاب المعاصي والمتضمن الوعد للتائبين بعظيم الجزاء))[٨١٣] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾(الأنعام :١٦٠) فهذا أمر بعمل الحسنة مع ترغيب في ذلك من خلال المجازاة عليها بعشر أمثالها ، ونلحظ انَّ الآية الكريمة لم تنتظر إلى عمل الحسنة فحسب ، إنَّما أشارت إلى الحفاظ على هذه الحسنة ـ وهو الأهم ـ ، فقالت من جاء بالحسنة ، ولم تقل من عمل الحسنة ، لانَّ الحسنة التي لم يُحافظ عليها بعد

---

[٨١١]- الكشاف ١ / ٤٩٣ .
[٨١٢]- في ظلال القرآن ٥ / ١١ .
[٨١٣]- مواهب الرحمن ٨ / ١٣٧ .

عملها قد تفنى بعمل السيئات ، لذلك كان الحفاظ على هذه الحسنة وملاقاة الله تعالى بها هو المحور الذي تدور عليها الآية المباركة ، قال ابن عاشور : ((جاء بالحسنة معناه عمل الحسنة شبه عمله الحسن بحال المكتسب إذ يخرج يطلب رزقاً من وجوهه أو احتطاب أو صيد فيجيء أهله بشيء (...) ويجوز حمل المجيء على حقيقته أي مجيء إلى الحساب على أنْ يكون المراد بالحسنة انْ يجيء بكتابها في صحيفة أعماله))[٨١٤] .

ومن الأمر بالشرط ما جاء مصاحباً لتهديد ووعيد كما في قوله تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران :٨٥) ، فالآية الكريمة تضمنت أمراً باتباع الإسلام مصحوباً بتهديد ووعيد إنَّ أي دين غيره لن يُقبل ، وإنَّ من يبتغ غيره ديناً سيكون في الآخرة من الخاسرين و((الخسران في الآخرة هو حرمان الثواب وحصول العقاب ، شُبِّه في تضييع زمانه في الدنيا باتباع غير الإسلام بالذي خسر في بضاعته ، ويُحتمل انْ تكون هذه الجملة قد عُطفت على جواب الشرط فيكون قد ترتب على ابتغاء غير الإسلام ديناً عدم القبول والخسران ، ويُحتمل أنْ لا تكون معطوفة عليه ، بل هي استئناف إخبار عن حاله في الآخرة ، وفي الآخرة متعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده ، أي : وهو خاسر في الآخرة))[٨١٥].

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ (المائدة من الآية :٤٤) ، ويبدو أنَّ مضمون الآية ((العموم فيشمل هذه الأمة وغيرهم ممن كان قبلهم وإنْ كان الظاهر أنَّه في سياق خطاب اليهود والى أنَّها عامة في اليهود وغيرهم))[٨١٦]، وجملة الشرط في الآية الكريمة ((تذييل مقرِّرٌ لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير ، وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير))[٨١٧].

وقد تكررت جملة الشرط هذه في آيتين أخريين مع إبدال (الكافرون) (بالظالمون) مرة ، و(بالفاسقون) مرة أخرى ، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(المائدة من الآية :٤٥) ، وقوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة من الآية :٤٧) . واختُلف في هذه

---

[٨١٤]- التحرير والتنوير

[٨١٥]- البحر المحيط ٢ / ٥١٧ ، وظ تفسير أبي السعود ٢ / ٥٥.

[٨١٦]- البحر المحيط ٣ / ٤٩٢ .

[٨١٧]- روح المعاني ٦ / ١٤٥ .

الأوصاف ، فقيل : إنَّ المقصود بها أهل الكتاب ، وقيل : إنَّ كل صفة منها خاصة لاتباع دين معين ، فالكافرون لأهل الإسلام ، والظالمون لليهود ، والفاسقون للنصارى[٨١٨] .

وعلل أبو حيان اختلاف هذه الصفات في الآيات الكريمة بقوله : ((ناسب فيما تقدم ذكر الكافرين لانَّه جاء عقيب قوله (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) ففي ذلك إشارة إلى أنَّه لا يحكم بجميعها بل يخالف رأساً وكذلك جاء (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) وهذا كفر فناسب ذكر الكافرين ، وهنا جاء عقيب أشياء مخصوصة من أمر القتل والجوارح فناسب ذكر الظلم المنافي للقصاص وعدم التسوية وإشارة إلى ما كانوا

قرروه من عدم التساوي بين بني النضير وبني قريظة))[٨١٩] ، وأضاف بخصوص الآية الثالثة ((ناسب هنا ذكر الفسق لأنَّه خرج عن أمر الله تعالى إذ تقدم قوله وليحكم وهو أمر كما قال تعالى: (اسجدوا لادم .... ففسق عن امر ربه) أي خرج عن طاعة أمره تعالى))[٨٢٠].

وقد يأتي الأمر بالشرط مجرداً من معاني أخر كما في قوله تعالى :﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران :٩٧) ، قال الطبرسي : ((إنَّه خبر والمراد الأمر ومعناه إنَّ من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يُبايع ولا يُشارى ولا يُعامل حتى يخرج من الحرم فيُقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام وعلى هذا يكون تقديره ومن دخله فأمِّنوه))[٨٢١] .

و- الأمر بالاستثناء المفرغ:

يُعد الاستثناء المفرغ أحد أساليب القصر التي تفيد تقوية التعبير وتوكيده ، فعند قولنا :ما جاء إلا زيدٌ ، فإننا ننفي المجيء عن كل أحد ونثبته لزيد حصراً، وفي هذا توكيدٌ

---

[٨١٨]- ظ الكشاف ١ / ٦٢٥ .
[٨١٩]- البحر المحيط ٣ / ٤٩٨ .
[٨٢٠]- السابق ٣ / ٥٠٠ .
[٨٢١]- مجمع البيان ١ / ٢٧٨ ، وظ الكشاف ١ / ٣٨٠ .

وتوثيقٌ لمجيء زيد لا يوجد في قولنا : جاء زيد . وعقد القرافي (٦٨٢هـ) لهذا الاستثناء باباً سماه (في الاستثناء من المانع) ، ومثَّل له بالقول : ما تسقط الزكاة إلا بالدين ، والتقدير : تسقط الزكاة بالدين[٨٢٢].

وقد جاء الاستثناء المفرغ في القرآن الكريم دالاً على الأمر نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (النساء :٦٤) ، فالآية الكريمة فيها ((تنبيه على جلالة الرسل ، أي : فأنت يا محمد منهم ، تجب طاعتك وتتعين إجابة الدعوة اليك ، و(ليطاع) نُصب بلام كي ، و (بإذن الله) معناه بأمر الله ، وحسنت العبارة بالإذن ، إذ بنفس الإرسال تجب طاعته وإنْ لم ينص أمر بذلك ، ويصح تعلق الباء من قوله (بإذن) ، بـ (أرسلنا) ، والمعنى وما أرسلنا بأمر الله أي بشريعته وعبادته من رسول إلا ليطاع ، والأظهر تعلقها بـ (يطاع) والمعنى : وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأمر الله بطاعته))[٨٢٣]. وقال أبو حيان : ((هو استثناء

مفرغ من المفعول من أجله أي : وما أرسلنا من رسول بشيء من الأشياء إلا لأجل الطاعة وبإذن الله أي بأمره ، قال ابن عباس ، أو بعلمه وتوفيقه وإرشاده ، وحقيقة الإذن التمكين من العلم بقدر ما مكن فيه))[٨٢٤] .

والأمر بأسلوب الاستثناء المفرغ يعكس أهمية الشيء المأمور به ، فطاعة الرسل عليهم السلام تمثل الأساس الرصين الذي تنطلق منه دعواتهم ، فالرسول عليه السلام ((ليس واعظاً يلقي كلمة ويمضي ، وانَّ الاحترام الضروري لكلمة الله التي يحملها الرسول يقتضي أنْ يضمن الله لهذه الكلمة النفاذ . وما يطاع الرسول لذاته وبذاته ولكنه يطاع بإذن الله وشرعه . فقد جاء الرسول ليطاع لا لتُهمل أوامره ، ولا لتكون موكولة لمجرد التأثر الوجداني . جاء ليبيّن شريعة الله ويقوم على تنفيذها ، ويأخذ الناس بطاعتها احتراماً لأمر الله أنْ تبتذله الأهواء))[٨٢٥] .

٨٢٢- ظ الاستغناء في أحكام الاستثناء: شهاب الدين القرافي:٦١٧.
٨٢٣- تفسير ابن عطية ٢ / ٧٤ ، وظ الميزان ٤ / ٤٣٠ .
٨٢٤- البحر المحيط ٣ / ٢٨٢ .
٨٢٥- في ظلال القرآن ٥ / ٣٦ .

وقد زادت (مِن) التعبير قوةً وتوكيداً ، لانَّها ((أبلغ في استغراق النفي من أنْ يُقال :((وما أرسلنا رسولا)) فـ ((من)) ليست زائدة ، فقولك : ليس عندي من مال. أبلغ من قولك : ليس عندي مال ، إذ الأول أبلغ في النفي))[٨٢٦].

ومما جاء على ذلك قوله تعالى :﴿ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود :٢) ، قال الرازي : ((إنَّه تعالى أمر بأنْ لا يعبدوا إلا الله ، وإذا قلنا : الاستثناء من النفي إثبات ، كان معنى هذا الكلام النفي عن عبادة غير الله تعالى ، والأمر بعبادة الله تعالى))[٨٢٧] .

واختُلف في (أنْ) المدغمة في صدر الآية الثانية وعلاقتها بالآية الأولى ، فقيل : إنَّ المعنى على تقدير الباء ، ويكون الكلام : أُحكمت ثم فصلت بألا تعبدوا إلا الله ، وقيل : هي ومدخولها مفعول له ، والتقدير : أحكمت ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله[٨٢٨] ، وقيل : هي ((تفسيرية لما في معنى ((أحكمت آياته ثم فصلت)) من الدلالة على أقوال محكمة ومفصلة فكأنَّه قيل : أوحي إليك في هذا الكتاب أنْ لا تعبدوا إلا الله ، فهذه الجملة تفسيرية لما أحكم من الآيات لأنَّ النهي عن عبادة غير الله وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين ، إليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله تعالى بالدليل ، وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل))[٨٢٩].

ونظير ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت :٤٦) ، قال الطباطبائي : ((لما أمر في قوله : ((اتل ما أوحي إليك)) بالتبليغ والدعوة من طريق تلاوة الكتاب عقَّبه ببيان كيفية الدعوة فنهى عن مجادلة أهل الكتاب وهو على ما يقتضيه الإطلاق اليهود والنصارى ويلحق بهم المجوس والصابئون إلا المجادلة التي هي أحسن مجادلة))[٨٣٠]. وقيل في معنى الآية: جادلهم ((بالخصلة التي هي أحسن : وهي مقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم . والسورة بالأناة ، كما قال : ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) (المؤمنون :٩٦) ، ((إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ)) (البقرة :١٥٠) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق ،

---

[٨٢٦]- لغة المنافقين ، د. عبد الفتاح لاشين: ١١٢.
[٨٢٧]- التفسير الكبير ١٧ / ٣١٤ .
[٨٢٨]- ظ الكشاف ٢ / ٣٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٤ .
[٨٢٩]- التحرير والتنوير ١١ / ٣١٥ .
[٨٣٠]- الميزان ١٦ / ١٤٣ .والنص القرآني من العنكبوت: ٤٥.

فاستعملوا معهم الغلظة ، وقيل : إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ . وقيل : إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة . وقيل : معناه لا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية ، فإنَّ أولئك مجادلتهم بالسيف))[٨٣١].

وما يميز الاستثناء المفرغ أنَّه يجمع بين النهي والأمر في وقت واحد وهذا ما لا نجده في الأساليب الأخرى ، فقوله تعالى :(ألا يعبدوا إلا الله) تضمن نهياً عن عبادة غير الله ، وأمراً بعبادته جل وعلا ، وهذا يبدو في الآيات الأخر التي جاء الأمر فيها بالاستثناء المفرغ ، ولعل هذا الاستعمال يساعد على تكثيف المعنى ، فضلاً عن توكيده وتقويته ، ولا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الرأي القائل بأنَّ الأمر نهي عن الضد ، والنهي أمر بالضد ، فيكون المعنى كأنَّما تكرر مرتين من خلال الجمع بينهما .

الأمر بالاستفهام

الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية الطلبية ، ((وحقيقته طلب الفهم))[٨٣٢] ، وجعله بعضهم بمعنى الاستخبار والاستعلام ، وفرَّق آخرون بين هذه المعاني ، وإنْ كان يجمعها معنى الطلب[٨٣٣]. وهو ((طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإنْ كانت

تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور))[٨٣٤] .

وقد عُني النحويون والبلاغيون بأسلوب الاستفهام وأدواته والمعاني التي يخرج لها ، فذكروا له من تلك المعاني تسعةً وثلاثين معنىً[٨٣٥] ، وما يعنينا من تلك المعاني التي

٨٣١- الكشاف / ٣ ٤٤٢ .
٨٣٢- مغني اللبيب ١ / ١٧ .
٨٣٣- ظ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٣٠٧ .
٨٣٤- التعريفات للجرجاني : ١٨ .
٨٣٥- ظ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٤٢١ ـ ٤٦٠ .

خرج لها الاستفهام هو الأمر ، فمعلوم انَّ الاستفهام له أدوات عدة ، وأساليب متنوعة ، ولم يدل على الأمر بكل أدواته وأساليبه ، وإنَّما جاء ذلك في بعض منها ، سنحاول الوقوف عليه فيما يأتي[٨٣٦] :

١ـ الهمزة + الفعل :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران :٢٠) ، والمعنى : أسلموا ، قال الزمخشري : ((يعني أنَّه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة ؛ فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم ؟ وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تُبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته : هل فهمتها لا أم لك))[٨٣٧].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرا﴾ (الفرقان :٢٠) ، والمعنى : اصبروا[٨٣٨] ، لأنَّه تعالى ((ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم ، وبمناصبتهم لهم العداوة ، وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف ، وأنواع إذاهم ، وطلب منهم الصبر الجميل))[٨٣٩] .

٢ـ هل + الجملة الاسمية :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة :٩١) ، ذكرت الآية الكريمة مفسدتين للخمر والميسر ، أحدهما دنيوية ، والأخرى دينية ، فأما الدنيوية : فإنَّ الخمر تثير العداوة والبغضاء بين شاربيها ، وتنتهي بالذين اجتمعوا

---

[٨٣٦]- ظ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، عبد العليم السيد فودة : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
[٨٣٧]- الكشاف ١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ .
[٨٣٨]- ظ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: ٢٣٥ .
[٨٣٩]- الكشاف ٣ / ٢٦٤ .

لشربها على أنس وصحبة إلى التقاطع والتباغض بسبب زوال العقل الذي هو ملاك الأشياء ، وكذلك يفعل الميسر ، فترى المغلوب أصبح عدواً لغالبه مبغضاً له . وأما الدينية : فإنَّهما يصدان عن ذكر الله تعالى ، وإقامة الصلاة ، بما فيهما من غلبة على صاحبهما تنأى به عن تأدية الحقوق وأداء الواجبات[٨٤٠] ؛ لذلك أكَّد تعالى تحريمها أشد تأكيد ، ونهى عن مقاربتهما أبلغ نهي ، وتوزع ذلك بين آية وحديث ، ومنه الآية مدار البحث ، فبعد أنْ ذكر تعالى أنَّهما سلاح الشيطان ، والباب الذي يلج منه لإيقاع العداوة والبغضاء بينكم ، وصدكم عن ذكر الله ، أعقبه بقوله : (فهل أنتم منتهون) ، وهو ((من أبلغ ما يُنهي به ، كأنَّه قيل : قد تلي عليكم ما فيها من أنواع الصوارف والموانع ، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه ، كأنْ لم توعظوا ولم تزجروا))[٨٤١]، والمعنى : انتهوا ، ولكنه عدل إلى صيغة الاستفهام ((إيذاناً بأنَّ الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيها من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وأنَّ الأعذار قد انقطعت بالكلية))[٨٤٢] ، لذلك انتفت ((الحاجة لإعادة نهيهم عنهما ، ولكن يُستغنى عن ذلك باستفهامهم عن مبلغ أثر هذا البيان في نفوسهم ترفيعاً بهم إلى مقام الفطِن الخبير ، ولو كان بعد هذا البيان كله نهاهم عن تعاطيها لكان قد أنزلهم منزلة الغبي ، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حد الأعجاز))[٨٤٣] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (هود :١٤) ، قال الطبرسي : ((أي هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرنا من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيده ، وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله : فهل أنتم منتهون))[٨٤٤].

وقد يكون الأمر بهل ((على سبيل التعجيز والتهكم كقوله تعالى :﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ﴾ ، أي : أغنوا عنا شيئاً من غناء ما دمتم قد كنتم سادتنا وقادتنا إلى الكفر))[٨٤٥].

---

[٨٤٠]- ظ البحر المحيط ٤ / ١٤ .
[٨٤١]- الكشاف ١ / ٦٦١ .
[٨٤٢]- تفسير أبي السعود ٣ / ٧٦ .
[٨٤٣]- التحرير والتنوير ٧ / ٤٨ .
[٨٤٤]- مجمع البيان ٣ / ١٤٧.
[٨٤٥]- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : ١٠٥ ، والنص القرآني من سورة غافر : ٤٧.

ويرد بعد (هل) التي تفيد الأمر الاسم مجروراً بحرف جر زائد كما في قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ (القمر :١٧) ، أي اتعظوا واذكروا ، والمعنى : ((ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه ، فهل من طالب لحفظه ليُعان عليه . ويجوز أنْ يكون المعنى : ولقد هيأناه للذكر))[٨٤٦] .

ونلحظ مما تقدم في استعمال هل التي تفيد الأمر أنَّها غالباً ما تأتي في ختام الآيات [٨٤٧].

٣ـ أرأيت + الشرط :

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** ﴾ (الأنعام :٤٦) ، والمعنى : أخبروني عن ذلك ، وهو استفهام لا يُراد به الجواب ، إنَّما هو تعجيز لهم وتوبيخ على عنادهم وكفرهم ، ومثله قوله جل وعلا: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾(الملك :٣٠) . و(أرأيت) ـ بصرف النظر عما تضاف اليه من ضمائر ـ كلمة تفيد التعجب ، ومعناها أخبروني ، وذكروا لها عدة وجوه من الإعراب[٨٤٨].

ولا نرى في هذا الأسلوب أمراً ، إنما هو استفهام يفيد النفي ، والمعنى لا أحد يأتيكم بسمعكم وأبصاركم إن أخذ الله تعالى ذلك منكم . ويبدو أنَّ الذي حدا بأحد الباحثين إلى عده من أساليب الأمر[٨٤٩] ، قولهم : إنَّ (أرأيتم) بمعنى (أخبروني) .

٤ـ الاستفهام الذي يتضمن حثاً على الأمر وترغيباً فيه:

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾(البقرة :٢٤٥)[٨٥٠] ، اختلف في

---

[٨٤٦]- روح المعاني٢٧ / ١٤.
[٨٤٧]- ظ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : ١٠٥ .
[٨٤٨]- ظ البحر المحيط٤ / ١٢٥-١٢٧.
[٨٤٩]- ظ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : ٣٥ ، , ٢٣٣ .
[٨٥٠]- وظ الحديد : ١١

معنى الآية ، فقيل : هي خاصة بالإنفاق في الجهاد ، وتجهيز المقاتلين بما يلزمهم ، فمن كان قادراً على تجهيز نفسه فليعمل ، ومن كان عاجزاً عن القتال فليعمد إلى بذل المال لتجهيز الفقراء القادرين على الجهاد ، وقيل : هي عامة في مطلق العمل الصالح ، وفي كل

صور الإنفاق[٨٥١]. وخطاب الآية الكريمة ((في منتهى الفصاحة وأعلى مراتب البلاغة يتضمن الحث على الإنفاق والتحريض على تقديم الخير بأسلوب رفيع يجد الفرد لذة النداء في البذل والعطاء وفيه غاية التأثير على النفوس الضعيفة يدعو الغني والفقير إلى البذل وتقديم الخير على السواء ويفتخر العاقل بالمبادرة إلى العمل بمفاده ، ولذة المخاطبة تُذهب كل مشقة وصعوبة كيف وأنَّ الخطاب صادر من المالك الحقيقي والغني عن العالمين يستقرض عباده مما أنعم عليهم ويعدهم الدفع بأضعاف مضاعفة وما أبعد من حُرم من هذه المرابحة وما أشد خسارة من بقي في الخسران والمخاطرة ، ومن ذلك يعلم وجه تغيير الخطاب من الأمر في الآية السابقة إلى الاستفهام للتهييج وتنشيط الذهن بتغيير الخطاب وللإكبار والاستعظام له كما هو مستعمل في كل أمر يُراد إعظامه ويندر الإقدام عليه)) [٨٥٢].

والأمر بهذا الأسلوب ((أبلغ من الأمر المجرد ، ومن الأمر المقرون ببيان الحكمة ، والتنبيه إلى الفائدة ، والوجه في اختيار هذا الأسلوب هنا (...) أنَّ الداعية إلى البذل في المصالح العامة خفيفة في نفوس الأكثرين ، والرغبة فيه قليلة ، إذ ليس فيه من اللذة والأريحية ما في البذل للأفراد ، فاحتيج فيه للمبالغة في التأثير))[٨٥٣] .

وفي الآيتين الكريمتين من الترغيب والحث على الأمر ما ليس في غيرهما ، ((فمجرد تصور المسلم أنَّه هو الفقير الضئيل يقرض ربه ، كفيل بأنْ يطير به إلى البذل طيراناً ؛ إنَّ الناس ليتسابقون عادة إلى إقراض الثري المليء منهم ـ وهم أكثرهم فقراء ـ لأنَّ السداد مضمون . ولهم الاعتزاز بأنْ أقرضوا ذلك الثري المليء ، فكيف إذا كانوا يقرضون الغني الحميد ؟))[٨٥٤].

---

[٨٥١]- ظ التفسير الكبير ٦ / ٢٩٩ ، وروح المعاني ٢ / ١٦٣ .
[٨٥٢]- مواهب الرحمن ١٤ / ١١١ ـ ١١٢ .
[٨٥٣]- المنار ٢ / ٤٦٣ .
[٨٥٤]- في ظلال القرآن ٢٧ / ١٦٤ .

٥ـ الاستفهام عن المنفي:

ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الحديد :٨) ، قال الزمخشري : (((لا تؤمنون) حال من معنى الفعل في ما لكم ، كما تقول : ما لك قائماً ، بمعنى : ما تصنع قائماً ، أي : وما لكم كافرين بالله))[٨٥٥] ، وهذا يفيد القول بعدم الإيمان ، وأمرهم به . ومثله قوله تعالى :﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً *الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أُوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾ (النساء :٧٥ ـ ٧٦) . فالآية الكريمة تضمن حثاً على الجهاد في سبيل الله ، وقد ((رغَّب الله المؤمنين ترغيباً وشجَّعهم تشجيعاً بإخبارهم أنَّهم إنَّما يقاتلون في سبيل الله . فهو وليهم وناصرهم ، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان ، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه))[٨٥٦]

وخطاب الآية الكريمة ((يثير فينا النخوة التي تدفعنا إلى الدفاع عن الضعاف والنساء والأطفال ، ويصور لنا لهفة هؤلاء على من ينصرهم ، فيبعث في نفوسنا إحساس الرق ، وعامل الشفقة ، ويرسم لنا من يقاتل ذياداً عن أولئك مقاتلاً في سبيل الله))[٨٥٧]. فهو استنفار لكل مواطن القوة عند الإنسان بإبراز حاجة هؤلاء المستضعفين إلى من يدافع عنهم ، وبيَّن لنا السؤال الاستنكاري أنْ لا سبب يمنع من الدفاع عن هؤلاء ؛ لأنَّ الاعتداء عليهم يمثل انحرافاً عن النهج الإنساني القويم ، ولا بد لهذا الانحراف أنْ يُقوَّم من خلال الوقوف بوجهه ووضع حد لتجاوزاته غير الإنسانية .

وسمى أحد الباحثين هذا النوع من الاستفهام الذي يفيد الأمر ((ما أفاد إنكار الواقع في النفي)) وجعل منه قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**

---

[٨٥٥]- الكشاف ٤ / ٤٦١ .
[٨٥٦]- الكشاف ١ / ٥٢٤ .
[٨٥٧]- من بلاغة القرآن: ٤٠ .

* ﴿ **وْمَ فِرْعَـوْنَ أَلَا يَتَّقُـونَ** ﴾ (الشـعراء:١٠ - ١١) ، فقولـه (ألا يتقـون) إنكـار لعـدم التقوى منهم وأمرهم بها[٨٥٨]. ومثله قوله تعالى:﴿ **فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَـأْكُلُونَ** ﴾ (الصافات: ٩١) .

وهذا القول صحيح إذا اعتبرنا(ألا) مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية ، أما إذا اعتبرناها بسيطة غير مركبة ، فينتفي معنى الاستفهام فيها ، وتكون خالصة للتحضيض ، وقد أفادت في الآية الأولى الحث على التقوى والالتزام بها، أما في الآية الثانية فأفادت استهزاءه بالأصنام وبانحطاطها عن حال عبدتها[٨٥٩] . وبذلك يخرج هذا الأسلوب عن الاستفهام الذي يخرج للأمر.

الأمـر الضمني

يتأتى الأمر بأساليب متنوعة ـ كما أوضحنا ـ منها ما هو حقيقي ذكره النحاة في كتبهم ، وآخر مجازي شاركهم مباحثه البلاغيون والأصوليون ، وربما كانوا أكثر تفصيلاً لأنماطه وصيغه من النحاة ، ولعل الأمر الضمني أقل الأنماط دراسة ، وأكثرها إهمالاً ، فنكاد لا نرى له ذكراً إلا عند المفسرين والفقهاء ؛ لأنَّهم عُنوا باستخلاص الأحكام الشرعية من القرآن ، وفهمها من مرامي الكلام ، ومع ذلك لم تُذكر للأمر الضمني صيغٌ محددة كما لغيره ، ولكنه يُفهم من خلال سياق الكلام ، وترابط معانيه . ولكن الاستقراء كشف لنا عن أساليب يُعرف بها الأمر الضمني ، ويبقى السياق والمعنى العام هو الحاكم ، لأنَّه لا يُصرح به ، إنَّما يُشار إليه ، وربما اشتركت صيغه مع غيرها من صيغ الأمر . وهذه الصيغ هي :

١ـ الجملة الاسمية :

ذكرنا فيما سبق أنَّ الجملة الاسمية إحدى وسائل الأمر بالخبر ، ونذكر هنا أنَّها من أساليب الأمر الضمني ، والفارق بينهما أنَّ وضوح الأمر في الأولى أكثر منه في الأخرى ، فالأمر بالخبر بواسطة الجملة الاسمية ، أقوى وأجلى من الأمر الضمني المؤدى بواسطة

---

[٨٥٨]- ظ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : ٢٣٢ .
[٨٥٩]- ظ السابق ٤ / ٤٨ .

هذه الجملة ؛ لأنَّ الأمر الضمني أمر لين رخي هادئ يكاد يفارق الأمر إلا في اسمه ، فلا وجوب فيه ولا إلزام ، وأكثر ما يكون حثاً وتشجيعاً للذين يُراد منهم أداء عمل معين ، زيادة على أنَّه لا يُوجه لشخص أو فئة بعينها سواء كانت حاضرةً أم غائبةً ، إنَّما هو كلام يُفهم منه محبة عمل معين والتشجيع على أدائه .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة :٢٦١) ، إنَّه أمر بالإنفاق ، ولكن أي أمر ؟ لقد بلغ بعذوبته وحسن تشبيهه ما لم يبلغه الأمر الحقيقي ، إنَّه يتغلغل إلى داخل النفس الإنسانية فيستنهض فيها كل معاني الكرم والسخاء ، فالحبة بسبعمئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والأمر لكم تنفقون أو لا تنفقون ، فأنتم بالخيار ولا إجبار عليكم ، أترى من يسمع هذا الكلام فلا ينفق في سبيل الله ؟. ((إنَّه يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني كله. إنَّه يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة: صورة الزرع . هبة الأرض أو هبة الله . الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه ، ويهب غلاته

مضاعفة بالقياس إلى بذوره . يعرض هذه الصورة الموحية مثلاً للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله .

إنَّ المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمئة حبة ! أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل ؛ وأكثر استجاشةً للمشاعر ، وتأثيراً في الضمائر . إنَّه مشهد الحياة النامية . مشهد الطبيعة الحية . مشهد الزرعة الواهبة . ثم مشهد العجيبة في عالم النبات : العود الذي يحمل سبع سنابل . والسنبلة التي تحوي مئة حبة))[٨٦٠].

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة :٢٧٤) ، (فالذين) مبتدأ خبره جملة (فلهم أجرهم عند ربهم) ، وسهَّل دخول الفاء على الخبر مشابهةُ هذا

[٨٦٠]- في ظلال القرآن ٣ / ٥٢ ، وظ المنار ٣ / ٦٠ .

الأسلوب لأسلوب الشرط ، فبدخولها ترتب لزوم الأجر على الإنفاق ، كما في قولهم : الذي يأتيني فله درهم . حيث ترتب لزوم الدرهم على الإتيان [٨٦١].

والآية تضمنت أمراً بالإنفاق ، والمعنى : انفقوا ، أو كونوا كهؤلاء في الإنفاق ، واقتدوا بهم ؛ لأنَّهم ((يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير ، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال))[٨٦٢] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ (النساء :٥٧) ، أي : آمنوا واعملوا الصالحات حتى تنالوا الجزاء المذكور .

وقد تأتي الجملة الاسمية مؤكَّدة بـ (إنَّ) كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان :٨) . وقوله تعالى :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الذاريات :١٥) .

ويلاحظ فيما تقدم أنَّ الجملة الاسمية التي يُفاد منها الأمر الضمني تدل على صفة حميدة ، يُحث على الاتصاف بها ، والترغيب فيها ، أما إذا دلت هذه الجملة على صفة مذمومة فيفاد منها النهي الضمني كما في قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة من الآية :٣٤) والمعنى : لا تكنزوا الذهب والفضة فلا يمسكم العذاب .

٢ـ الوصف:

يأتي الوصف لبيان إحدى خصال الموصوف ، ويُفاد منه الأمر في بعض التراكيب كما في قوله تعالى: ﴿ **الم* ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾(البقرة :٣) ، فالذين وصف للمتقين ، وهو ـ كما يقول الجصاص (٣٧٠هـ) ـ ((يتضمن الأمر بالصلاة والزكاة لأنَّه جعلهما

---

[٨٦١]- ظ الكتاب ٣ / ١٠٢ ـ ١٠٣ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٩ .
[٨٦٢]- الكشاف ١ / ٣١٤ .

من صفات المتقين ومن شرائط التقوى كما جعل الإيمان بالغيب وهو الإيمان بالله وبالبعث وبالنشور وسائر ما لزمنا اعتقاده من طريق الاستدلال من شرائط التقوى))[٨٦٣] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لآمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (المؤمنون :١ - ١١) ، فهذه الآيات الكريمة ذكرت أوصافاً اختص بها المؤمنون ، وهم المصدقون بضرورات الدين من توحيد ونبوة وبعث ، العاملون بفروعه من صلاة وصوم وزكاة وغيرها . وهي ((صفات موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الإيمان إجمالاً أو تفصيلاً))[٨٦٤]. ثم يذكر الجزاء الذي يستحقه هؤلاء المتصفون بهذه الصفات بقوله :((أولئك هم الوارثون)) ((أي (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأنْ يُسمَّوا ورّاثاً دون من عداهم ، ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر))[٨٦٥].

٣- الاستفهام الدال على النفي:

ومنه قوله تعالى :﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾(النساء :١٢٥) ، قيل: إنَّ المقصود من الآية مَنْ ((أخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها رباً سواه وقيل : بذل وجهه له في السجود،وأخلص عمله له عز وجل ، وقيل : فوض أمره إليه تعالى . وهذا إنكار واستبعاد لأنْ يكون أحد أحسن ديناً ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً .

لإنكار المساواة ونفيها ، يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فإنَّه إذا قيل : من أكرم من فلان (...) فالمراد به حتماً أنَه أكرم من كل كريم))[٨٦٦] . ومعنى الأمر بيّن

---

[٨٦٣]- أحكام القرآن للجصاص ١ / ٢٤ .
[٨٦٤]- تفسير أبي السعود ٦ / ١٢٣ .
[٨٦٥]- الكشاف ٣ / ١٧٣ .
[٨٦٦]- تفسير أبي السعود٢/٢٣٦.

واضح ، فعندما لا يكون أحد أفضل ديناً ممن ذُكر ، أصبح من الواجب اتباع هذا الدين والتمسك به .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(فصلت :٣٣) ، والمعنى لا أحد أحسن قولاً ممن اتصف بهذه الصفات ، وهو أمر بالتحلي بها ، والآية ((عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث : أنْ يكون موحداً معتقداً لدين الإسلام ، عاملاً بالخير داعياً إليه))[٨٦٧].

٤ـ الاستثناء التام:

حد النحاة الاستثناء بأنَّه ((الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها لما كان داخلا أو منزلاً منزلة الداخل))[٨٦٨] ، أي : أنَّه إخراج ما بعد إلا أو إحدى أخواتها من حكم ما قبلها ، فعند فعند قولنا : نجح الطلاب إلا خالداً ، يعني أنَّنا أخرجنا خالداً من الحكم الذي اتصف به الطلاب وهو النجاح ، والمقصود بالاستثناء التام الاستثناء الذي تكاملت أركانه وهي المستثنى منه وأداة الاستثناء والمستثنى .

وقد جاء هذا النوع من الاستثناء كثيراً في القرآن الكريم ، وأفاد في عدد من مواضعه الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾(النساء :١٤٦) فالآية الكريمة تضمنت أمراً بالتوبة والكف عن النفاق ؛ لأنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وأنْ تكون هذه التوبة مصحوبة بإصلاح واعتصام بالله تعالى دون غيره ، وإخلاص الدين له عز وجل . فبعد أنْ توعد تعالى المنافقين ((استثنى من هذا الوعيد مَنْ آمن من المنافقين وأصلح حاله واعتصم بالله دون الاعتزاز بالكافرين وأخلص دينه لله فلم يشبه بتردد ولا تربص بانتظار من ينتصر من الفريقين : المؤمنين والكافرين ، فأخبر أنَّ من صارت حاله إلى هذا الخير فهو مع المؤمنين ، وفي لفظ (مع) إيماء إلى فضيلة مَنْ آمن مِن أول الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأنَّ (مع) تدخل على المتبوع وهو الأفضل وجيء

---

[٨٦٧]- الكشاف ٤ / ١٩٤ .
[٨٦٨]- شرح الأشموني ٢ / ١٤١ .

باسم الإشارة في قوله (فأولئك مع المؤمنين) لزيادة تمييز هؤلاء الذين تابوا وللتنبيه على أنهم أحرياء بما سيرد بعد اسم الإشارة . وقد علم الناس ما أعد الله للمؤمنين بما تكرر في القرآن ، ولكنه زاده هنا تأكيداً بقوله ((وسوف يؤتي الله المؤمنين اجراً عظيما))[٨٦٩] .

وفي الآية إغراء بالتوبة والحث عليها من خلال بيان عقوبة المنافقين ، وثواب التائبين منهم .

وعلى ما تقدم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً *وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً* إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾(المعارج :١٩ ـ ٢٢) ، وهذا وصف لحال الإنسان بأنَّه خلق هلوعاً ، و ((الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير ، وقد فسَّره أحسن تفسير قوله تعالى : إذا مسه الشر أي الفقر والمرض ونحوهما جزوعاً مبالغاً في الجزع مكثراً منه وإذا مسه الخير أي السعة والصحة منوعاً لأنَّها طبائع جُبل الإنسان عليها))[٨٧٠] .

والهلع على هذا المعنى صفة ذميمة ، فكيف خلق الله الإنسان عليها ؟ وقد أجاب السيد الطباطبائي عن ذلك بقوله :((الهلوع صفة مشتقة من الهلع بفتحتين وهو شدة الحرص[٨٧١] ، (...) وذلك أنَّ الحرص الشديد الذي جُبل عليه الإنسان ليس حرصاً منه على كل شيء خيراً كان أو شراً نافعاً أو ضاراً بل حرصاً على الخير النافع (...) بل حرصا منه على ما يراه خيراً لنفسه أو نافعاً في سبيل الخير ، ولازم هذا الحرص أنْ يظهر منه التزعزع والاضطراب عند مس الشر وهو خلاف الخير وأنْ يمتنع عن ترك الخير عند مسه ، ويؤثر نفسه على غيره إلا أنْ يرى الترك أكثر خيراً وأنفع بحاله ، فالجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير من لوازم الهلع وشدة الحرص .

وليس الهلع وشدة الحرص المجبول عليه الإنسان ـ وهو من فروع حب الذات ـ في حد نفسه من الرذائل المذمومة كيف ؟ وهي الوسيلة الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته وكمال وجوده ، وإنَّما تكون رذيلة مذمومة إذا أساء الإنسان في تدبيرها . فاستعملها

---

[٨٦٩]- التحرير والتنوير ٢٤٤/٥.
[٨٧٠]- تفسير أبي السعود ٣٢/٩.
[٨٧١]- ظ اللسان ٥ / ٣٤٢ (هلع) .

فيما ينبغي وفيما لا ينبغي بالحق وبغير حق كسائر الصفات النفسانية التي هي كريمة ما لزمت الاعتدال وإذا انحرفت إلى جانب الإفراط أو التفريط عادت رذيلة ذميمة))[٨٧٢].

ومن هنا يتضح الأمر بالصفات التي بعد (إلا) ليتمكن الإنسان من خلال التمسك بها أنْ يحول صفة الهلع التي خُلق عليها إلى صفة إيجابية وليست سلبية ، فيكون حريصاً على كل خير يقوده إلى الله تعالى ، وجزعاً شروداً عن كل ما خلاف ذلك ، ولا يكون ذلك الا بالتمسك بالصلاة والدوام عليها .

وعلى ما تقدم جاء قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء :٢٢٤- ٢٢٧) والمعنى : إنَّ الشعراء المتصفين بالإيمان والعمل الصالح وذكر الله تعالى خارجون عن صنف الشعراء السابقين ، فحري بالشعراء أنْ يتمسكوا بهذه الصفات لأنَّها منجاة لهم .

٥ ـ حتى المسبوقة بنفي:

ونريد بها (حتى) الداخلة على الفعل المضارع المنصوب ، والتي تفيد انتهاء الغاية بمعنى (إلى أنْ) نحو قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران :٩٢) ، والبر يعني التوسع في عمل الخير ، فإذا نُسب إلى الله تعالى كان بمعنى الثواب ، وإذا نُسب إلى العبد كان بمعنى الطاعة ، سواء كانت في الاعتقاد أم في الأعمال [٨٧٣] .

((والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويُقبل منهم أثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يُقبل منهم ، أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أو لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه حتى تنفقوا أي في سبيل الله عز وجل رغبةً فيما عنده))[٨٧٤]. أي لن تنالوا ذلك الثواب ((حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها))[٨٧٥] .

٨٧٢- الميزان ٢٠ / ١٢ ـ ١٣ .
٨٧٣- ظ المفردات : ١١٤ .
٨٧٤- تفسير أبي السعود٢/٥٧.
٨٧٥- الكشاف ١ / ٣٧٦ .

وهذا التركيب فيه معنى الجزاء أيضاً ، لأنَّه يتكون من سبب ونتيجة ، ويرتبط فيه حصول أحد الأمرين على الآخر ، فإنفاقهم مما يحبون سبب لنيلهم البر ، أي : انفقوا مما تحبون كي تنالوا البر ، وفي ذلك تشجيع لهم وحث على الإنفاق ، يصحبه أملٌ ورغبةٌ لنيل البر ، لأنَّهم وعدوا به وعداً مشروطاً ، لذلك يُنقل عن الصحابة رضوان الله عليهم أنَّهم لما نزلت هذه الآية سارعوا إلى التصدق بأحب الأشياء إليهم من أموال وضياع وأنعام وغيرها [٨٧٦] .

ونظير ما تقدم قوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾(النساء :٦٥) قال الرازي : ((دلت الآية على أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الخطأ في الفتوى وفي الأحكام ، لأنَّه تعالى أوجب الانقياد لحكمهم وبالغ في ذلك الإيجاب وبيَّن أنَّه لا بد من حصول ذلك الانقياد في الظاهر وفي القلب ، وذلك ينفي صدور الخطأ عنهم))[٨٧٧] .

وقد أكَّد الكلام بالقسم ، ((وقدم لا على القسم اهتماماً بالنفي ثم كررها بعدُ توكيداً للاهتمام بالنفي ، وكان يصح إسقاط لا الثانية ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى ، وكان يصح إسقاط الأولى ويبقى معنى النفي ويذهب معنى الاهتمام .وقيل الثانية زائدة والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي))[٨٧٨]. وكذلك أكد الفعل (يسلموا) بمصدره ، و((كأنَّه قيل : وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه ، بظاهرهم وباطنهم))[٨٧٩] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾(الرعد :١١) والمعنى : غيّروا ما بأنفسكم إلى الخير والى العمل الصالح كي تحظوا بعون الله تعالى ومساعدته .

ويلاحظ في هذا التركيب أنَّ ما بعد (حتى) هو المأمور به ، وما قبلها غالباً ما يكون حثاً على الأمر ، وتشجيعاً لفعله .

---

[٨٧٦]- ظ الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٨٥-٨٦ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٤٠٨-٤٠٩.
[٨٧٧]- التفسير الكبير ١٠ / ١٢٨ - ١٢٩ .
[٨٧٨]- البحر المحيط ٣ / ٢٨٤.
[٨٧٩]- الكشاف ١ / ٥١٨ .

٦ـ الأفعال المتضمنة رضا الله تعالى:

وردت في القرآن الكريم جملة من الأفعال التي تعبر عن رضا الله تعالى عن بعض الأعمال ، وهذه الأفعال تمثل أمراً ضمنياً من خلال الترغيب في تلك الأعمال والحث عليها ، ومن ذلك الفعل (يُحب) نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة :٢٢٢) ، فالآية الكريمة تأمر بالتوبة والتطهُّر ، لأنَّ الله تعالى يحبهما ، ومن صفات العبد المطيع أنْ يأتي بما يحبه مولاه ، ويبتعد عما يبغضه ، ((ومحبة الله للعبد هي إرادة ثوابه))[٨٨٠]. والآية بعد ذلك ((مطلقة غير مقيدة فتشمل جميع مراتب التوبة والطهارة (...) ولا

يبعد استفادة المبالغة من قوله تعالى : المتطهرين ، كما جيء بصيغة المبالغة في قوله التوابين ، فينتج استفادة الكثرة في التوبة والطهارة من حيث النوع ومن حيث العدد جميعاً . أعني : أنَّ الله يحب جميع أنواع التوبة سواء كانت بالاستغفار أو بامتثال كل أمر ونهى من تكاليفه أو باتخاذ كل اعتقاد من الاعتقادات الحقة ، ويحب جميع أنواع التطهر سواء كان بالاغتسال والوضوء والغسل أو التطهر بالأعمال الصالحة أو العلوم الحقة ، ويحب تكرار التوبة وتكرار التطهر))[٨٨١].

وعقد الزركشي باباً لمثل هذا الأمر سماه : (خطاب التشجيع والتحريض) يقول فيه :((وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ، وكفي بحث الله سبحانه تشجيعاً على منازلة الأقران ، ومباشرة الطعان))[٨٨٢].

وأحياناً يأتي الفعل (يحب) بعد أمر صريح كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة :١٩٥) ، فيكون بمنزلة الحث والتوكيد على الأمر وتحبيبه إلى المأمور به .

---

[٨٨٠]- مجمع البيان ١ / ٢٧٨.
[٨٨١]- الميزان ٢ / ٢١٢ .
[٨٨٢]- البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٤٨، والنص القرآني من سورة الصف:٤.

ومن تلك الأفعال الفعل (بشّر) المستعمل في الحقيقة لا في المجاز ؛ لأنَّ استعماله في المجاز يدل على السخرية والتهكم ؛ نحو قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ ﴾(التوبة :١١٢) ، فأفعال المؤمن تنال رضا الله تعالى ؛ لذلك جاء الأمر بتبشيرهم ، وحُذف المشبّر به دلالة على تعظيمه وسعته .

ومثله قوله جل وعلا :﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس :٢) ، وقدم صدق ((أي سابقةً وفضلاً ومنزلةً رفيعةً . فإنْ قلت :لمَ سُميت السابقة قدماً ؟ قلت : لمَّا كان السعي والسبق بالقدم ، سُميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً ، وسُميت النعمة يداً لأنَّها تُعطى باليد ، وباعاً لأنَّ صاحبها يبوع بها ، فقيل : لفلان قدم في الخير . وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل ، وأنَّه من السوابق العظيمة))[٨٨٣] .

وكذلك أفاد المضارع (يبشّر) هذا المعنى أيضاً نحو قوله تعالى: ﴿ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾(الكهف:٢) ، وقوله جل وعلا :﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (الإسراء :٩) .

ونظير ما تقدم الفعل (يرفع) في قوله تعالى :﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة من الآية :١١) أي : (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله ﷺ ، والعالمين منهم خاصة ، وفي ذلك حث على الإيمان ، وطلب العلم .

ومثله الفعل (فضَّل) في قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾(النساء من الآية :٩٥) ، فالمجاهدون مفضَّلون على القاعدين من غير أولي الضرر ، وإنْ كان الله تعالى وعد كلاً منهما الحسنى ، ولكنه جل وعلا فضَّل المجاهدين لدورهم في نصر الإسلام والحفاظ على الوطن والأعراض والأملاك .

---

[٨٨٣]- الكشاف ٢ / ٣١٧ .

وكذلك أفاد الأمر الضمني الفعل (وعد) كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(المائدة :٩) فهو أمر بالإيمان وعمل الصالحات ؛ لأنَّ ذلك يوصل إلى مغفرة الله ، ونيل الأجر الكريم .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(الفتح من الآية :٢٩) .

وفي كل ما تقدم من هذه الأفعال نجد الحث والترغيب على العمل بعمل الأصناف المذكورة بعد الفعل ، والاتصاف بصفاتهم .

دلالـة الحـذف

الحذف بابٌ واسع من أبواب العربية ، عُني به العلماء على اختلاف تخصصاتهم ، ولا سيما البلاغيين حيث بحثوه في علم المعاني ، وقالوا عنه : ((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنَّك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن))[٨٨٤].

ولا يكون الحذف بلا ضوابط تقيده ، ودلائل تدل على الحذف والمحذوف ، ((فالأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أنْ يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فإنْ لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنَّه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ، ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنَّه متى ما ظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن))[٨٨٥] .

وحُذف الأمر في القرآن الكريم في عدة أساليب ، نذكرها تباعاً ـ إنْ شاء الله ـ

١ـ الإغراء والتحذير:

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (الشمس :١٣) ، ذكر المفسرون أنَّ (((ناقة الله) نُصب على التحذير ، كقولك الأسد الأسد ، والصبي

---

[٨٨٤]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ١ / ١٤١ ، وظ المثل السائر ٢ / ٧٦ .
[٨٨٥] المثل السائر ٢ / ٧٦ .

الصبي ، بإضمار : ذروا أو احذروا عقرها))[٨٨٦]. وذهب أحد الباحثين إلى أنَّها ((إلى الإغراء أقرب منها إلى التحذير . والمعنى حينئذ يكون : احفظوا ناقةَ الله ، لأنَّ ليس في نفس الناقة ما يُحذر منه ، بل على العكس ، فإنَّها كانت ناقةً حلوباً تقف على باب كل واحد من قوم ثمود ليأخذ منها كفايته ـ على ما ذُكر ـ فهذه قرينة على الإغراء بصيانتها وحفظها. إضافة إلى أنَّ القول بالتحذير يلزم منه تقدير محذوف آخر ، غير الفعل ، وهو (احذروا إيذاء ناقة الله) ليستقيم المعنى ، أما قولنا : الأسد الأسد ، أو النار النار ، فإنَّ التحذير هنا من نفس المحذَّر منه ، وليس الأمر كذلك في قوله (ناقة الله)))[٨٨٧].

ويبدو أنَّ الذي جعل المفسرين يقدرون النصب على التحذير هو سياق السورة ، ومضمون القصة ، فثمود طغت وتكبَّرت ، وكذبت نبيها صالحاً عليه السلام ، حتى يأتيهم بمعجزة تكون دليلاً على ما يدعي ، فكانت الناقة التي أخرجها الله لهم بصفاتها المذكورة هي المعجزة ، فكان التحذير من إيذاء تلك الناقة أقوى وأوقع في النفس من الإغراء . والمعنى : إنَّكم تكبرتم وطغيتم وكذبتم نبيكم ، وطلبتم منه معجزةً تثبت ما يقول ، فهذه هي المعجزة ، ولكن إياكم وأذيتها ؛ لأنَّ ذلك يعني تكذيبكم لنبيكم ، وعدم الإيمان به ، على الرغم من إتيانه بالمعجزة التي طلبتم لتؤمنوا به ، وعندها سيحل عليكم العذاب ؛ وقد جاء هذا في الآية التي تلت الآية مدار البحث ، فالتحذير والزجر

أقوى من الإغراء ، لأنَّهم أبعد ما يكونون عن الإغراء والقول اللطيف بما ارتكبوا من معاصي وآثام .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم :٣٠) قال

الزمخشري : ((أي الزموا فطرة الله . أو عليكم فطرة الله . وإنَّما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله (منيبين إليه) ومنيبين : حال من الضمير في : الزموا))[٨٨٨].

٢ـ الحذف في الشرط:

---

[٨٨٦]- الكشاف ٤ / ٧٤٨ ، وظ معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٦٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٢ .
[٨٨٧]- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٣٨ .
[٨٨٨]- الكشاف ٣ / ٤٦٣ . وهناك آيات أخرى حُملت على هذا المعنى ، ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم :١٣٦ ـ ١٣٨ .

ومنه قوله تعالى :﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٣٨-٢٣٩) ، فجواب الشرط محذوف تقديره : ((فصلوا راجلين ، وهو جمع راجل كقائم وقيام))[٨٨٩] .

ومثل ذلك قوله جل وعلا :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً ﴾(النساء من الآية :٣) ، قُرئت (واحدة) بالنصب والرفع ، فالنصب على تقدير : فاختاروا واحدة ، أو فانكحوا واحدة ، والرفع على تقدير : فواحدة كافية ، أو حسبكم واحدة ، وما شابه ذلك[٨٩٠] .

ونلحظ أننا إذا قدَّرنا المحذوف فعل أمر كانت الجملة انشائية ، أما إذا قدَّرنا المحذوف اسماً ، كانت الجملة خبرية بمعنى الأمر .

وحُذف الأمر مع الاسم الموصول أيضاً ؛ وذلك لتضمنه معنى الشرط ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة :٣) ، والمعنى : فعليكم تحرير رقبة ، أو فكفارته تحرير رقبة .

٣ـ الحذف قبل ظرف الزمان:

وأكثر ما يُستعمل هذا الحذف مع (إذ) الظرفية ، حيث ورد في ثمانية وستين موضعاً من القرآن الكريم[٨٩١] ، ومن ذلك قوله جل وعلا :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة من الآية :٣٠) ، والفعل المحذوف هو: اذكر[٨٩٢]. ومثله قوله جل وعلا : ﴿ إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة :١١٢) .فالفعل المحذوف تقديره (اذكر) أيضاً.

---

[٨٨٩]- الكشاف ١ / ٢٨٤ ، وظ التفسير الكبير ٦ / ٢٣٩ .
[٨٩٠]- ظ مجمع البيان ٢ / ٤ ، والبحر المحيط ٣ / ١٦٣ ـ ١٦٤ ، والتفسير الكبير ٩ / ٤٨٩ .
[٨٩١]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٤٠ .
[٨٩٢]- ظ الكشاف ١ / ١٢٨

وكذلك حُذف فعل الأمر مع ظرف الزمان (يوم) ، حيث تكرر هذا الاستعمال في أربعة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم[٨٩٣] ، ومن ذلك قوله تعالى﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾ (آل عمران من الآية:٣٠) ، وقوله جل وعلا :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم :٤٨) ، والفعل المحذوف في كلا الآيتين هو (اذكر

ويظهر مما تقدم أنَّ المفسرين لم يذكروا دلالة الحذف في الآيات السابقة ، وإنما اكتفوا بتقدير المحذوف ، ويبدو أنَّ الدلالة المتحصلة من هذا الحذف هي الإيجاز والاختصار ؛ لأنَّ هذه الأساليب مما أُلف فيه الحذف لوضوح المعنى وفهم المراد .

وهناك صور تعبيرية أخرى حُملت على حذف فعل الأمر ، ويحتمل المعنى غير ذلك[٨٩٤] .

دلالة الأمر على الإخبار

ذكرنا فيما سبق مجيء الأمر بصيغ الخبر ، ونذكر هنا مجيء الخبر بصيغ الأمر ، ولا يكون ذلك إلا لأغراض بلاغية ، ونكت معنوية من المبالغة والتأكيد والحتم والإلزام وغيرها ، ولعل فيما يأتي بياناً لتلك المعاني والأغراض .

فمن الأمر الذي أفاد الأخبار قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة :٨٢) ، قال الرازي : ((وهذا وإنْ ورد بصيغة الأمر إلا أنَّ معناه الإخبار بأنَّه ستحصل هذه الحالة ، والدليل عليه قوله بعد ذلك :(جزاء بما كانوا يكسبون) ومعنى الآية أنَّهم ، وإنْ فرحوا وضحكوا في كل عمرهم ، فهذا قليل لأنَّ الدنيا بأسرها قليلة ، وأما حزنهم وبكاؤهم في الآخرة فكثير ، لأنَّه عقاب دائم لا ينقطع ، والمنقطع بالنسبة إلى الدائم قليل ، فلهذا المعنى قال : (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً)))[٨٩٥] ، والى ذلك ذهب بقية المفسرين[٨٩٦] .

---

[٨٩٣]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٤٤ .
[٨٩٤]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٤٥ ـ ١٤٧
[٨٩٥]- التفسير الكبير ١٦ / ١١٤.
[٨٩٦]- ظ تفسير ابن عطية ٣ / ٦٦ ، والبحر المحيط ٥ / ٨٠ ، وتفسير أبي السعود ٤ / ٨٨ .

وجاء الخبر هنا بلفظ الأمر ((للدلالة على أنَّه حتم وواجب لا يكون غيره))[٨٩٧] ، وذهب الطبرسي إلى أنَّ ((هذا تهديد لهم في صورة الأمر ، أي فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلاً لأنَّ ذلك يفنى وإنْ دام إلى الموت ولأنَّ الضحك في الدنيا قليل لكثرة أحزانها وهمومها وليبكوا كثيراً في الآخرة ؛ لأنَّ ذلك يوم مقداره خمسون ألف سنة وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيراً))[٨٩٨]. والآية الكريمة بيَّنت مع التهديد عاقبة هؤلاء ، والمصير الذي سيؤولون إليه ، وفي ذلك رادع لهم لو كانوا يعقلون .

ونظير ما تقدم قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إذا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً﴾ (مريم :٧٥) ، ولفظ الأمر هذا يحتمل معنيين ((أحدهما أنْ يكون بمعنى الدعاء والابتهال كأنَّه يقول الأضل منا أو منكم ((مدَّ)) الله له أي أملى له حتى يؤول ذلك إلى عذابه ، والمعنى الآخر أنْ يكون بمعنى الخبر كأنَّه يقول من كان ضالاً من الأمم فعادة الله فيه أنَّه ((يمدُّ)) له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة ، فاللام في قوله ((فليمدد)) على المعنى الأول لام رغبة في صيغة الأمر ، وعلى المعنى الثاني لام أمر دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى وهذا الموجود في كلام العرب وفصاحتها))[٨٩٩] .

والظاهر أنَّ معنى الخبر في الآية الكريمة أقوى من الدعاء بدليل الجزء الآخر منها ((حتى إذا رأوا العذاب ...)) ، أي : أنَّه تعالى سيمدهم لهم مداً إلى أنْ يروا ما يُوعدون به ، وهو أما العذاب في الدنيا وغلبة المسلمين عليهم ، وأما الخسران في يوم القيامة وما يصيبهم فيه من خزي ، بمعنى : أنَّه تعالى سيمدهم إلى ذلك الحين ، وعلَّل الزمخشري مجيء الخبر بلفظ الأمر بقوله : ((فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك ، وأنَّه مفعول لا محالة ، كالمأمور به الممتثل ، لتقطع معاذير الضال ، ويقال له يوم القيامة ((أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ))))[٩٠٠] .

وفي الآية تهديد وتحذير ، والمعنى : ((فليعش ما شاء ، وليوسع لنفسه في العمر ، فمصيره إلى الموت والعقاب . وهذا غاية التهديد والوعيد))[٩٠١].

وعلى ما تقدم جاء قوله تعالى :﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾

---

[٨٩٧]- الكشاف ٢ / ٢٨٧ ، وظ روح المعاني ١٠ / ١٥٢ .
[٨٩٨]- مجمع البيان ٣ / ٥٦ .
[٨٩٩]- تفسير ابن عطية ٤ / ٤٩ وظ البحر المحيط ٦ / ٢١٢ ، وروح المعاني ١٦ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .
[٩٠٠]- الكشاف ٣ / ٣٥ .والنص القرآني من سورة فاطر:٣٧.
[٩٠١]- الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩٦ .

(طه :٣٩) ، قال أبو حيان : ((فليلقه أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغةً ، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (قوموا فلاصلِ لكم) خرج الخبر في صيغة الأمر لنفسه مبالغةً ، ومن حيث خرج الفعل مخرج الأمر حسن جوابه كذلك ، وهو قوله : يأخذه))[٩٠٢].

والإخبار بصيغة الأمر أكثر تأكيداً ، لأنَّ الأمر فيه من الحزم والشدة ما ليس في الخبر ، وفي ذلك تهدئة لأم موسى عليه السلام وأماناً لها ، وتسكيناً لقلبها الذي يرتعش خوفاً على موسى عليه السلام .

ومن الأساليب التي جاء فيها الإخبار بصيغة الأمر هو أسلوب التعجب نحو قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (مريم :٣٨) ، قيل في معنى الآية: إنَّها إخبار ، لأنَّ الله تعالى لا يوصف ((بالتعجب وإنَّما المراد أنَّ أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأنْ يُتعجب منهما بعدما كانوا صُمَّاً وعمياً في الدنيا . وقيل : معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم))[٩٠٣].

واستدل الزركشي على أنَّه ليس أمراً حقيقياً بظهور الفاعل الذي هو الجار والمجرور ، لأنَّ فعل الأمر لا يظهر فاعله أبداً [٩٠٤] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾ (الكهف :٢٦) ، وهذا إخبار أيضاً ((ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصَّر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنَّما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم))[٩٠٥] ، وذلك ((للدلالة على أنَّ أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين ، لأنَّه يُدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يُدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً ، ويُدرك البواطن كما يُدرك الظواهر ، والضمير (به) عائد على الله تعالى))[٩٠٦] .

وهناك آيات أخر جاء فيها الإخبار بصيغ الأمر[٩٠٧].

---

[٩٠٢]- البحر المحيط ٦ / ٢٤١ .
[٩٠٣]- الكشاف ٣ / ١٦ ـ ١٧ ، وظ مجمع البيان ٣ / ٥١٤ ـ ٥١٥ ، والتفسير الكبير ٢١ / ٥٤٠ .
[٩٠٤]- ظ البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٥١ .
[٩٠٥]- مجمع البيان ٣ / ٤٦٣ .
[٩٠٦]- البحر المحيط ٦ / ١١٧ .
[٩٠٧]- ظ صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم : ١٥٤ ـ ١٥٥ ، وأسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم: ١٩٧ ـ ٢٠٦ .

التقديـم والتأخيـر

ليس التقديم والتأخير خاصاً بأسلوب الأمر فحسب ، إنما يكاد يشمل أساليب العربية وموضوعاتها عامة ، وهو باب واسع ، ذو فوائد متعددة ، وقد جعله الدكتور فاضل السامرائي على قسمين هما : تقديم اللفظ على عامله ، وتقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل[٩٠٨] .

وما يعنينا هنا تقديم اللفظ على عامله ، إذا كان عامله فعل أمر ، أو تقديم متعلقات فعل الأمر عليه ، ومنه قوله تعالى :﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾ (البقرة :٤٠-٤١) ، فقدم (إياي) على الفعلين (ارهبون واتقون) على التوالي[٩٠٩] ، وهو تقديم واجب ، لأنَّ (إياي) وأخواتها ضمائر منفصلة لو تأخرت لوجب اتصالها[٩١٠] .

وقد اختلف النحاة والمفسرون في هذا التركيب ، وفي معنى الفاء المتصلة بالفعل ، ولا سيما أنَّ الفعل بعدها مشغول بنصب الضمير العائد على المتكلم وهو الياء المحذوفة ، وكان وجه الكلام في غير القرآن أنْ يُقال : إيَّاي فارهبوا وإيَّاي فاتقوا . فقيل : إنَّ (إياي) منصوب بفعل مضمر يفسره المذكور ، والتقدير : إياي ارهبوا فارهبون ، والفاء واقعة في جواب أمر محذوف تقديره : تنبَّهوا فارهبون[٩١١]. وقيل : هي فاء الجزاء ، والمعنى : إنْ كنتم راهبين شيئاً فارهبون[٩١٢] ، وقيل : هي عاطفة ، وإنْ كان فيه بعد[٩١٣].

٩٠٨- ظ التعبير القرآني : ٤٨ .
٩٠٩- وجاء مثل هذا التركيب في سورة النحل : ٥١ ، وسورة العنكبوت : ٥٦.
٩١٠- ظ شرح ابن عقيل ١ / ٩٧ .
٩١١- ظ تفسير ابن عطية ١ / ١٣٤ ، والبحر المحيط ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦ .
٩١٢- ظ تفسير أبي السعود ١ / ٩٥ ، وروح المعاني ١ / ٢٤٣.
٩١٣- ظ روح المعاني ١ / ٢٤٣ .

وقيل الفاء جواب أمر ، و(إياي) مفعول به للفعل المذكور ، والتقدير : ((وتنبهوا فارهبون ، ثم قدم المفعول فانفصل ، وأُخرت الفاء حين قدم المفعول وفعل الأمر الذي هو تنبهوا محذوف ، فالتقى بعد حذفه حرفان : الواو العاطفة والفاء ، التي هي جواب أمر ، فتصدرت الفاء ، فقدم المفعول وأُخِّرت الفاء إصلاحاً للفظ ، ثم أعيد المفعول على سبيل التأكيد ولتكمل الفاصلة ، وعلى هذا التقدير لا يكون إياي معمولاً لفعل محذوف ، بل معمولاً لهذا الفعل الملفوظ به ، ولا يبعد تأكيد الضمير المنفصل بالمتصل ، كما أُكِّد المتصل بالمنفصل في نحو : فديتك إياك))[٩١٤] .

وهذه التأويلات فيها كثير من التكلف ، ولا سيما التأويل الأخير ، مع أنَّه أقربها إلى الصواب لو استثنينا كثرة الحذف والتقدير فيه كي يصل إلى التعبير الذي استقر عليه ، وهو (إياي فارهبون) ، ولعل الدافع لهذه التأويلات هو نظرية العامل النحوي التي لا تجيز اجتماع عاملين على معمول واحد ، وخلاف ذلك يمكننا أنْ نعرب (إياي) والياء المحذوفة مفعولين للفعل نفسه ، والغرض من ذلك هو التوكيد ، وقصر الرهبة به تعالى دون غيره ، فإعادة ضمير المفعول أفاد توكيده ، ولا سيما أنَّ الضميرين يعودان لمتكلم واحد هو المولى عز وجل مما سهل إعرابهما مفعولين للفعل نفسه ، وتكون الفاء رابطة لجزأي الجملة .

ومهما يكن من تقدير فهذا التركيب ((آكد في إفادة التخصيص من (إياك نعبد) لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول))[٩١٥] ، وقُدِّمت الرهبة على التقوى في الآيتين ((لأنَّ الرهبة مقدمة التقوى إذ التقوى رهبة معتبر فيها العمل بالمأمورات واجتناب المنهيات بخلاف مطلقة الرهبة فإنَّها اعتقاد وانفعال دون عمل ، ولأنَّ الآية المتقدمة تأمرهم بالوفاء بالعهد فناسبها أنْ يُخوَّفوا من نكثه))[٩١٦] .

وعلى ما تقدم قوله تعالى :﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٦) ، وفائدته الاختصاص والقصر أيضاً ، ((لأنَّه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال : بل اعبد لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء))[٩١٧].

ومن تقديم متعلقات فعل الأمر عليه قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(إبراهيم من الآية :١١

---

[٩١٤]- البحر المحيط ١ / ١٧٦ .
[٩١٥]- تفسير أبي السعود ١ / ٩٥ ، وظ الكشاف ١ / ١٣٤ ، وروح المعاني ١ / ٢٤٣ .
[٩١٦]- التحرير والتنوير ١ / ٤٦٩ .
[٩١٧]- المثل السائر ٢ / ٢١٨ .

ـ ١٢) . ((فقدم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص وذلك لأنَّ التوكل لا يكون إلا على الله وحده))[٩١٨]. وقدم المؤمنين على المتوكلين ؛ لأنَّ ((الأمر الأول وهو قوله : فليتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل ، والثاني للثبات على ما استحدثوا من توكلهم))[٩١٩] .

ومثل ما تقدم قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة :١١).

وكذلك قوله جل وعلا :﴿ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام من الآية :١٥٢) . حيث قدم شبه الجملة (وبعهد الله) على الفعل للدلالة على أهمية العهد والوفاء به ، لما فيه من التزام بينهم وبين الله تعالى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب : د. عصام نور الدين ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي(٩١١ هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات الشريف الرضي ، ايران ـ د.ت.
- أحكام القرآن : أبو بكر أحمد بن علي الجصاص(٣٧٠ هـ) ، ضبطه : عبد السلام محمد علي شاهين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ٢٠٠٣م .
- إرشاد الفحول : محمد بن علي الشوكاني(١٢٥٠هـ) ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ـ د . ت .
- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : عبد العليم السيد فودة ، مؤسسة دار الشعب ، مصر ـ د.ت .
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : د. قيس اسماعيل الأوسي ، بيت الحكمة ، بغداد ـ ١٩٨٨م .
- الاستغناء في أحكام الاستثناء : شهاب الدين القرافي(٦٨٢هـ) ، تح: د. طه محسن ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

---

[٩١٨]- التعبير القرآني : ٤٨ .
[٩١٩]- البحر المحيط ٥ / ٤١١ .

- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: د. شلتاغ عبود ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : د. مجيد عبد الحميد ناجي ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
- أسلوب التوكيد في القرآن الكريم : محمد حسين أبو الفتوح ، مكتبة لبنان د. ت.
- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج(٣١٦هـ) ، تح: د. عبد الحسين الفتلي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، مصر ـ ١٩٧١.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ـ ١٤٢٢ هـ ـ٢٠٠١م .
- الإعجاز العددي في القرآن الكريم : عبد الرزاق نوفل ، ط٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .
- الإعجاز الفكري في القرآن الكريم : السيد الجميلي ، ط٢ ، دار ابن زيدون ، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .
- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : د.حفني محمد شرف ، مطابع الإهرام التجارية ، مصر ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م .
- إعجاز القرآن: عبد الكريم الخطيب ، الكتاب الأول والثاني ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ـ ١٣٣٥ هـ ـ ١٩٧٥م .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، ط٦ ، مطبعة الاستقامة ، مصر ـ ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م .
- الإعجاز القرآني: بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود في بغداد ، مطبعة الأمة ، بغداد ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ .
- إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد للنحاس(٣٣٨ هـ) ، تح: د. زهير غازي زاهد ، ط٣ ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م .
- الأمالي الشجرية : ضياء الدين أبو السعادات علي بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري(٥٤٢ هـ) , ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ ١٣٤٩ هـ .

- الإنصاف في مسائل الخلاف : كمال الدين أبو البركات الأنباري(٥٧٧ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي):ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي(٦٨٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ٢٠٠٣.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري(٧٦١ هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٦ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ـ ١٩٨٠ هـ .
- البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان الأندلسي(٧٤٥ هـ) ، ط٢، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠.
- بحوث في تفسير القرآن (سورة العلق) : جمال الدين عياد ، دار الحمامي ، مصر ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م.
- بحوث في تفسير القرآن (سورة المدثر) : جمال الدين عياد ، دار الحمامي ، مصر ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧م .
- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر ـ د . ت .
- البديع : عبد الله بن المعتز ، نشره : اغناطيوس كراتشفوفسكي ، مطبعة دار الحكمة ، دمشق د . ت .
- البرهان في علوم القرآن : محمد بن عبد الله الزركشي(٧٩٤ هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ـ ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧م .
- البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن : كمال الدين الزملكاني(٦٥١ هـ) ، تح :د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ ٢٠٠٠م .
- تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي ، ضبطه وصححه : محمد سعيد العريان ، ط٢ ، مطبعة الاستقامة ، مصر ـ ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م .
- تاريخ القرآن : د.عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب العربي ، مصر ـ ١٩٦٦ .
- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠ هـ) ، قدم له : الشيخ أغا بزرك الطهراني ، المطبعة العلمية ، النجف ـ ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧م .

- التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، د. ت .
- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار المعارف ، مصر ـ ١٩٥٦م .
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة خليل أبو عودة ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: د. رمضان عبد التواب ، ط١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م .
- التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ـ ١٩٨٨.
- التعريفات : أبو الحسن علي بن محمد للجرجاني(٨١٦هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ د . ت .
- تفسير ابن كثير: ابن كثير(٧٧٤ هـ) ، ط٢ ، دار الحرية للطباعة ، بيروت ـ ١٩٩٣.
- التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، مصر ـ ١٩٦٢.
- التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، ط٢ ، دار الغرب العربي ، دمشق ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.
- تفسير سورة الحمد : السيد محمد باقر الحكيم ، ط٢ ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) ، ايران ـ ١٤٢٥ هـ .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي(٤٠٦ هـ) ، تح: محمد عبد الغني حسن ، ط٢ ، دار الأضواء ، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٣١٠ هـ) ، ط٢ ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤م .
- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله القرطبي(٦٧١ هـ) ، تح: سالم مصطفى البدري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ـ ١٩٨٠.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني : محمد علي الصبان(١٢٠٦هـ) ، ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٩٩٧م.

- الحروف المقطعة في القرآن الكريم : عبد الجبار حمد حسين شرارة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ـ ١٩٨٠م .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني(٣٩٢ هـ) ، تح: محمد علي النجار ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ـ ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢ ، ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه : د.مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦.
- دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ ١٩٧٣ هـ .
- دراسات في اللغة (كتاب المورد): مجموعة مؤلفين ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ ١٩٨٦.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢.
- دراسة الصوت اللغوي: د. احمد مختار عمر ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م .
- دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سليمان حمودة ، مطبعة الدار الجامعية ، د . ت .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، وقف على تصحيحه الشيخ محمد رشيد رضا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م .
- دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ـ ١٩٧٢.
- دور الكلمة في اللغة : ستيفان أولمان ، ترجمة: د. كمال يشر ، مكتبة الشباب ، مصر ـ ١٩٧٥ .
- ديوان لبيد: دار صادر ، بيروت ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م .
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : د.غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : شهاب الدين الآلوسي(١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ د.ت.

- الروض الآنف : عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(٥٨١ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ ١٩٧٨م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري(٣٢٧ هـ) ، تح: د. حاتم صالح الضامن ، بغداد ـ ١٩٧٩م .
- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان لابن جني ، تح: د. حسن هنداوي ، ط٢ ، دار العلم ، دمشق ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٨٣م.
- السيرة النبوية : ابن هشام(٢١٣ هـ) ، مؤسسة النور للمطبوعات ، ط١ ، بيروت ـ ٢٠٠٤ هـ .
- شخصية الرسول الأعظم قرآنيا ، الشيخ جلال الحنفي البغدادي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل(٧٦٩ هـ) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : علي بن محمد الأشموني(٩٢٩هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ـ ١٩٥٥م .
- شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري(٩٠٥ هـ) ، ط١ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ـ ١٩٥٤م .
- شرح الشافية : رضي الدين الاستربادي(٦٨٦ هـ) ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ـ ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م .
- شرح الكافية في النحو : رضي الدين الاستربادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ د . ت .
- شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين يعيش بن يعيش (٦٤٣ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ـ د . ت .
- الصوت اللغوي في القرآن الكريم : د. محمد حسين الصغير ، ط١ ، دار المؤرخ العربي ، لبنان ـ ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م .
- عضوية الموسيقى في النص الشعري : د. عبد الفتاح صالح نافع ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، ط١ ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ، الكويت ـ ١٩٨٢م .

- علم اللغة العام : فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ـ ١٩٨٨.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : د. محمود سعران ، دار المعارف ، مصر ـ ١٩٦٢.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٩٦ هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ـ ١٩٧٤م .
- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ ١٩٨٦.
- الفاصلة القرآنية : محمد الحسناوي ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ن بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني(١٢٥٠هـ) ، ضبطه صححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العربية ، بيروت ـ د.ت.
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط٢ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ـ د. ت.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث : د.مهدي المخزومي ، ط١ ، مصر ١٩٦٦م .
- في النحو العربي نقد وتوجيه: د.مهدي المخزومي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ـ ١٩٦٤ .
- القرآن محاولة لفهم عصري : مصطفى محمود ، ط٢ ، دار الشروق ، بيروت ـ ١٩٧٠ .
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .
- كتاب سيبويه : عمرو بن عثمان سيبويه(١٨٠هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ـ ١٩٧٧.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق المجاز : : يحيي بن حمزة العلوي الميمني ، مراجعة وظبط : محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٩٩٥.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود الزمخشري(٥٣٨ هـ) ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ) ، تح: عامر أحمد حيدر ، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ٢٠٠٥م .
- اللغة بين المعيارية والوصفية: د.تمام حسان ، دار الثقافة ، المغرب ـ د. ت .
- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة ـ ١٩٧٣م
- لغة القرآن الكريم : د. عبد الجليل عبد الرحيم ، ط١ ، مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .
- لغة المنافقين في القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مباحث في علوم القرآن : د.صبحي الصالح ، ط٢٦ ، بيروت ـ ٢٠٠٥.
- المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية : د. مصطفى جواد ، ط٢ ، بغداد ـ ١٩٦٥م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير(٦٣٧ هـ) ، تح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، ط١ ، مكتبة النهضة ، مصر ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م .
- مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية : د . محمد حسين الصغير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ ١٩٩٤ .
- مجمع البيان : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(٥٤٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ١٣٧٩هـ .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ابن جني ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٩٩٨م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية): ابن عطية الأندلسي(٥٤٦هـ) ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م .
- مدخل إلى علم اللغة : د.محمود فهمي حجازي ، ط٢ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ـ ١٩٨٧م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ، تح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربي ، د.ت.
- المعاجم اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : محمد أحمد أبو الفرج ، ط١ ، دار النهضة العربية ، مصر ـ ١٩٦٦م .
- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧ هـ) ، الجزء الأول ، تح: أحمد محمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ، ط١ ، القاهرة ـ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م ، والجزء الثاني ، تح: محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦ ، والجزء الثالث ، تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصيف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٣ .
- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .
- معجم مصطلحات الأدب: مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت ـ ١٩٧٤م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، طهران ـ د. ت .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تح: د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ، ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ـ ١٩٧٩م
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.
- المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة : د.محمد العبد ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.
- مفتاح العلوم : محمد بن علي السكاكي (٦٢٦ هـ) ، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م
- مفردات ألفاظ القرآن :الراغب الأصفهاني(٤٢٥هـ) ، تح: صفوان عدنان داودي ، ط١ ، ايران ـ ١٤٢٦ هـ .
- المنار (تفسير القرآن الكريم) : محمد رشيد رضا ، ط٢، دار المنار ، مصر ـ ١٣٧٦ هـ.
- من أساليب التعبير القرآني : د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ ١٩٩٦ .
- من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس ، ط ٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ـ ٢٠٠٣.

- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، دار الثقافة ، المغرب ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩م.
- من بلاغة القرآن : د. أحمد أحمد بدوي ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر د. ت .
- منة المنان في الدفاع عن القرآن : السيد محمد محمد صادق الصدر ، ط١ ، ايران ـ ١٤٢٥ هـ .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم بن أحمد القرطاجني(٦٨٤هـ) ، تحك محمد الحبيب بن خوجة ، ط١ ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ ١٩٦٦م .
- من هدي القرآن : الشيخ محمود شلتوت ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة د . ت .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ،الأجزاء ١ـ ٤ ، ط٣ ، مطبعة الديواني ، بغداد ـ ١٩٨٩ ، والأجزاء ٦ـ ١١ ، مطبعة الآداب ، النجف ـ ١٩٩٠ ، والجزء ١٢ ، ط١ ، مؤسسة أهل البيت ، بيروت ـ ١٩٩٩.
- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، ط٢ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ـ ١٣٨٩.
- النحو العربي نقد وبناء : د. إبراهيم السامرائي ، دار الصادق ، بيروت د . ت
- نحو الفعل : د.أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
- النكت في إعجاز القرآن :أبو الحسن علي بن عيسى الرماني(٣٨٤هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول ، دار المعارف ، مصر ـ د . ت.
- همع الهوا مع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ، تح: أحمد شمس الدين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ٢٠٠٦م .
- وجوه من الإعجاز القرآني : مصطفى الدباغ ، ط٥ ، مكتبة المنار ، الأردن ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

الرسائل الجامعية

- أيات الجهاد في القرآن الكريم دراسة فنية : مهدية شاكر حسين الدليمي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول (ص) دراسة بلاغية وأسلوبية : عدنان جاسم محمد الجميلي ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .
- الأبنية الصرفية في ديوان امرىء القيس : د. صباح عباس السالم ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ـ ١٩٧٨م .
- أسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم : قاسم فتحي سلمان ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
- أسلوب الخبر في القرآن الكريم دراسة بلاغية نقدية : أحلام موسى حيدر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م
- الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين : ياسين جاسم المحيمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م .
- جهود عائشة عبد الرحمن في الكشف عن إعجاز النص القرآني ـ دراسة بلاغية ـ فاروق ذنون يحيى ، رسالة دكتوراه ن كلية الآداب ، جامعة الموصل ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م .
- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم : كريم مزعل محمد اللامي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ـ ١٩٩٧ .
- الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو : قاسم كتاب عطاالله ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ـ ٢٠٠١م.
- الصوت والمعنى في الدرس اللغوي الحديث عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: تحسين عبد الرضا الوزان ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية / ابن رشد ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.
- صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم: تقي محمد علي الطحان : رسالة ماجستير،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- صيغة فعَّل في القرآن الكريم ـ دراسة صرفية دلالية ـ أحلام ماهر محمد ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ـ ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .
- القول في القرآن الكريم دراسة لغوية ونحوية : أحمد إبراهيم صاعر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ـ .

المجـلات

- مجلة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦ , سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م (اسم الفعل ، د . سليم النعيمي) .

مجلة آداب الرافـدين ، جامعـة الموصل ، كلية الآداب ، ع ٩، ١٩٧٨م (الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، بحث للدكتور كاصد الزيدي).

-

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بفضل الله تعالى وصل هذا البحث إلى ما هو عليه ، بعد رحلة مع أسمى كتاب عرفته البشرية ، ولا بد لي بعد ذلك أنْ اوجز أهم النتائج التي توصل إليها وهي :

١ـ كشف البحث عن العلاقة المتينة بين دلالة الأمر ، والأصوات المؤدى بها ذلك الأمر ، فنجدها هادئة تنسابفي رقة وعذوبة في المعاني الهادئة الرقيقة ، ولا سيما في دعاء العبد ، وانقطاعه إلى الله تعالى ، على حين نجدها صارمة شديدة في معاني الشدة القوة ، ولا سيما في مواضع الحرب ، أو التهديد الإلهي ، ولم يخرج الإيقاع عن هذا الإطار ، حيث شكل من خلال تلاؤم الأصوات مع معانيها وحدة دلالية متكاملة ، جسدت أثر التناغم الصوتي في رسم الصورة المعنوية المقصودة ، فكان الإيقاع يشتد ويهدأ تبعاً للمعاني المؤداة ، وبدا ذلك واضحاً في التناوب الإيقاعي الذي يتبع التناوب الدلالي .

٢ـ أسهم التكرار الصوتي في تجسيد المعاني المطلوبة ، من خلال ملائمة الأصوات المكررة لتلك المعاني بواسطة الصفات التي تحملها تلك الأصوات. فنجد الأصوات التي تميزت بصفات الشدة والجهر والانفجار قد تكررت لتجسيد المعاني القوية الشديدة ، على حين نجد الأصوات المهموسة والرخوة قد تكررت في المعاني الهدئة الرخية .

٣ـ لم تكن الفاصلة القرآنية تهتم بالجانب اللفظي على حساب المعنى ، إنما جمعت بين الإثنين ، وكان يُعمد أحياناً إلى مخالفة اللفظ في الفاصلة للدلالة على معنى معين ،

ولفت الانتباه له ، كما رأينا في الفاصلة المفردة . فتغيير الفاصلة على حرف مغاير للسابق يعمل على لفت الانتباه ، وجذب الأذهان ، فيكون ذلك مناسبا لذكر معنى جديد ، يراد التأكيد عليه والاهتمام به .

٤ـ لم يأت على وزن (انفعل) في القرآن الكريم إلا الفعل (انطلوا) وقد تكرر في آيتين متتاليتين هما : ٢٩ و ٣٠ من سورة المرسلات.

٥ـ لم يأت على وزن (تفاعل) إلا ثلاثة أفعال هي : (تعاونوا) في الآية ٢ من سورة المائدة ، و(تقاسموا) في الآية ٤٩ من سورة النمل ، و(تناجوا) في الآية ٩ من سورة المجادلة .

٦ـ استعمل القرآن الكريم أسماء الأفعال الآتية : هلم وجاء في موضعين هما : الانعام : ١٥٠ ، والاحزاب : ١٨ ، و(هيت) وجاء في آية واحدة هي : يوسف ٢٣،

و(هاؤم) وجاء في الحاقة :١٩، وجاء (عليكم) في آيتين هما : المائدة : ١٠٥، والنساء ٢٤، وجاء مكانكم في آية واحدة هي يونس: ٢٨. وتبدو دقة الاستعمال إذا ما نظرنا

إلى السياق الذي جاءت فيه هذه الألفاظ ، ف(هيت) جاء في موضع واحد ، هو موضع خلوة امرأة العزيز بيوسف عليه السلام ، مع رغبة فيه ، فصور هذا اللفظ الرغبة الجامحة من قبلها تجاه يوسف ، وكذلك صور أجواء الطمأنينة والأمان اللذان يحرص على تواجدهما من يقدم على هذا الفعل . وصور (هاؤم) حالة السرور والفرح الكبير بالفوز ، واستعماله في هذا الموضع يؤيد ما ذهب إليه البحث من أنه صوت يدل على الغبطة والابتهاج . وكذلك الأمر مع باقي أسماء الفعال .

٧ـ ذهب البحث إلى أنَّ هات فعل أمر غير تام التصرف ، وليس اسم فعل ، وقد جاء في أربعة مواضع في القرآن الكريم هي : البقرة : ١١١، الأنبياء : ٤٤، النمل : ٦٤، القصص: ٧٥.

٨ـ توسع الخطاب القرآني في استعمال صيغ الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، ولم يقتصر على معناها المجرد فحسب ، إنما راعى في ذلك السياق العام للنص ، وإمكانية الإشارة إلى معان دقيقة ، ما كانت لتوجد لو اتبع الاستعمال العام لهذه الأساليب

، فنراه يستعمل المفرد في موضع الجمع أو العكس ، وكذلك يستعمل المذكر في موضع المؤنث أو العكس ، وكل ذلك لضروب من المعاني والدلالات . وقد بين البحث تلك الدلالات في موضعها من هذه الرسالة .

٩ـ ميز البحث بين دلالياً بين الأفعال الدالة على الأمر ، والاستعمال القرآني لها ، فاستعمل الفعل كتب للدلالة على قدم الأمر ، وانه لم يقتصر على الأمة الإسلامية فقط ، إنما شمل الأمم السابقة أيضا كما هو الأمر في الصيام . واستعمل الفعل وصى في الجوانب الإنسانية فنراه أكثر ما يُستعمل في الأوامر الصادرة من الآباء بخصوص الأبناء ، أو العكس ، لما فيه هدوء وعذوبة يتناسبان مع العلاقة الإنسانية التي تكتنف الأسرة الواحدة . واستعمل الفعل قضى في الأمور الحتمية المقطوع بها ، واستعمل الفعل أمر في الأمور الواجبة ، التي لا تخالطها المعاني الأخرى .

١٠ـ بين البحث أن الأمر بالشرط يتميز عن الأمر بالأساليب الأخرى ، أنَّ الأمر بالشرط غالباً ما يتضمن معنىً مضافاً إلى الأمر ، قد يكون ترغيباً أو ترهيباً ، أو غير ذلك ، وهو على العموم يُبيّن صفة المأمور بالفعل إذا ما نفذ هذا الفعل ، وإذا لم ينفذه

١١ـ أما الاستثناء المفرغ فقد بين أنَّه يجمع بين النهي والأمر في وقت واحد وهذا ما لا نجده في الأساليب الأخرى ، فقوله تعالى :(ألا يعبدوا إلا الله) تضمن نهياً

عن عبادة غير الله ، وأمراً بعبادته جل وعلا ، وهذا يبدو في الآيات الأخر التي جاء الأمر فيها بالاستثناء المفرغ ، ولعل هذا الاستعمال يساعد على تكثيف المعنى ، فضلاً

عن توكيده وتقويته ، ولا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الرأي القائل بأنَّ الأمر نهي عن الضد ، والنهي أمر بالضد ، فيكون المعنى كأنَّما تكرر مرتين من خلال الجمع بينهما .

١٢ـ استطاع البحث أنْ يحدد أساليب الأمر الضمني وهي : الجملة الاسمية ، الوصف ، الاستفهام الدال على النفي ، الاستثناء التام ، (حتى) المسبوقة بنفي ، والأفعال المتضمنة رضا الله تعالى ، وقد بين البحث كل ذلك في موضعه .

١٣ـ بين البحث أنْ تكرار المفردة أو النص لم يكن دائما لغرض التوكيد ، إنما يأتي لأغراض أخرى بينها البحث في مواضعها .

١٤ـ بين البحث أنَّ التدرج السلبي يتكون من أمرين ، يكون أولهما مفضَّلاً لدى الآمر ، ولكنه إذا لم يتحقق فإنَّه يعدل عنه إلى آخر أقل منه وأدنى ، ولو تحقق الأمر الأول لما احتاج إلى الثاني ، أي أنَّ أوامر التدرج السلبي يغني أولها عن ثانيها ، بخلاف التدرج الإيجابي فغالباً ما لا يُغني الأول عن الآخر ، ولا بد من الجمع بين الأفعال متدرجين من الأول إلى الأخير . ويكون حرف العطف في التدرج السلبي هو (أو) ، أما في التدرج الإيجابي فحرف العطف هو الواو.

١٥ـ أما في ما يخص الأمر المعلل فقد بين البحث أنَّ موقع الجملة التعليلية كان له أثره في ذلك الأمر وجهة صدوره ، فنرى في النمط الأول ، وهو الذي يتقدم فيه الأمر على جملة التعليل ، أنَّه أكثر ما يكون من المولى عز وجل إلى العبد ، وعلة ذلك أنَّ هذا الأسلوب يتضمن تخفيف الأمر وتسهيله ، والترغيب في عمله ، من خلال ذكر السبب الذي دعا إليه ، فمعلوم أنَّ الأمر كلما أُتبع بما يبيّنه ويوضِّحه كان أسهل على المأمور به ، ولا سيما إذا تضمن هذا التبيين فائدةً تعود على المأمور ، أو حثاً أو تشجيعاً له ، فكل ذلك يكون حافزاً ودافعاً لتنفيذ الأمر والالتزام به. أما في النمط الثاني ، وهو الذي تتقدم فيه جملة التعليل على الأمر ، فنرى الخطاب أكثر ما يكون من العبد إلى بارئه ، وهذا منهج تعليمي ، يهدف الى تعليم العبد آداب الدعاء ومستلزماته ، وفي مقدمة ذلك أن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ، ليكون ذلك الثناء بمنزلة الاستهلال أو التمهيد للسؤال وطلب الحاجة .

١٦ـ كشف البحث عن أساليب التوكيد التي استعملت لتوكيد الأمر ، ودلالة كل منها ، فكان التوكيد بالمصدر يراد به توكيد الحدث ، أما التوكيد بظرف الزمان فيراد به توكيد زمان الفعل ، ووقت حدوثه ، وكان الحال مؤكداً لكيفية الحدث وهيئته .